النَّاصِحُ الأَمِين

لِشِيعَةِ عَلِيٍّ أَمِيرِ المُؤْمِنِين

«إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِين»

تأليف

حَامِدُ الإِدْرِيسِيّ

تقريظ فضيلة الشيخ

صالح الدرويش

آل ياسر للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٤٥٤١

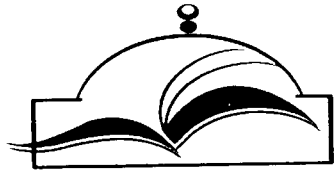

آل ياسر للنشر والتوزيع

dar-ala-yaser@hotmail.com
WWW.DAR-ALAYASSER.COM
WWW.ALAYASSER.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الشيخ صالح الدرويش

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن الأعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد تجعل الإنسان يعيش تحت ضغط المجتمع، حتى يصبح تفكيره خاضعا لتلك الأوضاع، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه المعاني بأبلغ عبارة فقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣] فهل التمسك بما عليه الآباء هو العقبة الكؤود والصاد الرئيس عن اتباع المرسلين؟

التفكير الجمعي لا ينطلق، بل يبقى تحت تأثير فكر المجموعة، والله سبحانه وتعالى نبه كفار قريش وأرشدهم إلى المنهج السليم للتفكير فقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ: ٤٦] فنص على قيمة التفكر بقوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ وربطهم بالحقيقة المادية المشاهدة التي يعيشونها وهي صدق محمد ﷺ ورجاحة عقله، ولكي تدخل هذه الحقيقة إلى القلب فيؤمن بها لا بد أن يتجرد وهو يفكر في حقيقة الرسول عليه الصلاة والسلام فيدرك أن منطقه منطق العقل وكلامه عليه السلام كلام الحكماء، ولا يمكن أن يصدر من مجنون ولا من ساحر، فيخضع العقل وينقاد الفكر للتسليم بأنه عليه السلام بشير ونذير وأن كلامه فيه الإعجاز والتحدي، فعندئذ يسلم برسالته، ويكون فكره قد قاده إلى الحق.

أيها القارئ الكريم،،، إنك إذا نظرت إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وجدتها في غاية الوضوح، فهم يحصرون الاتباع في محمد عليه الصلاة والسلام، إذ هو القدوة وهو المعصوم وأفعاله حجة وأقواله كذلك، وهو رسول رب العالمين، وقد حرص المسلمون على تدقيق وتمحيص كل ما نسب إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام، ووضعوا ضوابط علمية دقيقة منهجية للحكم على السنة النبوية الشريفة، وهذه منقبة كبرى وشرف عظيم تتجلى فيه معاني الإعجاز في حفظ سنة الحبيب عليه الصلاة والسلام، فإن ما قام به علماء الجرح والتعديل يفوق القدرة البشرية ويظهر فيه لطف الله سبحانه لأنه وهو الحكيم العليم تكفل بحفظ القرآن، وهذه هي نعمة كبيرة مَنَّ الله بها على هذه الأمة فله الحمد والمنة.

أيها القارئ الكريم،،، لا يخفى عليك وحدة الأمة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ، والمنافقون ذابوا في المجتمع الإسلامي ولم يكن لهم تكتل وظهور، وفي عهد أبي بكر

الصديق رضي الله عنه وأرضاه ظهر النفاق على أشده، بل ارتدت قبائل من العرب ولم يبق إلا الثلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ومسلمة الفتح أهل مكة وجيرانهم أهل الطائف وقلة من العرب، وتم بفضل الله محاربة هؤلاء والقضاء عليهم، وفي عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ارتفعت راية الإسلام في جميع أنحاء الشرق الأوسط، بل سارت الجيوش شرقا وغربا، ثم حصلت الفتنة الكبرى ووقع السيف في الأمة كما أخبر النبي ﷺ بمقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه، وتولى علي رضي الله عنه زمام الأمور وبايعه المسلمون، وحصل في عهده حروب ومعارك بين أهل القبلة، وقد بسطت القول في ذلك في كتابي «موقف أهل السنة والجماعة من الفتنة». وبعد الصلح المشهور وظهور صدق نبوءة الرسول ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما انتقلت الأمة الإسلامية من مرحلة الخلافة إلى مرحلة الملك، وأصبح الكذب على النبي عليه الصلاة والسلام له سوق رائجة، واجتهد العاملون في السرّ في ذلك، وأصبح تأييد الفكر السياسي بالنص النبوي، أما القرآن فمحفوظ بحفظ الله عز وجل له، ولذا أصبح الكذب على رسول الله ﷺ هو السلاح لحشد الأتباع، وبعد قرون أصبحت الأمة الإسلامية منقسمة إلى سنة وشيعة، وانقسم الشيعة كذلك إلى فرق كثيرة، باطنية أتباع إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهما الذي مات في عهد أبيه، والذي كان موته سبب حصول حيرة كبرى لدى عامة الشيعة، وقبله حصل الخلاف والانقسام في صفوف الشيعة الذين خرجوا مع زيد بن علي في قتاله لهشام بن عبد الملك، حيث أصبح له أتباع يسمون الزيدية وهم موجودون إلى اليوم، وقد كانت لهم دولة.

أما أصحاب الإمام إسماعيل فقامت لهم دول مثل الدولة الفاطمية في المغرب، والشيعة الاثنا عشرية أقاموا الدولة الصفوية وعاش الناس فيها قرونا، وكانت تحكم إيران وما حولها، وبقوة السلاح والحروب صمدت الدولة الصفوية، وبعد فترة قامت الثورة ضد الشاه، وكانت ثورة شعبية عارمة قادها الخميني بنجاح، واستطاع إقامة الجمهورية الإسلامية، ومنذ قرون والخلاف بين أمة محمد ﷺ يزداد يوما بعد يوم، يتأصل فكريا على قاعدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وهرب المحققون وأصحاب العقول ومراكز البحث العلمي من الحقيقة إلى الخيال، ورفضوا تنقية التراث وتحقيقه ووضع ضوابط علمية ومنهجية دقيقة تكون مطردة تطبق على الجميع، خوفا من اتفاق الأمة على هدي محمد ﷺ، لأن من البدهيات والمسلمات لدى عوام الشيعة ، بل يقرره العلماء في حوزاتهم أن النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام هو سيد المعصومين، وأنه لا يمكن لأحد

أن يخالف قوله وفعله، وأن الأئمة المعصومين لطف من الله عز وجل للحفاظ على رسالة محمد ﷺ وشرعه ودينه، ويتفق علماء الشيعة على أن القرآن لا زيادة فيه، وإن كان الخلاف بينهم حصل في النقص، وعليه فيكون القرآن الموجود حجة على الجميع ، وأن كل الروايات التي تخالف القرآن مرفوضة مردودة، لكن رفض أصحاب المصالح التحاكم إلى القرآن وعرض الروايات عليه، وأصبحوا يتحدثون بكثرة في وسائل الإعلام عن معاجز الأئمة، وأن القرآن الكريم يشهد بذلك، ويقررون الولاية وأن في القرآن أدلة كثيرة جدًا عليها، وقد طلبت أنا منهم في الإعلام وفي الكتابات الخاصة غير ما مرة تنقية وإبراز الروايات المروية عن الإمام علي عليه السلام، كم هي؟ وما هي؟ وهل هي ثابتة أم لا؟ وكذا عن الحسن وعن الحسين وابنه زين العابدين وحفيده محمد الباقر، وأشهر الأئمة وأكثر رواية جعفر الصادق وابنه المظلوم الصابر موسى الكاظم وبقية الأئمة ﷺ، نريد التمحيص لتلك الروايات !

كل الشيعة المعاصرين وعامة المتقدمين يقولون ويقررون وجود روايات كثيرة مدسوسة على الأئمة وكذلك وجود روايات كثيرة قالها الأئمة على سبيل التقية، واليوم دولة إيران قوية وغنية، وآلاف العلماء في العالم يمكن أن يقوموا بتمحيص هذه الروايات، وهيهات هيهات أن يتم ذلك المشروع، وقد بشر به الخميني ومعارضه آية الله العظمى الخوئي وكذلك آية الله الشيرازي وغيرهم ، ولم نره ولن يراه أحد.

إن هذا الكتاب القيم قد ناقش فيه مؤلفه وفقه الله مسائل هامة تتعلق ببحث هذه القضايا المصيرية، وهو نصيحة من ناصح من آل بيت رسول الله ﷺ قد بذل جهده في البحث والنقاش، وزار إيران مرتين، وزار مدينة قم ومكث فيها ليالي وأياما ، وزار مدينة مشهد وطهران وغيرهما، وسبر الحوزات وناقش العلماء، وقد كتب هذه النصيحة من قلب صادق فيما نحسبه والله حسيبه، كتبها بأسلوب الناصح المشفق وقصده هداية من يطلع على كتابه، ولكن لا بد من التجرد أثناء القراءة عملا بقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦].

هذا وإن كان في الكتاب شيء من الطول لكن أسلوبه السهل الشيق ومادته العلمية الغزيرة وطرحه الجديد يسهل قراءته، فنسأل الله أن ينفع به وأن يكتب له القبول والرواج.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صالح الدرويش

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أخي الشيعي،،،

لست أنا من ينصحك أو يعلمك أو يرشدك، حسبي أن أجلس إلى جانبك ونجر أنا وأنت أطراف الحديث، فما أحوجنا إلى جليس ناصح أمين، نبث له همومنا، ونقلب معه أفكارنا، ونورد عنده أسئلتنا، فننظر فيها بعقلين لا بعقل واحد، ونستمع معا لحديث النفس الذي قد لا تساعفنا الظروف أن نستمع له إلا مع جليس صامت لا يقاطعنا الكلام ولا يفشي لنا الأسرار، وخير جليس في الأنام كتاب...

أخي الشيعي،،،

ربما يتسع صدر بعضنا لنسمع وجهات النظر المختلفة، فما أحوجنا إلى سماع شيء جديد، بعيدا عن الأصوات المرتفعة، والنقاشات المشوشة، والحزازات التي تحجب عنا رؤية الآخر حتى لا نكاد نراه ولا نكاد نسمعه، فحين يتكلم اثنان لا يسمع أي منهما كلام صاحبه، ولهذا كان الكتاب بصمته ورقة أوراقه خير من يمكنه أن يقدم لنا الرأي الآخر ويسمعنا الصوت المختلف بهدوء.

أخي الشيعي،،،

لأنني ما اخترت البلاد التي سأولد فيها، ولا اخترت القبيلة التي أنتمي إليها، ولا اخترت المذهب الذي ترعرت عليه، كان الواجب علي وقد اكتمل نضجي، واستوى رأيي، وبلغت مبلغ الرجال، أن أنظر في كل شيء من حولي بنظرة المتسائل، وأعيد بناء الأشياء لبنة لبنة، فما أحوجني إلى هذا اليقين.

* * *

مقدمات بين يدي البحث

- لماذا؟!
- من الذي اختار لنا مذاهبنا؟!
- من أين ننطلق ؟!
- سر الهداية

لمـــــاذا؟!

إن هذه الكلمة على صغرها تحمل في طياتها مادة الإنسان وكنهه، هذا الإنسان الذي ميز بالعقل على سائر المخلوقات، وكرم به على الخلائق، فالعقل سر الإنسان، والسؤال هو المفتاح الذي يفتح به العقل خزائن المعرفة، ويتوصل به إلى خالقه سبحانه، وهذا القلق هو الذي جعل الإنسان إنسانًا لحوحًا متسائلًا متضايقًا متفكرًا...

فهو ينظر في الكون بعقله، ويتساءل عن مدبره ومسيره، فيسأل الكواكب من كوكبها، والسماء من سوى سمكها، والشمس من أخرج ضحاها، والأرض من مدها ودحاها، والجبال من أرساها وأعلاها، ويصل من خلال هذا التساؤل وعبر هذا التفكر إلى الله جلَّ في علاه، ثم بعد أن يصل إلى الخالق يبدأ التساؤل عن سبب هذا الخلق والغاية منه، وهو السؤال الذي أعيا الفلاسفة عبر التاريخ.

إن الوصول إلى المعرفة رحلة الإنسان التي تستغرق حياته كلها، فهو دائما يسعى ليعرف أكثر، وليدرك ما يدور حوله من أمور العالم وأحوال الكون، وبهذا يكون إنسانا...

إن (لماذا) مفتاح فتح به الإنسان كل العلوم، وبسبب هذا الفضول الإنساني الذي لا يشاركه فيه أي مخلوق آخر استطاع الإنسان أن يطير واستطاع أن يحلق في الفضاء، لأنه دائم التساؤل: لماذا؟

إن (لماذا) بوابة كبيرة، عبر منها الإنسان إلى النور، فكم من ضائع وجد طريقه بهذه الكلمة، وكم متخبط وجد طريق النور حين أيقظ في نفسه هذه الكلمة لم يكبتها.

لقد ضحى الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه كثيرًا في سبيل الحقيقة، وساقته (لماذا) بعيدا عن أرضه حيث ضحى لإرضائها بأسرته وببيته وبمكانته وبكل ما كان فيه من ترف ونعيم، حتى وصلت به الحال إلى أن يصير عبدا في المدينة لدى

أحد اليهود...

لقد كانت (لماذا) المحرك الخفي، الذي جعله يبحث عن دين آخر غير دينه الذي هو عليه، وهي التي جعلته يتوق إلى معرفة ما عليه أمر الناس، وهي التي ساقته بتوفيق الله تعالى إلى أن يصل إلى الحق بعد رحلة طويلة، حتى أصبح من آل بيت محمد عليه السلام.

لو افترضنا أن في الأرض مئات الأديان وأن دينًا واحدًا منها هو الذي يحبه الله ويرضاه، لكانت النتيجة أن احتمال أننا على الحق هو واحد إلى مائة، فكيف والأرض تعج بآلاف الديانات!

لا بد إذن من أن نطرح عقائدنا ومذاهبنا على المحك، ونعرضها على العقل والفطرة، وبما أننا مسلمون فإن دائرة البحث أضيق، والمهمة أيسر، والطريق إلى الحق أقصر...

إن قوة الإسلام في كتابه العظيم، القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا ميزته على سائر الأديان، فالوصول إلى مادة الخير والعلم والنور ميسر لكل من أراد ذلك، وهذا بخلاف غير المسلمين، الذين ضاعت كتبهم بالتحريف والتغيير، فهم لا يجدون مرشدًا، ولا يهتدون سبيلًا، فلو فرضنا أن نصرانيا كاثوليكيًّا أراد أن يبحث في كتابه ليختار بين مذاهب النصرانية، لما وجد إلى ذلك سبيلا، ولوجد كتابه مليئًا بالتناقضات والاختلافات، لأن الله عز وجل لم يتكفل بحفظ كتبهم كما تكفل بحفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1]، لذا فإن القرآن هو

* * *
لا بد إذن من أن نطرح عقائدنا ومذاهبنا على المحك، ونعرضها على العقل والفطرة، وبما أننا مسلمون فإن دائرة البحث أضيق، والمهمة أيسر، والطريق إلى الحق أقصر...
* * *

(١) سورة الحجر:٩

مصدر متجدد بالإيمان والنور، لا يخبو مشعله، ولا تتغير مادة النور المشرقة بين ثناياه، فكفيل بمن قصد القرآن أن يجد لأسئلته جوابًا، ولضلالاته هداية، فهو والعقل والفطرة حجة الله على الناس، ومتى ما اجتمع العقل والفطرة واتجها إلى القرآن فهناك الهدى، وثمة الخير.

كل ما علينا فعله هو أن نستنطق القرآن، ونستخدم العقل والفكر لتدبر آياته، بعد أن نسأل الله الهداية والإرشاد، وبعد أن نتخلص من قيود النفس وعوائق الهوى، دافعنا في ذلك هذه الأسئلة التي تبعثها الفطرة إلى عقولنا بين الحين والآخر، فتصرخ في داخلنا لماذا؟.

إننا لا يمكن أن نحكم بأن ما نحن عليه هو الحق، ما لم نوجه إليه أسئلة الفطرة واتهاماتها، وبعد أن نجيب عن تلك الأسئلة بموضوعية، ونطلع على الرأي والرأي الآخر، نكون قد أعذرنا إلى ربنا، وقتلنا الشك في أنفسنا باليقين.

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾، ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ دعنا نقم بذلك مثنى، ونتفكر أنا وأنت في هذه العقيدة التي يزعم أهل السنة أنها ليست حقًّا، دعنا نرى إلى أي حد يمكن أن يكون ذلك الزعم حقيقة!

سوف نقضي في جلستنا هذه سويعات قلائل أرجو أن تتحملني فيها، كي نجيب معا على هذه «اللماذات» -إن جاز التعبير- التي تلقي بثقلها على حياتنا، وفي الأخير يعمل كل منا على شاكلته، ويختار كل منا كما يشاء مذهبه وطريقته، فالتفكر والبحث هو أقصى ما نستطيعه أنا وأنت، أما الهداية فهي منحة إلهية نسأل الله أن يمن بها علي وعليك.

* * *

من الذي اختار لنا مذاهبنا؟

بعد أن عاشت البشرية عصورًا طويلة من الخلافات الدينية والصراعات المذهبية، والتدافع بين الحق والباطل، نأتي نحن في حلقة من حلقات هذا الصراع، فنولد في بقعة من بقاع الأرض، ونجد أنفسنا في جهة من الجهات، ونربى ضمن منظومة أسرية ترتبط بالنظام الاجتماعي، الذي يقودنا إلى طريق لم نختره، ولم نمحصه ولم نعرفه، بل وجدنا أنفسنا فجأة منتمين إليه، متشبعين به، مستبسلين في الدفاع عنه، منقادين لمساره، مسلمين له، فقط لأننا عشنا عليه فترة من حياتنا، كما عاش عليه آباؤنا الأقدمون.

هذا الطريق الذي وجدت نفسي سائرًا فيه، ألا يستحق مني أن أنظر إليه في يوم من الأيام؟ ألا يستحق موضوع خطير كهذا وقفة مع النفس؟ ألم يحن الوقت لتلك الوقفة بعد؟

بلى...

إن الأرض مليئة بالأديان والمذاهب والطوائف، وكل مولود يولد على الفطرة، ثم ينحى به أبواه المنحى الذي وجدوا عليه آباءهم، فتجد البوذي الذي ولد في بيئة بوذية يتبع اختيار أسرته ومجتمعه، ويعيش عليه، وتجده مقتنعًا به أشد الاقتناع، بل قد تجده مستعدًا للتضحية بنفسه من أجل إلهه بوذا، ولا يشك مثقال ذرة في أن البوذية هي الدين الصحيح، وما سواها من الأديان باطل.

احمل نفسك الآن إلى جبال التبت في الصين، وزر تلك المعابد الضخمة هناك، وانظر إلى عيون الآلاف مخبتين خاشعين، وشاهدهم وهم يغادرون المعبد سعداء، يرون أن إلههم قد رضي عنهم، وأن الشر والشقاء قد ابتعد عن طريقهم.

خذ جولة في الهند، وحاول أن تخبر ذلك الرجل أن هذه البقرة التي يسجد لها لا تضر ولا تنفع، أو أن تلك الجرذان التي يعبدها ليست هي أجداده العظماء، وانظر

كيف ستكون ردة فعله.

خذ في يمين الأرض وشمالها فلن تجد إلا مستيقنًا من عقيدته، ثابتًا عليها، يراها هي الدين الحق الذي يستطيع أن يبذل ماله ونفسه في سبيل نصرته...

هكذا يتسلل الإرث الديني من جيل إلى جيل، وهكذا يزداد التشبث بهذا الموروث كلما أغرق في الزمن، وهكذا يصبح هذا الموروث الممجد من أكبر العوائق أمام مريد الحق، هذا إن تيسر له أن يجد الحق يومًا...

يقول رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، فأثبت عليه السلام أن المولود سيتربى على ما اختاره له أبواه، وأثبت الرسول ﷺ هذه القدرة للوالدين لأنهما يستطيعان تكوين هذه القناعة وغرسها في فترة ما قبل التمييز، حيث يكون الطفل ورقة بيضاء يكتب عليه الوالدان تفاصيل ما سيعتقده الولد طيلة حياته، لذلك تصل تلك العقيدة إلى سويداء قلبه، ويكبر معها فيألفها كما يألف أسرته وبيته ومدرسته وأصدقاءه، فكما يشتاق المرء إلى الأرض التي ولد فيها والأطفال الذين تربى معهم كذلك يشتاق إلى هذه العقيدة لا يقدر على فراقها، ولا يحب ذلك، بل هو من أثقل الأشياء على نفسه وأشدها على قلبه، كيف أفارق عقيدة تربيت عليها مدة ثلاثين أو أربعين عامًا؟

* * *

أمر الدين أهم من أمر الدراسة والعمل، فكيف نترك اختيار الدين للصدفة بينما نحرص على اختيار وظائفنا ودراستنا؟

إن قناعة هذا الطفل بدينه لم تبن بأدلة عقلية أو منطقية أو ما شابه، إنما وجد ذلك الاقتناع متأصلًا في نفسه، فيحس بأنه جزء من تلك المنظومة الاجتماعية بلغتها ولباسها وثقافتها ودينها، ويجدها مكونات ضرورية لشخصيته، فلا يتصور نفسه إلا كذلك. وما أثر في قناعته لم يكن دليلاً عقليًا، أو فطريًا، أو كتابًا من الله وجد فيه الهدى أو البيان، إنما أثر في قناعته أمور أثرها في النفس أشد من الدليل والمنطق

والحجة والبيان، نظرًا لأنه تشربها في وقت مبكر وترعرع عليها حتى صبغت شخصيته وبنت فكره، فحين يأتي الاستدلال ويتعلم شيئًا من الأدلة يكون دور تلك الأدلة تثبيت العقيدة وليس تأصيلها، لذلك يكون ميوله إلى الأدلة التي توافق عقيدته أمرًا فطريًا، فالإنسان يميل إلى ما يألفه بفطرته، وبالتالي ينفر مما يخالف ما ترعرع عليه.

إذن الأدلة التي يجد أنها أثرت في نفسه هي:

أ- المنظومة الاجتماعية:

إن المنظومة الاجتماعية مكون أساسي من مكونات الشخصية، ويحب كل شخص أن يكون بلده ومجتمعه مصدر فخر واعتزاز، وهذا مكمل ضروري لشخصية الإنسان، وحاجة فطرية فطر الله الناس عليها، لذا فإن اتهام قبيلته أو مجتمعه بالضلال، يهز جزءًا مهمًا من كيانه.

وقد كان هذا من أشد ما منع قريشًا من اتباع الحق مع أنهم كانوا يعتقدون أن محمدًا ﷺ صادق، لكنهم كانوا يخشون على مكانتهم بين القبائل، وكانوا يتهمون محمدًا ﷺ أنه يسفه دين آبائهم وأنه يخالف ملة عبد المطلب.

> وهذا ما منع أبا طالب من الحق وهو على فراش الموت، فقد كان للمنظومة الاجتماعية أثر شديد عليه حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فلم يرض أن يفرط في مكانته في هذه المنظومة ويتركها رغم أنه يعلم أن دين محمد هو الحق.

فكانت المنظومة الاجتماعية من أقوى ما يؤثر في قناعاتهم، ويبني مبادئهم، وليس العقل والمنطق.

وهذا ما أنكره القرآن أشد الإنكار وحاربه في مواضع كثيرة، فقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣]

ثم بين القرآن أن ما جاءهم به هو خير مما كان عليه آباؤهم، فقال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[الزخرف: ٢٤]

فكان جزاء تمسكهم بالموروث: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٥] ولما حاور إبراهيم قومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان، قالوا له: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣] وفي موضع آخر قالوا له: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤] فصرح إبراهيم عليه السلام بالحقيقة عن طريق خطاب صادم صارم، وقال لهم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء: ٥٤] وقال لهم عن آلهة آبائهم التي يقدسونها: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

والمشركون يستخدمون هذه القضية كدليل في نقاشهم للأنبياء والمرسلين فيقول قائلهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وهم يستدلون بها لكونها مؤثرة في نفوسهم، موجهة لقناعاتهم وقناعات من يتبعونهم، فهم يطرحونها كمسلمات لا يمكن الجدال حولها، بل يستنكرون على أنبيائهم أنهم نقضوها وأنهم خالفوا ما كان عليه الآباء.

سيستعظم الناس الأمر حين يسمعون هذا الكلام، وحين يرون هذا النبي يسفه الآباء ويتهم الأجداد بالضلال، ولأنه يستعظم هذا الأمر في نفسه جدًّا، ويراه كبيرة من الكبائر، فهو لا يريد أن يكون كهذا الذي نبذه المجتمع بسبب أنه تهجم على الآباء والأجداد، فهذه من عظائم الأمور التي يستنكرها قلب ذلك المخاطب، وهي تهمة خطيرة تلصق بالداعي كي يتم تنفير الناس من دعوته، ووضع حجاب غليظ بينهم وبينها.

سوف تجرب هذا مع نفسك، وستجد أن قابليتك للاستماع لشخص يتهمه مجتمعك بالجنون أو السحر صعبًا للغاية، بل مجالستك له محرجة لك، وتتمنى أن لا يراك الناس معه، لأنهم إن رأوك اتهموك وربما ضايقوك، فحين يفقد شخص مكانته في المجتمع بسبب تهمة تلتصق به يكون من الصعب جدًّا أن يستمع له الناس أو يقبلوا منه ما يقول.

وهكذا الحال مع العقيدة، فحين نتربى على أن أناسًا معينين هم أشرار ضلال

يريدون إضلالنا، فإن مستوى تحليل عقلنا لما نسمعه منهم ضعيف جدًّا، بل يقوم العقل بعملية عزل ذهني فلا يتقبل منهم شيئًا ولا يسمح لشيء أن يلج إلى القلب، وإن ولج شيء إلى القلب فإنه يسارع إلى مسحه وتنظيفه حتى لا يبقى له أثر بعد أيام.

كان هذا بالضبط ما منع أبا طالب من الحق وهو على فراش الموت، فقد كان للمنظومة الاجتماعية أثر شديد عليه حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فلم يرض أن يفرط في مكانته في هذه المنظومة ويتركها رغم أنه يعلم أن دين محمد ﷺ هو الحق.

لقد اعترف بذلك لابن أخيه كي يعذره في تقدير الضغوط الاجتماعية التي لم يستطع التغلب عليها.

إن أول ما يجب أن نتخلص منه كباحثين عن الحقيقة، هو هذا الارتباط بالموروث الديني، يجب أن لا نجعله مؤثرًا في اختياراتنا، يجب أن لا نبقي هذه الحواجز بيننا وبين الحق، فقد يكون الحق قريبًا جدًّا منا...

إن أحدنا قد لا يرضى أن تختار له أسرته نوع دراسته أو وظيفته، ويعتبر ذلك حقًّا شخصيا واختيارا يجب أن ينبني على قناعته وميوله، فكيف يترك أمر دينه لصدفة كونه من هذا المجتمع أو ذاك، أو كونه ابن هذه الأسرة أو تلك، وكيف يضمن أن يكون ما وجد عليه أسرته أو قبيلته هو الحق!!!.

لذا وجب التشكيك في هذا الموروث، والتشكيك فيه جدًّا، فمن خلال هذا الشك ينطلق البحث كي نصل إلى قناعة مبنية على يقين يصل به الإنسان إلى مستوى مرض من القناعة المؤسسة على تنقيح وتمحيص، لا على شعور وأحاسيس.

ب- الحب الأسري:

إن ارتباط الإنسان بأسرته هو أشد من ارتباطه بمجتمعه، لذلك فإن للأسرة تأثيرًا أقوى في بناء قناعات الإنسان، وقد مر معنا حديث الرسول ﷺ الذي يبين فيه دور الوالدين في توجيه الابن وإبعاده عن الفطرة التي فطره الله عليها.

ويزداد هذا العامل تأثيرًا كلما قويت الوشائج الأسرية، فكلما زاد الحب بين أفراد الأسرة، كلما زاد تأثيرها في معتقدات الأبناء، لذا فإن من أشق ما يحصل للإنسان هو التخلص من الرابط الأسري عندما يحاول نقد مذهبه ومذهب أسرته، فهو وإن رأى الحق بعينيه، فإنه يصعب عليه اتباعه، لئلا يخالف أسرته ووالديه، وينسبهم إلى الضلال، وهذا من أشد الامتحان وأشقه على الأنفس:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

إن الروابط العاطفية التي تربطني بديني وعقيدتي ومذهبي هي عائق يجب التخلص منه في مشروع البحث عن الحقيقة، لأنني سأفر من هذا الرابط يوم لا ينفعني بشيء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ كيف أفرط في الحق على حساب أسرتي وأنا أعلم أنهم أول من يفر مني يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ فالأسرة أسر يأسرني عن الانطلاق إلى الحقيقة، لا بد أن أتحرر من آثار ذلك الأسر...

ج- الألفة:

إن الإنسان مخلوق أليف، فهو يألف بيئته التي عاش فيها، ويألف الأرض التي ترعرع فيها، ويألف الناس الذين يعيشون معه، ويألف لباسه وأكله، وهو كذلك يألف أفكاره ومبادئه.

> «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»

إن الوحشة التي يحسها المرء حين يترك من ألف من إخوانه وأحبابه، هي نفس الوحشة التي يحسها إن ترك مبادئه أو معتقداته، فلو نقلت رجلاً عربيًّا من بادية

الصحراء إلى وسط الصين فإنه سيشعر بوحشة شديدة قد تؤدي به إلى المرض، ويحتاج إلى فترة من الزمن حتى يعتاد مكانه الجديد وأكله الجديد ولباسه الجديد، وكذلك عقائدنا التي نحملها بين جوانبنا، فهي ترتبط بأرواحنا، وتعيش معنا في كل ظروفنا، فتصبح منا وإلينا، ويصبح تركها أمرًا عسيرًا على النفس، ويحدث ذلك وحشة شديدة في بادئ الأمر.

وكما قيل: من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

وهذه الألفة تزيد مع تقدم العمر، وتصبح جزءا لا يتجزأ من شخصية الإنسان، لذلك إن أتيت إلى شخص مسيحي له في المسيحية شهر واحد، فإنك تجد قناعاته طرية جدًّا، ويكون مستعدًا ليناقشها، ويطرحها على ميزان العقل والعلم، وقد يرتد عنها بسهولة ويسر، ولو أتيته بعد عشرين سنة، لكان الأمر أشد بكثير. إذن ما الذي تغير في هذه الفترة، ليست المعتقدات في حد ذاتها، وإنما هي الألفة الحاصلة بين الشخص ومعتقداته، فهي تزيد كلما زاد الزمن، وتشتد كلما طالت المدة.

إن عمى الحب المذهبي أشد من عمى الحب العشقي، لأنه يعمي الملايين.

وهنا نجد عاملا آخر من عوامل التأثير في شخصيتنا الدينية، وحجابا آخر يفصلنا عن النور، وحزمة شوك أخرى في طريق الحقيقة المليء بالأشواك.

د- الرضى النفسي:

إن الشعور بالرضى النفسي هو من أخطر ما يوهم الشخص بأنه على الحق، وهو من أقسى ما يصد الخواطر، ويخرس العقل أمام تساؤلات الحقيقة، وإشعاعات الفطرة.

يغطي هذا الشعور كل حواس الإنسان، ويسيطر على كل مداركه، ويخرس جميع التساؤلات التي قد تنبعث في داخله، فلا يستمع لنداءاتها، فيعرض إعراضًا تامًّا، لأنه مقتنع تمامًا بمذهبه، والدليل على تلك القناعة هو هذا الرضى الذي يحس به في نفسه تجاه مذهبه وعقيدته وما عليه قومه وأهله.

عندما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ تقف مندهشًا من شدة اقتناعهم بما هم عليه ورضاهم عن أنفسهم، حتى إنهم تجرؤوا وسألوا الله أن يمطر عليهم حجارة من السماء أو يأتيهم بعذاب أليم، وقد تستغرب عندما ترى ذلك في كل الطوائف والملل، حتى عند عباد البقر والشجر، وعباد البقر والجرذان، تجدهم راضين عن أنفسهم كأشد ما يكون الرضا، ومستعدين للتضحية بأنفسهم وأموالهم من أجل بقرة ترعى الحشيش.

لذا فإن أول ما يجب أن نتهمه في أنفسنا، هو هذا الشعور بالرضا، فكثير من الناس يستخدمه كمرشد، ويأنس به أشد الأنس، ويثق به ثقة عمياء، فإذا انطلق بعد ذلك إلى أدلة الشرع والعقل، لم ير منها إلا ما وافق ذلك الرضى، فيقع في حب ما هو عليه ويعمى عن سوى ذلك، فهو صريع الهوى وأسير الحب، والحب يعمي ويصم، فيعميه حب مذهبه عن النظر حوله والتبصر في كل الأدلة التي ترِد عليه، فعمى الحب المذهبي أشد من عمى الحب العشقي، لأن الحب المذهبي يعمي الملايين...

> يجب أن نطرح الشعور بالرضا جانبًا، وأسلّم أنا وأنت، بأن هذا الشعور ليس إلهامًا ربانيًّا، وليس هو ذلك الإحساس الروحاني الذي يقودنا إلى الحقيقة، إنه شعور سببه أي شيء غير الحقيقة.

يجب علينا أن نكذب هذا الشعور بالرضى ونتركه جانبًا، ونضع عليه علامة استفهام كبيرة، لأنه ليس شعورًا حقيقيًّا، ولكي تتأكد أنه شعور كاذب لا يدل على الحقيقة، يكفي أن تسأل السيخ والبوذيين والمجوس هل هم راضون عن أنفسهم؟ وهل مقتنعون بما يفعلون؟ وهل لديهم أدنى شك أنهم على الحق؟ وهل هم مستعدون للتضحية بأنفسهم من أجل دينهم؟

وإن أردت المزيد،،، فانظر إلى الحروب الصليبية التي قامت ضد المسلمين، والتي احتشد لها شباب المسيحية من كل صوب، وقائدهم في ذلك: حب الله، ومرادهم فيما يبذلون: الجنة!!!

وهذه حقيقة أكدها القرآن أكثر ما مرة، قال تعالى: ﴿اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ فقد حصروا الصلاح في أنفسهم، بصيغة الحصر إنما، فهم لا يرون أحدًا مصلحًا سواهم، وهم مع ذلك ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾.

كثير من المستغفلين الذين يستغفلون الناس ويضلونهم، يعتمدون على هذا الشعور في تثبيت أتباعهم على ما هم عليه من الضلال، وإن ناقشت أحدهم استدل بما يجد في نفسه من الرضا واللذة في العبادة وجعل ذلك دليلاً جازما على أن دينه أو مذهبه على حق.

فتتبع كل الطرق وكل الطوائف، تجدهم مقتنعين بما هم عليه، راضين عن أنفسهم أتم الرضى، واذهب إلى أتباع كل طائفة فستجد عندهم من اللذة والمتعة بما هم عليه ما يجعلهم متقيدين إلى تلك الديانة أو ذلك المذهب، لا يبغون عنه حولا...

وهذا في الحقيقة أمر عجب، إذ أنك تجد في بعض الديانات والمذاهب ما يضحك العقلاء بل وغير العقلاء، وتجدهم يقومون بما لا يخطر على بال، وما لا يقبله عقل، ومع ذلك تجد نفسياتهم عالية جدًّا، وتجدهم سعداء كأتم ما تكون السعادة.

لذا، يجب أن نطرح هذا الشعور جانبًا، وأسلّم أنا وأنت، بأن هذا الشعور ليس إلهامًا ربانيًّا، وليس هو ذلك الإحساس الروحاني الذي يقودنا إلى الحقيقة، إنه شعور سببه أي شيء غير الحقيقة.

هذه جملة من الأدلة التي تترسخ في عقل الإنسان كأنها أدلة وحجج، وما هي إلا مؤثرات تؤدي إلى قناعة مسبقة، هذه القناعة التي تعد العائق الرئيس أمام المعرفة الصحيحة المعتمدة على البحث والنظر، لذا فإن قناعاتنا المسبقة التي ولدنا عليها لا يمكن أن تكون صحيحة، ولو فرضنا أنها صحيحة فهي لم تبن على منهج استدلال صحيح، ولم نصل إليها عن طريق البحث والتمحيص، وهذا ما أكده علماء الإبستيمولوجيا، وهو علم يعنى بكيفية اكتساب المعرفة، فقد حصروا العوائق التي تعوق بين الإنسان والمعرفة، وجعلوا القناعة المسبقة أهم حاجز يحجز العقل عن

الوصول إلى المعرفة الممنهجة.

هكذا يبني الشخص عقيدته عبر هذه المؤثرات، ثم يأتي الدليل العلمي والعقلي في آخر السلم، أي أنك تجد هذه المؤثرات هي التي لها النصيب الأوفر، والحظ الأكبر، وتجد المرء غير محتاج إلى الاستدلال على ما هو عليه، إنما تقوده هذه المؤثرات، وينساق مع المجتمع والبيئة، ويكون بسببها يهوديًا أو نصرانيًا أو شيعيًا أو سنيًا أو هندوسيًا...

فأبواه هما اللذان هوداه أو مجساه، وليس قناعته أو أدلته، فهو قد انتمى إلى هذا المذهب أو ذاك قبل أن يجد الأدلة أو يحتاج إليها، فاعتقد أولا، ثم عاش على هذا المعتقد حتى شب عليه وترعرع فيه، ثم استدل بعد ذلك على معتقده، وهنا مكمن الخطأ.

إن هذه القناعة المسبقة التي أمتلكها تجاه عقيدتي ليست ذات قيمة ما لم أعد النظر فيها وأهاجمها بسيل من الأسئلة التي تقودني إلى المعرفة المؤصلة.

إن هذا الدين الذي لم أختره ولم أختبره، ليس ديني وليس اختياري، وليس شيئًا ينتمي إلي، إنه دين آبائي أو قبيلتي أو بلدتي، لكنه ليس ديني ولن يكون ديني أو اختياري ما لم أمحصه وأميزه.

إن المعنى الذي يدور حوله الكلام، موجود في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ فنقول لكل صاحب عقيدة منحرفة، ولكل صاحب مذهب لم يختره، هيا نضع كل قناعاتنا جانبًا، ونجلس جلسة مستديرة حول الدليل العقلي والنقلي، حتى نبني قناعتنا بناءً صحيحًا...

إن كنا نعتقد أن الله عز وجل هو الإله، وأنه بعث محمدًا بالرسالة، فهيا نجلس إلى هذه الرسالة ونبني نقاشنا على القرآن والسنة كي نفهم تفاصيل هذه الرسالة، المهم الآن ونحن في مدخل هذه الجلسة أن نتجرد للحق ونضع ما كان عليه آباؤنا جانبًا، عندها سوف نرى بعيني العقل والفطرة، ما عمينا عنه دائمًا، وعندها ستقوم حجة الله في أنفسنا المفطورة على العبودية، التي خلقنا من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

* * *

من أين ننطلق؟

حين يسعى بنا العقل إلى الحقيقة، يمر بنا عبر طريق وعرة من التساؤلات والتشكيكات، وأحيانًا كثيرة نمل من هذه الرحلة الطويلة، ونركن عقلنا جانبًا، كي نستمتع بحياتنا...

نحن الآن ندرك أن هذا التوقف خاطئ، وأن علينا أن نتبع طريق العقل ونستمع إلى نداءاته المتكررة، وأن نقف معه وقفة صادقة، نتخلص فيها من كل الروابط الاجتماعية والآراء المسبقة التي تفصلنا عن الحقيقة، فها نحن قد عقدنا العزم على التخلص من هذا الموروث ولو لساعة من الزمان تنزلًا من أجل هذه الجلسة الصادقة مع النفس، وها نحن نتخلى عن مذاهبنا التي تربينا عليها ونجلس حول مائدة العقل ننظر إلى أين يمكن أن يأخذنا الدليل، لكن من أين ننطلق؟ كيف يمكن أن نحكم على عقائدنا؟ وهل نستطيع أن نقيم مذاهبنا؟

لا بد إذن من معرفة محددات البحث عن الحقيقة، والتي هي المعيار الذي نستطيع أن نعاير به مذاهبنا ومعتقداتنا، فكيف إذن نبحث عن الحقيقة؟ وكيف نستطيع أن نحكم على مذاهبنا؟

- لو أردنا أن نحكم الشعور والأحاسيس لوجدنا أنها متساوية لدى جميع الناس في جميع الديانات، فهي لا تصلح حكَمًا على مذاهبنا...
- لو نظرنا إلى ما عليه أكثر الناس، لوجدنا النصرانية أكثر الديانات، فالأكثرية ليست دليلاً نستطيع أن نصل من خلاله إلى الحقيقة...
- هل نسأل علماءنا؟ لا يمكننا أن نسأل علماء مذهبنا لأن جوابهم متساو، وكل مذهب يجيب علماؤه بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل...
- هل ننظر في كتب مذهبنا؟ لو نظرنا في كتب مذهبنا فكأننا نسأل علماء مذهبنا أيضا، لكن بطريقة مختلفة...

• ما هو الطريق إلى الحقيقة إذن؟

إذا كان هناك من طريق إلى الحقيقة فلا يمكن أن يكون إلا شيئًا واحدًا، هو الذي لا نختلف حوله، ولا نتهمه، ولا يمكنه أن يتحيز لفئة دون فئة إنه القرآن الكريم.

نعم، لا بد أن يكون هذا الكتاب الذي جعله الله هدى للناس، قادرًا على أن يجيب عن تساؤلاتنا وإشكالاتنا، ولا يمكنه أن يكون كذلك ويكون هدى لنا، ما لم يكن في مقدورنا فهمه وإدراك رسائله ومعانيه، يجب أن يكون هذا الأمر مقررا، وإلا فلا سبيل لنا إلى الحقيقة.

إذا أردنا أن نطرح المذهب الشيعي على طاولة الاختبار، وإن كان هذا ما يدفعنا لقراءة هذا الكتاب، فلن نستطيع أن نستخدم أدلة المذهب وأقوال علمائه، وأحاديث أئمته، كما أننا لا نستطيع استخدام أدلة المذهب المقابل فهي أيضًا تحتاج إلى إثبات أنها حق، فليس لنا في هذا المقام إلا القرآن والعقل، وهما المنطلق.

لا بد أن ننطلق من محورين اثنين: وهما العقل والقرآن

فلا يمكن أن يكون دليل الإمام جعفر الصادق مثلاً دليلاً مقبولاً ونحن لا زلنا لم نثبت إمامته وعصمته من طريق آخر، ولا يمكن أن يكون كلامه حجة علينا، إلا إذا ثبت لنا أنه إمام معصوم، فلا يعقل أن نقبل إمامته بشهادته هو، بل يجب أن تثبت لنا إمامته بغير طريقه، ثم إذا ثبتت إمامته فإننا نستدل عندئذ بكلامه، ونحتج بأقواله.

كذلك لا يمكننا أن نقبل كلام عالم من علماء أهل السنة لأنه بالنسبة للمخاطب متهم غير مقبول.

إذن لا بد أن ننطلق من ثوابت بعيدة عن هذا الصراع، وذلك في محورين اثنين: وهما العقل والقرآن، وهما اللذان سيدور عليهما النقاش في بحثنا هذا، لذا فإن أردنا أن نثبت قضية أو ننفيها فإن سبيلنا في ذلك هو عرضها على العقل وعلى القرآن، وهذا هو أملنا الوحيد إن كنا نبحث عن الحقيقة حقًّا...

فإن كان ثمة من طريق إلى الهداية فإنه يمر عبر هذا القرآن، هكذا يجب أن نعتقد في كتاب الله عز وجل، وإلا فلا سبيل إلى البحث، ولا طريق إلى الحقيقة.

سر الهداية

يجب أن نتحدث عن الهداية فهي مبتغانا ومطلبنا، ولا بد أن نعرف سرها ونحدد كنهها، فهل المعرفة والوصول إلى الدليل، هو كل ما يفصلنا عن الهداية؟

كثير من الناس يعتقد ذلك، ولو كان ذلك كذلك، لكان إبليس أهدى المخلوقات على وجه الأرض، فهو الذي عرف الله عز وجل، ورأى الجنة وعاش فيها سنين عديدة، بل كان مع الملائكة المقربين، ومع ذلك لم تنفعه هذه المعرفة، ولم تصل به إلى الحق.

لا يكفي أن يصل الهدى إلى الناس لكي يؤمنوا، وهذا ما تثبته لنا سير الأنبياء عليهم السلام، فكم من نبي لم يؤمن به أحد، وكم من نبي لم يؤمن به إلا الزمرة القليلة، وهذا نوح عليه السلام وقد لبث في قومه ما لبث، ومع ذلك: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٠﴾﴾، وقد ادعت قريش أنها لو كان لها كتاب كما للأمم السابقة لكانت من أهدى الأمم، قال تعالى رادًّا عليهم هذه المغالطة: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ فالإشكال ليس في وصول الآيات إلى الناس، بل في إعراضهم وصدوفهم عنها.

فليس وصول الإسلام إلى الناس هو الفاصل بينهم وبين أن يصيروا مسلمين، بل كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ فكثير من الكفار عندما يعرف الإسلام وأحكامه وأوامره ونواهيه، يثقل عليه ذلك ويكبر في نفسه أن يترك ما ألفه من اللهو والمنكر، ويستنكف أن يصبح عبدًا مأمورًا منهيًّا، يستيقظ في أوقات محددة ويذهب إلى المسجد في أوقات محددة، ويمتنع عن كذا وعن كذا، ويقوم بواجب الصلة والبر وما إلى ذلك من الواجبات والأوامر، فيرفض الإسلام من هذه الناحية،

تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣].

وهنا نقف على المسافة الفاصلة بين الهدى والاهتداء، وهي مسافة بعيدة جدًّا، لا يتم اجتيازها إلا بتوفيق الله ورحمته، ومنّه واصطفاءه.

إن المسافة بينهما هي المسافة بين نوعي الهداية: هداية الإرشاد وهداية التوفيق، ولا يملك المربون والمرشدون إلا إحداهما، وهي هداية الدلالة والإرشاد، فالرسول والعالم والداعية، ليس له إلا أن يدل الناس على الله ويرشدهم إليه، أما أن يوصل النور إلى قلوبهم، ويخرجهم من الضلالة إلى الهدى، فهذه هداية التوفيق التي لا يملكها إلا الخالق سبحانه وتعالى، فهو ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على أن الذي يملك هداية التوفيق التي هي ثمرة هداية الإرشاد هو الله عز وجل، قال تعالى لسيد المربين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] لكنه نفى عنه هداية التوفيق إلا لمن علم الله من حاله الاستهداء، وأذن له في الهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، فهو سبحانه يعلم المهتدين،

لا بد من وجود الاستعداد للهداية، ثم السعي لها بأخذ الأسباب الموصلة إليها من الدعاء ثم التمسك بمصدرها الذي هو القرآن

أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦]، فهو سبحانه يعلم المهتدين، ممن قلوبهم قابلة للهداية، فيهديهم ويزيدهم هدى، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧].

فلا بد من وجود الاستعداد للهداية، ثم السعي لها بأخذ الأسباب الموصلة إليها من الدعاء ثم التمسك بمصدرها الذي هو القرآن.

قال تعالى عن ثمود: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٧]، فهداهم الله هداية الإرشاد والدلالة، وعرفهم الطريق الموصلة إليه، لكنه لم يمنحهم هداية التوفيق والاستقامة، لأنهم استحبوا العمى على ما هداهم الله إليه من الحق، وهذه حال فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٣، ١٤] وهذه قصة قديمة جديدة، حيث يترك الإنسان ما يراه حقًّا لما يعرف أنه باطل، فقد استيقن فرعون وقومه بأن الآيات البينات هي من عند الله، وأن موسى مرسل من الله، لكنهم جحدوا بها لسببين اثنين، هما الظلم والعلو، وهما يرجعان إلى أمر واحد هو التكبر.

التكبر هو أساس الظلم، وهو الذي يصرف الإنسان عن الحق، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ وقال تعالى عن إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [ص: ٧٥، ٧٦]، وقال: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤]...

إن المعرفة وحدها لا تكفي لحصول الهداية، والإنسان مهما تعلم وعرف ورأى الحق حقًّا، فإنه قد لا يوفق لاتباعه.

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل

باطلاً وارزقنا اجتنابه»، فإن رأيت الحق حقًّا، فقد حصل لك الإرشاد، وإن وفقت لاتباعه فقد حصل لك التوفيق...

وقبل أن نستمر في الحديث، رأيتك مررت على هذه الآيات واقتنعت بمعانيها، فأردت أن أؤكد على أمر مهم: إن القرآن واضح المعاني سهل الكلام بين الدلالة، فهو ميسر للذكر، قال تعالى ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥].

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول: إذا تقرر أن المعرفة لا توصل إلى الهداية وإذا تقرر أن الهداية لا يملكها إلا الله وحده، فكيف السبيل إليها؟

إن هذا السؤال يهم كل مسلم، لا فرق في ذلك بين سني ولا شيعي، وقضية الهداية هي قضيتنا منذ أن نبلغ الحلم إلى أن نموت، ويمكن أن نجمل أسبابها في سببين اثنين، أحدهما يؤدي إلى الآخر.

أما السبب الأول فهو الدعاء، وأما السبب الثاني فهو القرآن.

ولو ذهبت تبحث عن أسباب أخرى للهداية لوجدتها عائدة إلى هذين السببين، دائرة عليهما، فمبدأ الهداية ومنتهاها يدور حول الدعاء والتمسك بالقرآن.

فالدعاء هو لب العبودية ومظهرها، والمراد من الإنسان تحقيق العبودية التي هي مناقضة للتكبر، فمتى ما حقق العبودية واستكمل الخضوع والخنوع، وأدى الدعاء حقه فإنه لا شك أن الله عز وجل يوفقه للهداية، ما لم يكن فيه مانع من موانع استجابة الدعاء كأكل الحرام أو غيره من الموانع.

قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**» هكذا بين لنا هذا الحديث طريق الهداية وسببها في كلمة واحدة «**فاستهدوني**» والاستهداء استفعال من الهداية، والمعنى أي: اطلبوا الهداية مني، وجعل النتيجة ملازمة للاستهداء فقال: «**أهدكم**».

لقد حصر هذا الحديث الهداية في هذا السبب، ولم يجعل لها سببا سوى الاستهداء الذي هو سؤال الله الهداية، ولم يقل فاطلبوا العلم أهدكم، أو فالزموا الصالحين أهدكم، أو صاحبوا الأخيار أو غير ذلك من الأسباب التي يذكرها الناس

أسبابًا للهداية، وما هي إلا ثمرة من ثمراتها، ومتى ما حققت السبب الرئيس وهداك الله عز وجل، فإنه سييسر لك الرفيق والمعين، لكن متى ما قصد الإنسان صحبة الصالحين وظن أنها سبب الهداية، وأغفل الدعاء، فإنه لن ينال من الهداية إلا الشكل والظاهر من الصفات.

إن كل الناس ضال إلا من أتى بهذا السبب وسأل الله الهداية وخضع في سؤاله وألح على ربه، وتحرى أوقات الدعاء ومواضعه، ونقى قلبه من الاستكبار عن ربه عز وجل.

فيا أيها الحائر لا تتعب، ويا أيها السائر لا ترتب، فليس لك إلا ربك هاديا، وليس لك سوى دعائك وإلحاحك، وبكائك ورجائك، وأن تجتهد في الدعاء ما استطعت وتستمر على ذلك ما حييت، فدعاؤك أملك وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الأهواء والمذاهب والملل والنحل، وليس ينجوا منها إلا من مده الله بمدده، ووفقه بتوفيقه، بعد أن اتخذ كتاب الله سفينة نجاته، فلزمه التزام الغريق بالخشبة، وعض عليه بالأضراس المنجدة.

وقد كان هذا دأب نبينا محمد ﷺ، فقد كان يسأل الله الهداية وهو الذي يوحى إليه من السماء، ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول حين يقوم من الليل: «**اللهم رب جبريل وميكائيل عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت**» وما هذا إلا ليعلمنا أن نعتمد على ربنا في الهداية، ونعرف أننا ضالون إن لم نسلك هذه الطريق وإن لم نبك إلى الله عز وجل كي يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

عجبًا لنا كيف نغفل عن سؤال الله الهداية، ونحن نقرأ سورة الفاتحة كل يوم، وهي أم القرآن التي حوت خلاصته ولبه، والسورة كلها إنما هي سؤال للهداية، وتعليم لنا كيف ندعو الله ونسأله الهداية، فنبدأ بالحمد والثناء، ونذكر الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ونخلص في العبادة له، وأننا لا ندعو سواه ولا نستعين إلا به، ثم ندعوه دعاء هذه السورة العظيم وهو ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦] ثم

فلنترك اعتمادنا على علمنا، أوعلى شيوخنا، ولنلزم باب ربنا كي نحقق الاستهداء الوارد في الحديث، ويجب علينا أن نحس بهذا النقص، ونلازم هذا الشعور بحاجتنا إلى أن نسأل الله الهداية.

إن من رحمة الله بنا أنه لم يوكل أمر هدايتنا لشيخ طريقة، أو عارف حقيقة، أو إمام مذهب، بل جعل ذلك من خواصه العلية، وصفاته الكاملة البهية، فهو الذي خلقنا وهو الذي يهدينا قال الله عز وجل حاكيا لنا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٧-٨١]فسيدنا إبراهيم عليه السلام وهو العارف بربه، بين لنا أن الذي خلقه هو الذي يهديه، وربط بين الخلق والهداية، لنوقن أنه كما لا يخلق إلا الله، فلا يملك الهداية إلا هو سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

قد أكون أطنبت قليلًا في هذه المسألة لكن لا بد لنا في بداية طريق بحثنا أن نوقن أن الهداية منة من الله يمن بها على من يشاء من عباده، وأن السبب الوحيد الذي يجعل هذه العناية الإلهية تتجه نحونا، أن نستمدها بالدعاء والرجاء، فتلك أعظم نعمة يمكن أن ينالها إنسان، فبها تنال الرحمة وتستفتح الجنان، فحقيق بنا أن نسعى إليها جاهدين، ونطلبها من الله خاشعين، لعله أن يرحمنا برحمته آمين.

فحين تصل الهداية إلى القلب يتوجه مباشرة إلى القرآن، وهو السبب الثاني من أسباب الهداية.

إن الدعاء يوصل إلى القرآن والقرآن يوصل إلى الدعاء، وهما مادتين لشيء واحد، أحدهما يربطك بالآخر، فلو قرأت القرآن لأرشدك إلى الدعاء وسؤال الله الهداية، ولو دعوت الله عز وجل فسيوصلك دعاؤك إلى التمسك بالقرآن.

إن القرآن هو مادة الهداية، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١، ٢] وحين تقرأ هذا الإرشاد الإلهي مباشرة بعد سورة الفاتحة، بعد أن

إن القرآن هو مادة الهداية، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢] وحين تقرأ هذا الإرشاد الإلهي مباشرة بعد سورة الفاتحة، بعد أن دعوت الله وسألته الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، يرشدك القرآن إلى السبب الثاني الذي لا ريب فيه، وهو القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فالقرآن كتاب هداية، وهو نور للقلوب، يجلو عنها ظلام الشبهات والشهوات، فكلما استكثرت من مادة الهداية في قلبك، وكلما عشت بالقرآن في حياتك، وتلوته حق تلاوته، واتخذته إمامك وجعلته أمامك، ساقك إلى الجنة بإذن الله.

الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، أنك تجد هذا الكتاب العظيم، بما أودع الله فيه من الهدى والنور، مودعًا في الرفوف، لا يقرأ إلا في المناسبات وعلى الأموات، بحجة أنه لا يمكن فهمه، ولا يوصل إلى معانيه.

فالقرآن يهدي بمعانيه وأحكامه، كما يهدي بجرسه وأصواته، أما معانيه فهي واضحة وضوح الشمس في كبد السماء، ولا تحتاج منا سوى إلى تدبر وتأمل مع قلب صاف من الهوى وإرادة صادقة للحق حتى نرى أنوار الآيات فنفهم إرشاداتها ونحس بمعانيها، وأنا متأكد من أنك يا قارئي الكريم تفهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠] وتدرك أن الله أمرنا في هذه الآية بدعائه ووعدنا فيها بالاستجابة إن نحن دعوناه، وتحس بهول ما ينتظر الذين يستكبرون عن عبادته، حتى وإن لم تفهم معنى كلمة داخرين، لكنك تعرف أن الآية جعلت مصيرهم جهنم وتحس بأن الصفة التي وصف بها دخولهم صفة قبيحة، فهذا المستوى من الفهم هو ما تحتاجه لتصل إلى الدليل.

فلا يصح أن يكون الله قد أرسل هذا الكتاب لهدايتنا وأمرنا بتلاوته وتدبره، ثم

ندعي أنه لا يفهمه إلا ثلة من الناس، أو أن له ظاهرًا وباطنًا، فهذا تناقض يبطل الهدف الأساسي الذي من أجله جاء القرآن، وهو كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

ولو أنكرت علي أن القرآن ميسر لفهم عامة الناس، فافتح الآن المصحف بين يديك وأخرج أي صفحة من صفحاته، واقرأ بتأن وتعقل، فستجد أنك تفهم المقصد الإجمالي من الكلام.

دعك من أن في القرآن متشابهات، وأن بعضها لا يعلمه إلا الراسخون في العلم، فهذه لست مما أنت محتاج إليه في هدايتك، أو في فكاك رقبة من الشرك والضلال، فما يحتاج إليه الناس من الأمور العظيمة لن تجد كلامًا عبر عنها بأوضح مما عبر به القرآن، وأتحدى أي شخص يقول أنه لا يفهم القرآن، بأن يقوم بهذا الاختبار الآن، ويفتح المصحف الكريم ويقرأ من أي مكان شاء، فسيفهم مجمل الكلام، وإن خفي عليه بعض تفاصيله أو ألفاظه.

إن هذا القدر من الفهم، والذي تفهم به كلامي هذا، هو ما تحتاجه لتشرب من مورد القرآن الكريم، وهو ما نحتاج إليه في نقاشنا هذا...

وإن أضفنا إلى هذا شيئًا من الدعاء أن يفتح الله علينا في كتابه، فنحن إن شاء الله من الفائزين.

لكن الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، أنك تجد هذا الكتاب العظيم، بما أودع الله فيه من الهدى والنور، مودعًا في الرفوف، لا يقرأ إلا في المناسبات وعلى الأموات، بحجة أنه لا يمكن فهمه، ولا يوصل إلى معانيه.

وهذه أكبر فرية يجب أن ننفيها عن القرآن الكريم، ولو زعمنا هذا الزعم، لجعلنا القرآن بلا فائدة، ولكان خطاب الله لنا في القرآن بمثابة من خاطب قومًا بغير لسانهم، ثم لامهم على عدم الامتثال لخطابه، وهذا في غاية السخف.

ينضاف إلى هذا أن هداية القرآن لا تقتصر على معانيه العظيمة وتراكيبه العجيبة، بل إن جرس القرآن وأصواته، تعمل في النفس عملاً عجيبًا، فهي تلين القلب وتغمره بالإيمان، وتتردد الكلمات في صدر قارئ القرآن حتى لكأنه يذوق حلاوتها في أنفاسه، فيحصل له

الخشوع لهذه الأصوات، وتؤثر في نفسه وحركاته، حتى إن كان أعجميًّا لا يعرف العربية، وكم رأينا من أناس يبكون لتلاوة القرآن ويخشعون له خشوعًا يؤثر في نفوسهم ويزيد في إيمانهم مع أنهم عجم لا يفهمون منه حرفًا، ولا يعرفون نحوًا ولا صرفًا، وليس هذا بغريب على كتاب لا تنقضي عجائبه، من ابتغى الهداية في غيره أضله الله...

وهذا مصداق قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله» وهذا المقدار من الحديث متفق عليه بيننا، فلنسلم به الآن وسنناقش بقية الحديث في معرض الكلام حول الإمامة، لكن المتفق عليه هو أن علينا أن نتمسك بكتاب الله أولا...

أخي الكريم...

قد جاءنا من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، فلم نسلك غير سبيله القويم؟ ولِمَ نبغي غير مورده الصافي؟ ولم نعرض عنه إعراضًا؟ ثم نتيه نبغي الهداية وهو فينا غض طري كيوم نزل به جبريل عليه السلام!

لو وافقتني على هذه المسلمة، وأن القرآن هو الهدى والنور، فتعال ننظر كيف نحقق التمسك بالقرآن؟

أولاً: الإكثار من تلاوة القرآن وسماعه:

قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ وأمرنا بالاستماع له وحسن الإنصات فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]؛ وأمرنا بتدبره وتعقل معانيه، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]؛ وكل هذه مراحل تضمن التأثر بنور القرآن، ووصول بركته إلى القلب، ويبقى مدى تأثر القلب بعد وصول النور إليه، مرتبطا بدرجة نقاءه واستعداده، وهذا مرتبط بمدى تحقيق القلب للعبودية، ومدى إقباله على الله عز وجل.

ثانيًا: حفظ ما تيسّر من القرآن:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا القرآن مَأْدُبَةُ اللهِ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ شيئًا أَصْفَرَ مِنْ خَيْرٍ مِنْ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَىْءٌ، وَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِى لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَىْءٌ خَرِبٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِى لاَ سَاكِنَ لَهُ».

ثالثًا: فهمه وتدبر معانيه:

إن الفهم نتيجة التدبر ونتيجة التدبر التذكر، وإن من نعم الله علينا أن يسر القرآن للذكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]، إذًا فإن كل ما علينا لكي يحصل لنا التذكر أن نتذكر، إذ أن معنى ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر:١٥] هو الأمر بالتذكر والتدبر.

بقي العقل، وهو حجة الله عليك، فبه تعرف الخير والشر، وفيه غرس الله التمييز بين الحق والباطل، والعقل هو النعمة الكبرى التي مَنَّ الله بها على الإنسان، الآن وقد اتفقنا على المنطلق وجعلنا الدعاء وسيلتنا والقرآن منهجنا والعقل نبراسنا، وتخلصنا من العوائق النفسية التي تعيقنا عن الحقيقة، وعرفنا أن المذهب الذي نحن عليه لا يمثلنا إلا بعد البحث والنقد، فتخلصنا من مذاهبنا ساعة من زمان، هلم على بركة الله نطرح بعض المباحث على مائدة الحوار، ولن يكون حوارنا علميًّا مغرقًا في التفاصيل، بحيث نكتفي بالإشارة إلى أهم القضايا العقائدية دون التشدق في بحث التفاصيل الدقيقة، وتتبع المرويات التاريخية التي لا تعد ولا تحصى. بل نكتفي إن شاء الله بأهم المسائل ونحاول أن نمارس أسلوبًا ممنهجًا للاستجابة للتساؤلات.

* * *

المبحث الأول: الإمامة

لماذا نناقش الإمامة؟

النقاش تبادل آراء، لكنه قد يتحول في كثير من الأحيان إلى صراع بين شخصين، وليس حوار بين فكرتين، وأكبر خوفي أن أقع أنا وأنت ضحية هذا الصراع، ويتحول قارئي إلى مدافع عن مذهبه، ويحس بأن هناك تهجم على شخصه فيقف موقف المحامي عن عقيدته، إذا حصل لك هذا، فاعذرني أتم العذر فليس هذا مقصدي، وبودي أن يبقى التدافع بين فكرتين، فكرة سبقت إلى فكرك بسبب الموطن والمجتمع والأسرة، ولم تترك لك حق الاختيار، وفكرة جديدة ليس لها ذنب سوى أنها لم تكن موجودة في مجتمعك أو وطنك أو أسرتك، ولو أننا افترضنا العكس، لكنت ربما مع المذهب المقابل...

إن منطلقنا في هذا البحث دائمًا، هو أننا لن نترك عملية اختيار المذهب لصدفة أننا من هنا أو هناك، بل سنتدخل في هذا الاختيار، ونعطي عقولنا حقها في النظر، ونرضي شهيتنا من البحث والمعرفة، ثم نستعين بعد ذلك بسر الهداية الكامن في قوله ﷻ في الحديث الذي يرويه عن ربه: «**فاستهدوني أهدكم**» وبعد ذلك، وبعد استفراغ الوسع في البحث والنظر، ليس لأحد أن يلومنا في اختيار مذهب من المذاهب...

ومن أسباب جنوح النقاش عن طريق التحاور الشرعي، انشغاله بمناقشة جزئيات هذا الخلاف، ودخوله في مستنقعات تاريخية لا يمكن أن نبني عليها حقًّا أو نؤصل عليها عقيدة، نظرًا لما داخل التاريخ من أكاذيب وظروف سياسية واجتماعية، لذا علينا ألا ننجر في جزئيات الخلاف ونبقى في مسائله الكبيرة، وعقائده الأساسية، لذلك لن نناقش تفاصيل الخلافات السياسية التي حصلت بين الصحابة ولا جزئيات الخلافات الفقهية أو غيرها من القضايا الجزئية في المذهب، بل سنركز على العقائد الأساسية، وليس هناك ما هو أهم من عقيدة الإمامة، لأنها عمود الدين كما جاء في الروايات، ولأن كل المذهب مبني عليها، فإن ثبتت الإمامة، يمكن أن تثبت صفات الإمام ومعجزاته، وإن أوجبناها أوجبنا وجوده بعصمته وغيبته وخمسه وكل ما يتبع ذلك، وإن انتفت الإمامة، فلسنا بحاجة إلى مناقشة المهدي أو غيبته أو أحكام المتعة

أو التقية أو غيرها من جزئيات العقيدة، بل كلها ستنتفي بانتفاء أساسها العقدي الذي تنبني عليه، ألا وهو وجوب وجود الإمام.

لذلك بودي أن نأخذ هذا الفصل مأخذ الأهمية، ونعطيه حظه من التفكر والتأمل، آخذين بعين الاعتبار أن المقصد رضى الله عز وجل، فإذا كان المبتغى رضى الله عز وجل، فإن كل شيء في سبيل ذلك يهون، ووجود نظرية الإمام أو عدم وجودها، لا يغير شيئًا من واقع الديانة ومبدأ العبودية، فإمكانية قيام الدين دون إمام معصوم لا يرفضها العقل أو النقل، بل لقد قامت دول المسلمين العظيمة، ومُكن لهم في الأرض، واستولوا على معظم دول العالم، وكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وسارت الظعينة من حضر موت إلى مكة المكرمة لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها، دون وجود إمام ممكّن له مبايع، أي أن هذه النظرية إن ثبتت أو انتفت فإن ذلك لا يعني زوال الدين وضياع الإسلام، مما يعني أننا نناقش أمرًا لا ينفي العقل إمكانه، فليس يستحيل في العقل وجود شرع قائم ودولة إسلامية قوية دون إمام معصوم، بل الواقع يشهد بذلك، ولو نظرنا في الدول الشيعية عبر التاريخ، لوجدنا بعضها قامت وقويت واشتد عودها من دون إمام معصوم، وكذلك دول السنة التي مرت عبر التاريخ، مما يعني أننا نناقش أمرًا ليس له كبير أثر في حياة الأمة ومسيرتها الدينية، وهذا يجعلنا نناقش هذه المسألة بصدر أكثر رحابة، فعلى الرحب والسعة ندخل موضوع الإمامة عبر النقاط التالية:

- مقدمة حول مكانة الإمامة عند الشيعة.
- هل يثبت العقل الإمامة ؟
- أنا والإمام.
- هل يثبت النص الإمامة ؟
- وقفات مع الأئمة.

* * *

مقدمة حول مكانة الإمامة عند الشيعة

لا بأس أن نقدم بهذه المقدمة نظرًا لأن بعض إخواننا من الشيعة لا يعرف كثيرًا من تفاصيل عقيدة الإمامة كما يؤصل لها في المذهب، فلا بد من توحيد أرضية النقاش فنقول:

يعتقد عموم المسلمين من غير الشيعة أن الإمامة مصلحة من مصالح الأمة، ويجب على المسلمين أن ينصبوا واحدًا منهم يكون إمامًا لهم ينظر في أمورهم الدينية والدنيوية، ويقيم فيهم حدود الله وأوامره، ويتم اختياره عن طريق البيعة بأن يبايعه جميع من حضروا أو أكثرهم بمن فيهم أهل العقد والحل، أو يكون بالعهد من الإمام السابق عليه، فإذا تم ذلك وجب على الأمة طاعته ما أقام فيهم أمر الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

ولابد أن تتوفر فيمن يختار إمامًا للمسلمين جملة من الشروط، منها:

العدالة، والعلم المؤدي إلى الاجتهاد، والكفاية، وسداد الرأي، وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل، وأن يكون قرشي النسب على الصحيح، إلى غير ذلك مما ذكره العلماء من الشروط المطلوب توفرها فيمن يتولى أمور المسلمين.

هذا هو نظر أهل السنة إلى الإمامة وهي أنها من المصالح العامة التي يفوض النظر فيها إلى علماء الأمة ومجتهديها، تماما كما يقول به أصحاب نظرية ولاية الفقيه.

أما الإمامة عند الشيعة فهي ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا بها، ولا يجوز تفويضها إلى اختيار الأمة، ولا إغفالها، بل يجب على الله وعلى رسوله ﷺ تعيين الإمام، ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر، ويكون أفضل الناس؛ لأنه لا تصح إمامة المفضول عندهم مع وجود الفاضل.

ويقولون إن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب وأوليائه من بعده كل باسمه، ونص علي بدوره على ابنه الحسن، والحسن على أخيه الحسين، ثم جرت الإمامة في أبناء الحسين إلى اثني عشر إمامًا، كل إمام ينص على الإمام الذي يأتي بعده؛ لأن الإمامة لا تصح إلا بنص من الإمام السابق.

وملخص هذه العقيدة في النقاط التالية:

١- أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها.

٢- أن الإمام كالنبي في عصمته وصفاته وعلمه: فالإمام يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدًا وسهوًا. كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان !!

ويجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق.

أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طرق النبي أو الإمام من قبله.

٣- أنه لا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شئونهم وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم، وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة.

٤- أن الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وهم الشهداء على الناس، وأبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه. فأمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم، والانقياد لأمرهم، والأخذ بقولهم.

٥- ما دامت الإمامة كالنبوة فهي لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده،

وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يحكموا فيمن يعينه الله هاديًا ومرشدًا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله تعالى، وإلا بتعيينه.

ولنستمع إلى ما يقوله العلماء:

١ - المحقق الشيعي آية الله جعفر سبحاني يقول في كتابه (الملل والنحل) تحت عنوان (هل الإمامة من الأصول أو من الفروع) ما نصه: (الشيعة على بكرة أبيهم اتفقوا على كونها أصلًا من أصول الدين وقد برهنوا على ذلك في كتبهم، ولأجل ذلك يُعَدُّ الاعتقاد بإمامة الأئمة من لوازم الإيمان الصحيح عندهم، وأما أهل السنة فقد صرحوا في كتبهم الكلامية أنها ليست من الأصول)[١]،وقال: (اتفقت كلمة أهل السنة أو أكثرهم على أن الإمامة من فروع الدين...هذا ما لدى أهل السنة، وأما الشيعة فالاعتقاد بالإمامة عندهم أصل من أصول الدين)[٢].

٢ - وقال محمد رضا المظفر: (نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها)[٣].

٣- يقول الخميني: (الإمامة إحدى أصول الدين الإسلامي)[٤].

٤ - يقول عبد الحسين المظفر: (ولأجل هذا وجب علينا أن نبحث عن الإمامة لأنها أصل من أصول الدين ولا يستقيم بدونها)[٥].

٥ - يقول آية الله ناصر مكارم الشيرازي: (فالإمامة في نظر طائفة الشيعة وأتباع مذهب أهل البيت - عليه السلام - من أصول الدين والأسس العقائدية، بينما تعتبر في نظر طائفة أهل السنة من فروع الدين والأحكام العملية)[٦]، وقال:(لهذا يعتبر

---

(١) الملل والنحل ج١ ص٢٥٧.

(٢) الإلهيات: ٤/ ٩-١٠.

(٣) عقائد الإمامية: ص١٠٢.

(٤) كشف الأسرار: ص١٤٩.

(٥) الشافي في شرح أصول الكافي: ص٤٩.

(٦) نفحات القرآن: ٩/ ١٠.

الإيمان بالإمامة جزءًا من أصول الدين لا من فروع الدين)[1].

أخي الشيعي،،،

إن عد علمائك للإمامة بأنها أصل من أصول الدين ترتب عليه نتائج عظيمة وخطيرة تمثلت في عدّ باقي فرق المسلمين كفارًا مخلدين في النار، وأن إنكارهم للإمامة كإنكار باقي أصول الدين الثلاثة كالتوحيد والنبوة والمعاد، وبما أن حكم المنكر لأحد الأصول الثلاثة مجمع عليه بين المسلمين وهو الكفر والخروج من دائرة الإسلام، فقد عدّوا المخالف لهم في الإمامة كافرًا خارجًا عن دائرة الإسلام مستحقًّا للخلود في نار الجحيم، ووقع إجماعهم على تخليد المخالف لهم في الإمامة في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها كباقي الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين.

لذلك سوف نناقش الإمامة باعتبارها قضية عظيمة يترتب عليها جنة ونار حسب معتقدكم، فأن نحكم على عموم المسلمين أعني أكثر من مليار إنسان بأنهم مخلدون في النار، لأنهم ليسوا معتقدين بالإمامة، هو أمر خطير يجب أن نفكر فيه مليًّا، ويستحق منا أمر كهذا أن نبذل جهدنا في البحث قبل أن ندخل أمة محمد ﷺ في النار بحسب عقيدة لم ينص عليها نص صريح أو عقل صحيح، نعم، لم ينص العقل ولا الشرع على الإمامة، وسوف نرى في هذا المبحث الأدلة العقلية والأدلة النقلية التي يستدلون بها على الإمامة.

فلنطرح الآن قناعتنا المسبقة جانبًا، ولنعتبرها عائقًا من عوائق المعرفة، ولنحاول أن ننظر في هذه الأدلة بتجرد، ونتساءل معًا: هل يثبت العقل الإمامة؟

هل يثبت العقل الإمامة؟

حين كنت في قُم سنة ٢٠٠٦ وكنت أزور آية الله أحمد المددي، وآية الله علي الميلاني وغيرهم من علماء مدينة قم، حيث كنت أطرح عليهم بعض الاستشكالات في موضوع الإمامة وفي غيره من المواضيع، كان الدليل الأهم الذي يساق في أثناء الاستدلال، هو قاعدة اللطف التي أوجبوا من خلالها وجود إمام يكون هو مظهر

---

(١) المصدر السابق: ص١٢.

اللطف الإلهي، وسوف نرى تفاصيل هذه القاعدة وهل يمكنها أن تثبت الإمامة.

ماذا يعنون باللطف؟

يعرف علماء الشيعة اللطف بأنه ما يقرّب المكلف من الطاعة ويبعده عن المعصية.

ويقولون: إن الله تعالى لطيف بعباده، وهذا اللطف واجب عليه سبحانه لأنه رحيم بهم، وبهذا اللطف أوجبوا على الله عز وجل إرسال الرسل، وبما أن الله عز وجل عادل، فقد أوجبوا عليه أن يستمر هذا اللطف وأن لا ينقطع بموت الرسول عليه الصلاة والسلام، فالإمام هو استمرار هذا اللطف.

يقول شيخهم المفيد في النكت الاعتقادية: (اللطف هو ما يقرب المكلف معه من الطاعة ويبعده عن المعصية ولا حظ له في التمكين ولم يبلغ الإلجاء)[١].

ويقول ابن ميثم البحراني في كتابه (قواعد المرام في علم الكلام): (مرادنا باللطف هو ما كان المكلف معه أقرب إلى الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يبلغ حد الإلجاء)[٢].

ويقول العلامة الحلي في (النافع يوم الحشر): (اللطف هو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولا حظ له في التمكين ولا يبلغ الإلجاء)[٣].

وقال الحلي أيضًا في كتابه (كشف المراد): (اللطف هو ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية، ولم يكن له حظ في التمكين، ولم يبلغ حد الإلجاء)[٤].

وكل ما كان لطفًا في التكليف أوجب علماء الشيعة على الله تعالى أن يفعله رحمةً بعباده فيقول شيخهم المفيد: (واللطف واجب على الله تعالى)[٥].

ويقول المحقق الحلي: (واللطف واجب على الله تعالى)[٦]، ويقول أيضا:

---

(١) النكت الاعتقادية ص٣٥.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام ص١١٧.

(٣) النافع يوم الحشر ص٧٥.

(٤) كشف المراد ص١٠٧.

(٥) النكت الاعتقادية لشيخهم المفيد ص٤٥.

(٦) المسلك في أصول الدين ص١١٨.

(الخامس: في أنه تعالى يجب عليه اللطف وهو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية...)[١] وقال أيضًا: (وكل لطف واجب على الله تعالى)[٢].

أخي الشيعي،،،

إن علماءك نصوا على أن الله تعالى كلف المسلمين وأمرهم بمعرفة الإمام المعصوم وطاعته ونهاهم عن الجهل به ومعصيته، ويعتبرون أن هذا التكليف لطف من الله بالمسلمين ليعرفوا إمامهم ويقوموا بواجب الطاعة له، يقول شيخ الطائفة الملقب بالصدوق في كتابه (الهداية): (إنه واجب علينا أن نعرف النبي والأئمة بعده صلوات الله عليهم بأسمائهم وأعيانهم، وذلك فريضة لازمة لنا، واجبة علينا، لا يقبل الله عز وجل عذر جاهل بها، أو مقصِّر فيها)[٣].

وقالوا: إن هذا اللطف شرط في التكليف، وإن التكليف بدون اللطف هو باطل وقبيح ولا يحسن أبدًا:

١ - الطوسي في (تلخيص الشافي): (أنه إذا ثبت للمكلَّف لطف في فعل ما كُلِّفَ به لا يحسن تكليفه إلا بعد حصول ذلك اللطف)[٤].

٢ - المرتضى في كتابه شرح جمل العلم والعمل: (ولا يحسن التكليف من دونه)[٥]، وقال في رسائل المرتضى: (ولا فرق في الوجوب بين اللطف والتمكين، وقبح منع أحدهما كقبح منع الآخر)[٦].

٣- الحلي في الألفين: (وكلما وجب على الله تعالى لكونه لطفًا في التكليف يكون التكليف موقوفا عليه وبدونه لا يحسن التكليف)[٧].

* * *

---

(١) النافع يوم الحشر لعلامتهم المقداد السيوري ص٧٥.

(٢) نفس المصدر السابق ص٩٥.

(٣) الهداية ص ٢٨-٢٩.

(٤) تلخيص الشافي جزء١ ص٨٩.

(٥) المرتضى في كتابه شرح جمل العلم والعمل ص١٠٧.

(٦) رسائل المرتضى (٣/ ١٣).

(٧) الحلي في الألفين ص٢٤٨.

هل تستطيع قاعدة اللطف أن تثبت الإمامة

إن التأصيل لقاعدة اللطف بتلك العبارات الرنانة هو ما يعتبره الشيعة دليلاً عقليًا على وجوب الإمامة، وهو كلام له بريق جميل، يكمن سر هذا البريق في كونه احتوى مجموعة من المعاني المتتالية، وهي في ذاتها معان براقة، ازدادت جمالًا حين تركبت في صورة واحدة، لكن هل يكفي البريق لكي يكون هذا الكلام دليلاً على ركن من أركان الإسلام!

لقد روي في كتب الشيعة أن الإسلام بني على خمس، الصلاة والصوم والزكاة والحج والإمامة، وهي الركن الخامس من تركها ولم يعترف بها فهو خارج عن الإسلام، وهذه مسلمة من مسلمات المذهب.

وإذ اتفقنا على أن نتحرر من قناعاتنا المسبقة لحين الانتهاء من قراءة هذا البحث، مما يعني أننا الآن ننتظر الدليل القاطع لإثبات ركن من أركان الدين ينبني عليه دخول الجنة أو الخلود في النار، فكما يروون عن أبي جعفر أنه قال: (فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لأكبه الله في النار على وجهه)[1]...

إذن، علينا أن نتفق أن أمرًا عظيمًا مثل هذا لا بد وأن يكون له من الأدلة ما يوازي خطره وعلو شأنه، فلو فرضنا أن الأدلة في الشريعة تقدر بالأرقام، وافترضنا أن أقصى درجة في الوضوح هي مائة درجة، لكان ما نحتاجه أن يبين لنا هذا الأمر بدرجة وضوح تصل إلى تسع وتسعين درجة، كغيره من أركان الإسلام التي لو بحثنا عن أدلة فرضها لوجدناها في هذا الوضوح.

فلو افترضنا دليلاً بوضوح خمسين درجة لكان غير كاف ولا يصلح لمثل هذه

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ - ص ١٤٩.

القضايا، لأننا لو افترضنا أن شخصًا رحيمًا أراد إرشاد أتباعه في غابة موحشة مهلكة، وأعطاهم دليلاً إرشاديًّا غير واضح لهم، بحيث يختلفون في داخل الغابة ويضلون، وهو قادر على أن يبين لهم بيانًا شافيًا، لاتهمناه في قصده ولقلنا له لقد كان بوسعك أن تبين لهم بيانًا شافيًا، وكنت تستطيع أن تكتب لهم كلامًا واضحًا لا يختلفون حوله، ومع ذلك فإنك عمدت إلى إخفاء معالم الطريق عنهم، وجعلتها غير واضحة مما أدى إلى ضياعهم في وسط الغابة ومن ثم هلاكهم.

لو قدر أنه يكون مثل هذا، لكنا مصيبين في اتهامنا إياه بالتفريط في مهمته، ولكان مستحقًّا للوم على تقصيره مع قدرته على البيان.

إن في الشرع أمورًا قد تخفى أدلتها على عموم المسلمين، لكن أدلة وحدانية الله وتفرده بالخلق والأمر والملك والتدبير، وأدلة فرائض الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والحج لا يمكن أن تخفى على أحد، وإن كنا قد نختلف في بعض تفاصيلها، لكن أصل إثباتها لا يجوز أن نختلف فيه...

من هنا نطرح تساؤلا حول جدوى هذا الطرح العقلي وهل يكفي لبناء ركن من أركان الإسلام؟ ولو فرضنا أن العقل يثبت لنا اللطف، فهل العقل يثبت لنا أن اللطف لا يكون إلا بالإمام؟

ولكي نجيب على هذا التساؤل ننظر أولًا في طبيعة اللطف الحاصل بالنبي، كي نفهم منه اللطف الحاصل بالإمام.

فإذا كان الإمام مكملًا للنبي كما يزعمون، ومهمته مكملة لمهمة النبي، واللطف بوجوده هو استمرار للطف بوجود النبي، فينبغي أن نبين مهمة الأنبياء ثم ننظر عند ذلك هل الإمام يكمل هذه المهمة، وهل وجوده ضرورة كوجود النبي ؟

إن مهمة الرسل الأساسية هي إرشاد البشر وتعليمهم وتربيتهم، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٤] والآيات كثيرة في هذا المعنى، والذي يعنينا أن نثبت أن الغاية الأساسية لإرسال الرسل هي التبليغ والبيان والتربية، ولذلك كانوا رحمة من الله للناس.

وهذا الهدف من إرسال الرسل لا يتم إلا باحتكاكهم بالناس، ودعوتهم لهم، وقد قاموا بذلك خير قيام، وأوذوا في ذلك أشد الإيذاء حتى إن منهم من قتل ومنهم من عذب ومنهم من طرده قومه، ومع ذلك صبروا واحتملوا، ولما غادر واحد من الأنبياء قومه مغضبا، عاتبه الله أشد العتاب، وحبسه في بطن حوت في قعر البحر، ولم ينجه إلا قوله: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] حين اعترف بظلمه، وتاب إلى الله من تخليه عن مهمة الدعوة.

لسنا نلمز أحدًا بهذا الكلام، ولسنا نشير إلى غيبة المهدي، إذ أننا سنعرج عليها بالتفصيل، كل ما نريده هنا أن نبين بوضوح أن الأهداف التي من أجلها بعث الأنبياء والمرسلون لا تتم إلا بما كانوا يقومون به من الدعوة والبلاغ والجهاد والإرشاد والتوجيه، وخوض المعارك وإجابة السائلين، والسهر على أمور رعيتهم حتى يربوهم خير تربية.

فالدعوة والتربية هما المحوران اللذان يقوم على أساسهما وجود الرسول، وهما مظهر اللطف في وجوده، بل إن اللطف كل اللطف هو ما يحصل بسببه من هداية ينال بها الناس رضوان الله وسعادة الدارين، ولو فرضنا أن رسولًا جاء دون أن يبلغ شيئًا لكان وجوده بلا فائدة، كما أننا لو فرضنا رسولًا لا يجيب سائلًا عن سؤاله، ولا يقضي في مسألة حصلت في أمته، لكان وجوده بلا فائدة، ولم يكن في إرساله لطف بالناس، ولا رحمة بهم.

إلى هذا الحد، نحن نتكلم بالعقل وما هو في مدى إدراكنا، أما إذا ادعينا أن اللطف يحصل بدون بلاغ، أو زعمنا أن الإمام كالشمس غيبتها السحب، كما تقول إحدى الروايات، وأن لطف الإمام لطف خفي، فإننا نكون قد خرجنا عن الاستدلال العقلي الذي نحن بصدد مناقشته، وانتقلنا إلى الاستدلال بالنص، وهو ليس موضوع فقرتنا.

وإذا زعمنا أن هذا اللطف شيء غيبي لا يدرك بالعقل، فيصح أن ندعي ذلك للنبي محمد ﷺ، ونقول إن هذا اللطف الخفي حاصل بسببه، لأنه حي في قبره حياة الشهداء والأنبياء، ويصح أن ندعي ذلك لغيره من الأنبياء أو الأولياء، فالعقل لا يمنع من حصول لطف خفي يجعله الله بأي سبب من الأسباب، بالإمام أو بغير الإمام، كل ذلك متساو في العقل لا يستطيع أن يرجح شيئًا على شيء.

فإذا كان يفترض بالإمام أن يقوم بدور الرسول، وأن يحقق وجوده للناس الدعوة والتربية، فإننا بالرجوع إلى المصادر الشيعية، نجد أن الإمام لم يكن ممكنا من هذا الدور، ولم يقم به كثير من الأئمة بسبب ما كان يحصل لهم من مضايقات من طرف السلطة الحاكمة ظلمًا وعدوانًا، لذلك كان الإمام كما يروون يستخدم التقية في أقواله، فكان لا يستطيع أن يفتي أو يقول ما يعتقده، بل يستخدم التورية على من سأله، فيجيب في المسألة الواحدة بأقوال مختلفة، وتعال معي إلى هذه الروايات:

روى الكليني في الكافي: عن موسى بن أشيم قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين، فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي، فعلمت أن ذلك منه تقية)[1].

ويحكي شعيب العقرقوفي أحد أتباع الإمام الصادق، وكان قد سمعه ينهى عن أكل ذبائح أهل الكتاب. قال: (فلما خرجنا من عنده، قال لي أبو بصير: كلها فقد سمعته وأباه جميعًا يأمران بأكلها. ثم سأل الإمام عن ذلك، فقال: لا تأكلها. قال شعيب: فقال لي أبو بصير: كلها، وفي عنقي. فسأل الإمام ثانية، فقال: لا تأكلها. فقال أبو بصير: سله ثالثة، قال شعيب: فقلت: لا أسأله بعد مرتين)[2].

---

(١) الكافي ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) ذبائح أهل الكتاب - الشيخ المفيد - ص ٩ - ١٠ وبحار الأنوار ج ٦٣ ص ١٥.

وقد اعترف بذلك شيخهم الطوسي وهو يحاول وجود حل لهذه المعضلة، قال: (ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا، بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا)[1]..

وقد كان هذا كما اعترف علماؤهم سببًا لرجوع الكثير من الناس عن المذهب وسنذكر أمثلة لهذه الاستعمالات للتقية التي قطعت المذهب، وملأته بالاختلاف والاضطراب، ليضيع ما أصلوه من اللطف بوجود الإمام، والأمر بطاعته، وأنه معصوم، وغير ذلك، وكما ذكر الطوسي فإن هذا من أكبر الطعون على المذهب، فكل ما حاولوا إيراده لإثبات وجوب وجود الإمام، وأنه لطف لازم لحفظ الشريعة وهداية الخلق، قد انتقض، فأصبح الإمام وأقواله سببًا للاختلاف والاضطراب، وتضليل الناس، فيفتي مرة بالإباحة ومرة بالتحريم، ومرة يفسر الآية بمعنى ومرة بمعنى آخر.

وقد استشكلوا هذا على أئمتهم، روي عن سماعة بن مهران قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام قلت: يرد علينا حديثان، واحد يأمرنا بالأخذ به والآخر ينهانا عنه، قال: لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله، قال: قلت: لابد من أن نعمل بأحدهما، قال: خذ بما فيه خلاف العامة). قال المجلسي معلقًا: (أمر عليه السلام بترك ما وافق العامة لأنه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقية وما خالفهم لا يحتمل ذلك)[2].

وهذا من الحلول التي رأوا الخروج بها من هذا الاضطراب والاختلاف، فقرروا أن ما خالف العامة هو الحق، إمعانا في الفرقة، وتثبيتا للعداوة...

---

(١) تهذيب الأحكام –الطوسي- ج١ ص٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ - ص ٢٢٤.

(فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم قال: ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة، قلت: جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة والآخر يخالف بأيهما نأخذ من الخبرين ؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه يميلون فإن ما خالف العامة ففيه الرشاد، قلت: جعلت فداك فإن وافقهم الخبران جميعًا قال: انظروا إلى ما يميل إليه حكامهم وقضاتهم فاتركوه جانبًا وخذوا بغيره، قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعًا ؟ قال: إذا كان كذلك فارجه وقف عنده حتى تلقى إمامك فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات)[1].

لذا فإننا نستطيع أن نجزم أن دور الإرشاد الذي يقوم به الرسول، لم يقم به الأئمة، نظرًا للظروف السياسية التي كانت تفرض عليهم التقية، على زعم الروايات.

بقي دور التربية، وهو ما لم ينجح الأئمة فيه، فقد كانوا يشتكون من كثرة المنافقين من حولهم، فقد روي عن الإمام أبي عبد الله أنه قال: (إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ[2] لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبو عبد الله عليه السلام الحارث الشامي وبنان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين عليهما السلام). [3]

وأظن أن هذا الطرح لن يكون مستهجنا لدى كثير من الشيعة، لأنهم يعتقدون أن

---

(١) بحار الأنوار ج١٠١ ص ٢٦١ – ٢٦٣.

(٢) الغريب أنهم ينكرون وجود شخصية ابن سبأ، وهذه واحدة من عدد من الروايات ورد ذكره فيها.

(٣) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٢٥ ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

الرسول ﷺ لم ينجح هو كذلك في تربية من حوله، ولم يستقم منهم بعد وفاته إلا أربعة أو ستة كما تزعم الرواية، روى الكافي وغيره عن أبي عبد الله أنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار ؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة)[1].

أما دور قيادة الأمة وحماية بيضتها ومجاهدة أعدائها، فهذا قطعًا لم يحصل من الأئمة، لأنهم لم يتسلموا مقاليد الحكم.

فإذا كنا نزعم أن وجود الإمام ضروري لهداية الناس، وليكمل دور الرسول فإن الواقع يبين لنا أن هذا لم يحصل، وأن الإمام لم يتمكن من أداء مهمته، فلم يكن في وجوده لطف ظاهر، ولم يكن يقدر على إرشاد الناس وتعليمهم لظروف التقية، ولم ينجح في تربيتهم إلا القلة القليلة منهم، ولم يتمكن من الوصول إلى سدة الحكم كي يقيم العدل ويحكم الشريعة، فليس في وجوده أي لطف ظاهر.

قد يقول قائل إن من الأنبياء من لم يستجب الناس لدعوتهم، فيأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد، كما ثبت في الأحاديث، وهذا القياس ليس بصحيح، لأن نبوة النبي قد ثبتت لنا بطرق أخرى، أما الإمام فإن مدار إثبات إمامته هو قاعدة اللطف هذه، فإذا ثبت أن هذا اللطف الذي أثبتنا بسببه إمامته لم يحصل، فمعناه أن إمامته ليست لطفًا، وليست ضرورة كما يقولون، لذا فإن عدم حصول اللطف ظاهرًا هو نقض لما استدلوا به على الإمامة. فإن قلت: إن إمامته ثابتة بأشياء أخرى، فإننا نريد أولا أن نهدم قاعدة اللطف هذه، قبل أن ننتقل إلى الأدلة الأخرى، لنرى إن كانت ستثبت لنا الإمامة أم لا؟

فإن قالوا: إن الإمامة واجبة لأن بها يحصل اللطف الذي هو هداية الناس وتربيتهم وإرشادهم، ثم ثبت أن الإمامة لم يحصل بها أي شيء من ذلك، فهذا ينفي

---

(١) بحار الأنوار - المجلسي - ج ٢٢ - ص ٣٣٣ والكافي ج٨ص ٢٩٦ ومستدرك الوسائل – الميرزا النوري- ج١١ ص٦٢ .

الاستدلال بالإمامة من هذا الوجه، وإن كان لا ينفيه من وجوه أخرى، فقط نريد أن نبطل الاستدلال باللطف على وجوب الإمامة.

فإذا قالوا: إن هناك لطفًا ظاهرًا ولطفًا خفيًّا، وإذا انتفى اللطف الظاهر فلا يعني ذلك انتفاء اللطف الخفي، فإنا نقبل هذا التفريق تنزلًا، لكني أريدك أن تقر معي أن اللطف الظاهر، لم يظهر لنا منه شيء في حياة الأئمة، خصوصًا إن وصلنا إلى الإمام الثاني عشر، الذي لم يره أحد من الناس، أما اللطف الخفي فليس لنا أن نثبته أو ننفيه إلا بدليل نصي، لأن العقل لا يستطيع إثبات ذلك أو نفيه.

نعم،،،

العقل لا يستطيع أن يثبت لطفًا خفيًّا إلا إذا اعتمد على النص، ونحن نبحث هنا عن دليل عقلي يثبت لنا وجوب الإمامة، لا أن نثبتها بالنص، إذ لا يكون في كلام المعصوم حجة ما لم نثبت عصمته بدليل خارجي من عقل أو من قرآن، وسوف نرى موقف القرآن من الإمامة لاحقًا، لكننا نقول إن العقل لا يمكن أن يثبت الإمامة بدليل العقل فقط، بل لا بد أن يفتقر إلى النص.

إن ادعاء لطف خفي بسبب الإمام، ادعاء لا يقوم على دليل عقلي، فلو افترضنا أن اللطف لا بد أن يكون بشخص من الأشخاص، فبأي دليل تجعل هذا الشخص الذي حصل به اللطف هو إمامك أنت، وليس شيخ الطائفة الفلانية، أو إمام الطائفة العلانية، بل قد يدعي مدع أن هذا اللطف الخفي، موجود بالرسول محمد ﷺ، وهو ما زال حيًّا في قبره كحياة الشهداء والأنبياء، وأن حياته ﷺ في قبره، هي سبب اللطف الخفي، أو يقول قائل إن هذا اللطف حاصل بوجود الكعبة بيت الله الحرام، أو بوجود الخضر عليه السلام، أو بوجود عيسى وهو حي في السماء، ألا إن كل هذه الادعاءات متساوية لدى العقل، لا يستطيع أن يثبتها أو ينفيها أو يرجح واحدًا منها على الآخر إلا بدليل نصي.

فإن أرادوا أن يثبتوا أصل اللطف بالعقل ثم يثبتوا أن الإمام هو سبب اللطف بالنص، فإننا نرفض هذه التركيبة العجيبة التي نصفها عقل ونصفها نص، لأن هذا

الدليل العقلي ليس هو الذي دار عليه الاستدلال، وإنما تم استغلال هذه المقدمة العقلية ليركب عليها نص هو محط بحث وجدال لم يسلم لنا العقل بثبوته، فالنص هو الذي استخدم كدليل في هذه الحالة وليس العقل، وكل ما يستطيع أن يثبته العقل هو أن الله لطيف بعباده وأن هذا اللطف يجب أن يستمر، أما كون اللطف بالإمام أو بغيره أو كون اللطف يكون خفيًا أو ظاهرًا، فكل هذا مما يتبرأ العقل من إثباته أو نفيه ويكل ذلك كله إلى النص.

إن الفصل بين مرحلتي الاستدلال بالعقل ثم بالنص ضروري جدًّا، وكثير من العقائد الباطلة استطاعت أن توجد لها مرتعًا من خلال الخلط بين الأدلة العقلية والأدلة النصية، فلا قيمة لنص المعصوم ما لم نثبت إمامته وعصمته، ولا يمكن أن نثبتها من كلامه هو لأننا نكون قد وقعنا في تناقض فظيع، إذ كيف يدعي شخص أنه معصوم ونصدقه على أساس أنه معصوم، بل لا بد أن تثبت عصمته من طريق آخر، كما ثبتت لأنبياء الله بالحجج والمعجزات التي أتوا بها إلى أقوامهم.

إذن الحس ينفي لنا اللطف الظاهر، ويثبت لنا أنه لم يكن موجودا نظرًا للظروف التي كانت تحيط بالإمام، والعقل يتبرأ من اللطف الخفي، لأنه لا يمكن أن يثبته أو ينفيه، وإن أثبته فلا يستطيع أن يثبته لأحد دون أحد.

فالمسألة برمتها راجعة إلى النص، أما العقل فلا يمكنه أن يثبت لنا أن لطف الله لا يحصل إلا بالإمام، وأن الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت بأهلها، هذا كله لا يثبت إلا بدليل نصي، والعقل من ذلك كله براء.

ثم إنه من حقنا بعد هذا المبحث أن نتساءل السؤال التالي:

ما حاجتنا إلى إمام معصوم وقد كملت الشريعة ؟

استمعنا إلى العقل حين حاول أن يثبت الإمامة، وتبين لنا أن العقل لا يقدر على أمر كهذا إلا بنص معصوم، والآن نستمع إليه وهو ينفي الإمامة ويبين أننا غير

محتاجين إليها.

وماذا يضرنا أن نستمع، فلنستمع، تفضل أيها العقل...

إننا نعرف أن الرسول ﷺ لم يمت إلا بعد أن أكمل الدين وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين، وقال الله في ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] فكمل الدين، وفتح باب الاجتهاد، وهو ما يشير إليه الجزء الثاني في الآية، حين تحدثت عن بيان أحكام المضطر.

لقد كمل الدين من عند الله، وانقطع الوحي من السماء، وأنزل الله على الناس ما يصلح لهم دينهم ومعاشهم، ولم يبق لهم إلا التمسك بالشريعة وتطبيقها كي تحصل لهم السعادة، فما دور الإمام إذن؟

إذا قلنا أن هناك أمورًا في التشريع ما زالت لم تبيّن، وأحكامًا ما زالت لم تشرع، فإن الأمة كلها ستشير إلينا بأصابع التكفير، وعند ذلك فقط تكون نظرية الإمام ضرورية، فلا بد للتشريع من شخص معصوم ملهم يعلم الغيب ولا يجوز عليه سهو أو نسيان، كي يكمل ما لم يكمله النبي مما يحتاج فيه إلى تعليم الله ووحيه.

فلنمش مع هذه النظرية قليلًا لنرى أهي صحيحة أم باطلة بطلانًا بينًا!!

إذن قام علي رضي الله عنه بتبيين ما لم يبينه رسول الله ﷺ، وقام الأئمة من بعده بإضافة أحكام وتشريعات لم يأت بها رسول الله ﷺ، ولماذا لم يأت بها محمد ﷺ؟ ليس هناك سوى احتمالان: إما أنه علم ذلك وأخفاه، وحاشاه ﷺ أن يخفي شيئًا من الدين، وإما أنه لم يعلم ذلك الأمر الذي بينه الإمام، ولم يعلمه الله له، وهنا نكون بين احتمالين، إما أن ذلك الأمر مما يحتاج الناس إليه، وإما أنه مما لا يحتاج الناس إليه، فإن كان مما يحتاج الناس إليه ولم يعلمنا الله به، فهذا قدح في مقام الرسالة، إذ كيف يعقل أن أمرًا مما نحتاج إليه في عبادتنا، يبقيه الله عز وجل مخفيًا عنا؟!

ولنفترض أن كل هذه المستحيلات حصلت، وأن هناك أمورًا من الشريعة بقيت

خافية لسبب من الأسباب، فإن الإمام الثاني عشر قد اختفى منذ ما يقارب اثنا عشر قرنًا، مما يعني أن التشريع انتهى عند اختفائه، ولا يصح أن نقول أن التشريع لم ينته إلى الآن، وأن هناك أمورًا في الشريعة ما زالت لم تظهر، فمتى ستظهر إذن؟ عندما يخرج المهدي؟!! وما الفائدة من شريعة لا تظهر إلا بعد قرون طويلة، ويبقى الناس غارقين في الضلال!..

في الحقيقة إن اعتماد الشيعة على نصوص الأئمة في الأحكام، إما لأن النبي ﷺ لم يبينها وبقيت خفية حتى بينها الأئمة، أو لحكمة أخرى يعلمها الله ولا نعلمها، لكن ذلك كله قدح في مقام الرسالة وتنقيص من مهمة الرسول.

لذلك يمكننا تلخيص الخلاف بين الرأيين، بين من يقول أن التشريع انتهى بموت الرسول ﷺ وبين من يقول إن التشريع لم ينته بموته، إنما هو مسألة مدة التشريع، فأهل السنة ينتهي التشريع عندهم بموت الرسول ﷺ في السنة الحادية عشر للهجرة، والشيعة يأخذون نصوصًا معصومة من بعد الرسول ﷺ بعشرات السنين، ولا ينتهي النص المعصوم عندهم إلا باختفاء الإمام أو بدخوله في الغيبة الكبرى يعني سنة ٢٦٠ هـ.

فأيهما أهدى سبيلًا، الذي له شخص واحد يأخذ منه الشريعة؟ أو الذي له أشخاص كثر أحاطت بهم ظروف أمنية وسياسية جعلتهم يناقضون في أقوالهم خوفًا من القتل؟ تأمل جيدًا في هذا السؤال.

إن كل ما تقدم هو باطل في نظر العقل، لأنه لا يعقل أن يكون الرسول قد مات دون أن يبلغ شيئًا مما أمره الله بتبليغه، ولا يعقل أن يكون الله عز وجل يعلم أمرًا ثم يخفيه عن عباده وهم في حاجة إلى معرفته.

ولا يعترف العقل إلا بأمر واحد، أن الرسول لا بد أن يكون أكمل مهمته وأدى رسالته، وهو ما يقره القرآن ويشهد له الواقع.

فإن كان الشرع قد كمل، فإننا لسنا في حاجة إلى معصوم، وكل ما نحتاج إليه مجموعة من أهل العلم والاجتهاد، ينظرون في أصول الشريعة، ويستخرجون منها

أحكام ما لم يكن النص متجهًا إليه مما يستجد من أحوال الناس ومعاملاتهم، وهو دور العلماء الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ولا يذهبن ذهنك إلى أنهم الأئمة، فالقرآن ليس كتاب ألغاز وأحاجي، ولو كان أراد الأئمة الاثنا عشر لكان في الألفاظ العربية ما هو أصرح وأبين وأجلى.

وفي الحقيقة هذا ما وصل إليه الشيعة في نهاية المطاف، فبعد أن غاب الإمام، رجعوا إلى ما عليه أهل السنة، فبدؤوا يجتهدون في النصوص ويقيسون ويستنبطون، وأجازوا لمجتهديهم النظر واستخراج الأحكام الفقهية المستحدثة من النصوص الشرعية، وهو ما عمل عليه أهل السنة منذ وفاة رسول الله ﷺ، فما زالوا يعملون الفكر في النصوص، ويقيسون ويجتهدون، ويفتون الناس فيما حدث مما لم يكن فيه نص من قرآن أو سنة.

فإن كان الإمام سيأتي بشرع جديد فنحن نحتاج إلى عصمته، وإن كان سيجتهد كغيره من العلماء، فلا حاجة للعصمة ولا ضرورة لها.

ثم ما فائدة عصمة الإمام، ونحن يفصلنا عنه إحدى عشر قرنًا من الزمان، فنحن لم نسمع النص ولم نر الإمام، وإنما بلغنا النص من طريق الرواة الذين رووا عن الإمام، وهؤلاء ليسوا معصومين عن الخطأ، بل كان فيهم المتهمون والكذابون والمنافقون، فرجع الأمر إلى أننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذا قول الإمام، أو أنه مفترى عليه من بعض أعدائه، بل الأطم من ذلك أننا وإن عرفنا أنه قول الإمام، فإننا لا نعرف أهو تقية أم لا!! فما فائدة هذه العصمة إذن؟

إن العصمة التي كانت لتعطينا حجية في النص، وتقينا شر الاختلاف، قد تلاشت بالطريق التي بيننا وبين الإمام، وهي مليئة بالكذابين والمفترين، وبالتقية التي كان يلجأ إليها الإمام حتى كان يفتي في المسألة بقولين وثلاث وأربع، وزاد الأمر غموضًا، ما كان يعيشه الإمام والرواة من التقية والسر في نقل الأحاديث، حيث كان من السهل التلاعب فيها بشكل أكبر من النصوص النبوية التي حظيت بظروف في النقل أقل ما

يقال فيها: إنها أحسن من ظروف الأئمة بكثير.

فعلى الأقل رواتها أعدل من الرواة الذين كانوا مع الأئمة، وهذا هو الأصل، أنهم يكونون أفضل من غيرهم لصحبتهم النبي ﷺ وتزكية القرآن لهم، وإن أنت كنت تشكك في ذلك، فهم أولى بالعدالة من أصحاب الإمام على كل حال، فليس من شرب من العين كمن شرب من القنوات، وليست تربية الرسول ﷺ كتربية غيره ممن سواه.

أخي الشيعي،،،

لقد عاش الشيعة أعوامًا كثيرة، وهم على فقه أهل السنة، حتى جاء جعفر الصادق كما ثبت ذلك في الروايات، ولو رجعت إلى فقه أهل السنة وفقه الشيعة لما رأيت بينهم في ذلك خلافًا كثيرًا، إلا في مسائل معدودة، وهذا هو ما جعل بعض أهل السنة من الأزهر الشريف وغيرهم يفتون بأنه ليس ثمة فروق كبيرة بين المذهب الجعفري وغيره من مذاهب أهل السنة، لأن أصول كثير من المسائل متشابهة، والفوارق العملية في العبادات تكاد تكون معدودة، بل إن أغلب ما خالف فيه الشيعة هو مسائل الإمامة وما يتعلق بها من أحكام، وما تكفيرهم للصحابة وقولهم بالتقية والغيبة وغيرها إلا توابع لمسألة الإمامة، ولو فرضنا أن مذهب الشيعة لا يعترف بالإمامة، لما كان بينهم وبين أهل السنة فرق كبير.

كل هذا مما يدلك على أن الناتج من عقيدة الإمامة، فوارق بسيطة في العبادات، أي أن كل ما كنا نتجادل حوله من مسألة الإمامة والاعتقاد بها، واستمرار التشريع بالمعصومين ما يقارب المائتي عام، كل ذلك لا طائل تحته في مسائل العبادات، ولسنا في حاجة إليه، فكل ما يقولونه حول دور الإمام الذي يجب أن يكون معصوما ويعلم الغيب ويطلع على اللوح المحفوظ، كل ذلك لا يضيف في عبادتنا أحكاما كثيرة، إلا إن زعموا بأن عبادتهم ناقصة، وأنهم لا يعبدون الله كما أراد إلا حين سيجيء الإمام! وهذا لا يقول به أحد.

أخي الشيعي،،،

إنك تجازف بالاعتقاد بمجموعة من العقائد تتعلق بالإمام، ليس عليها برهان، بل البرهان النصي والعقلي على خلافها، مع ذلك تجد أن هذا الإمام لم يأت بشيء كثير، وما أتى به أفسدته التقية والرواة والدخلاء، والظروف السياسية التي أحاطت بحياة الأئمة وألجأتهم إلى تغيير أقوالهم.

فإذا أزلت مسائل الإمامة وأحكام الزيارات واللطميات والمناوح وغيرها من الأمور العجيبة، لم يبق من المرويات في الأحكام شيء كثير.

المشكلة الكبيرة التي تجعل كلامنا هذا هراء لا فائدة فيه، ويجعل نقاشنا بلا جدوى، ويؤرقني حالة كتابتي لهذه الصفحات، أن مذهب الشيعة قد عزل أتباعه عن الكتب والمصادر، ولم يترك لهم سوى المعمّم مصدرًا للتلقي، فهو يأمر وهم يطيعون، وهو يقول وهم ينفذون، وهكذا يصبح دوره مقدسًا في التركيبة الاجتماعية لدى الشيعة التي تجعل الناس كلهم مقلدين لهذا المعمم، ولا علاقة للناس بالإمام ولا بما رواه الإمام، ولا بالنص المعصوم بالإمام فهم حقيقة لا علاقة لهم بالإمام، ولو أرادوا ذ لك لما استطاعوا فليس هناك كتاب صحيح يمكن للعوام الاطلاع فيه على أقوال الإمام، بل خيرهم من يستطيع أن يقرأ كتابا في الأحكام العملية.

أما أهل السنة فإن آحاد عوامهم، يعرف الكثير من الأحاديث، بل يمكنه أن يدخل معك في نقاش متعمق حول مسألة من مسائل الفقه أو حكم من أحكام الصلاة، وتجده يناقش ويستدل على رأيه، ويورد لك أحاديث حفظها بكثرة ما سمعها، حتى أصبحت متداولة على ألسنة الناس.

وهذا فارق أساسي بين الشيعة والسنة، فالشيعي لا يعرف نصوصًا يستطيع أن يستدل بها على ما يفعله، بل دليله هو المرجع الذي يتبعه، والمعمم الذي يبلغه بكلام المرجع، وهنا يبقى الشيعي محجوبًا عن النصوص، لا يملك أي وسيلة للحكم على عقيدته أو عباداته.

يصبح كلامي غير ذي بال، لأنك أخي لم تتعود انتقاء الأحكام والبحث عن

الحق بين الآراء، ولم يربوك على الارتباط بالنص، والتحري عن مدى صحته وضعفه، وهذا ما يجب أن نغيره الآن، ونعوّد أنفسنا التمحيص والبحث، ونكلّفها عناء إيجاد طريق الحق الذي ينتهي إلى الجنة، فهي الغالية، وهي التي تستحق منا الكثير من الجهد والكثير من التعلم.

تعال واقرأ معي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، فأين تجد ا لإمام في هذا النص؟ إن كان أولو الأمر هم الأئمة، فاقرأ بتأمل، وانظر إلى من تحيلنا الآية عند الاختلاف مع أولي الأمر، فإن تنازعتم مع أولي الأمر فردوا الشيء المتنازع إليه إلى الله ورسوله. أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وتعال اقرأ معي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤] فأين الإمام في هذه الآية وهي تأمرنا أن نستجيب لله وللرسول، لا إلى سواهما!

دعنا ننظر بعمق أكثر، ونرى أين يتجلى الإمام في حياتك أخي الشيعي لعل الصورة تتضح أكثر،،،

أنا والإمام

أخي الشيعي...

لقد وضعت نفسي مرارًا في مكان الشيعي وتساءلت ما حاجتي إلى الإمام؟ وماذا يعني لي في حياتي اليومية؟

وقد عشت مع هذا التساؤل فترة من الزمن، وأخذ بعده في مخيلتي، فتعال معي إن كان عقلك قد طرح عليك هذا التساؤل من قبل، وأردت أن تعرف ما العلاقة بينك وبين الإمام.

لماذا الإمام؟

من هنا انطلق بي التفكير، وكانت الإجابات في نفسي هكذا: الإمام هو حجة الله على خلقه، ولولا الإمام لساخت الأرض بأهلها، وما دمت في هذه الأرض وواحدًا من خلق الله، فالإمام حجة علي، إذن لا بد أن يكون لهذا الإمام أثر علي في سلوكي وأخلاقي ومنهجي في الحياة.

نعم، تعلمنا من الإمام الحسين التضحية، وتعلمنا من الإمام جعفر العبادة، ولكن ما دخل هؤلاء المعممين الذين يأخذون مالك كل سنة باسم الإمام؟

لقد ضحى الإمام الحسين ﷺ بنفسه من أجل مبادئه العظيمة، ومن أجل أن يحدث تغييرًا في حال الأمة، لكن هل هو وحده الذي ضحى هذه التضحية العظيمة؟

لقد ضحى الأنبياء العظام من قبله، وقتلوا وعذبوا وطردوا من ديارهم، ونشروا بالمناشير، وهكذا ضحى محمد ﷺ، حتى سقطت ثناياه وجرح وكاد أن يقتل، وحوصر هو وقومه في الشعب حتى أكلوا أوراق الشجر من الجوع.

بل ضحى أناس حتى من أجل مبادئهم الضالة، فقد ضحى أرنستو شيكيفارا من أجل نصرة بلاده حتى قتل ليصبح رمزًا من رموز الثورة والعدل.

لسنا نقارن بين شخصين، وإنما نقارن بين موقفين تربى عليهما أجيال، فلست أريد أن يتم استغلال قضية الحسين والمبالغة في توظيفها لنجعل منها قضية تخدم اعتقادنا المسبق في الإمامة، رحم الله الحسين ولعن قاتله إلى يوم الدين.

ثم ماذا ؟

الذي أريد أن أجيب عنه في هذا التساؤل هو الحجية التي يمدّني بها الإمام، لكي أعرف الله عز وجل وأحقق هدفي في الحياة الذي هو: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهل خدمني الإمام وعقيدة الإمامة في أن أحقق هذا الأمر العظيم الذي خلقت له هذه الحياة كلها؟

وهذا يجرنا إلى التساؤل حول ماهية الدور المناط بالإمام حتى يكون حجة علي أمام الله عز وجل، وهذا الدور يتجلى في ثلاث قضايا أساسية:

أولا: التبيين والإرشاد.

ثانيا: التربية وتقويم السلوك.

ثالثا: القيادة والنصرة.

أما التبيين والإرشاد، فهو دور قام به الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، ولم يترك منه شيئا، ولم يمت الرسول ﷺ إلا بعدما أتم الرسالة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده، ولو قلنا غير ذلك لاتهمنا الرسول الأعظم في دوره الذي أتى من أجله وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤].

وأما التربية والسلوك فهي متحصلة بالقدوة الأولى الرسول الأعظم ﷺ وأما الأئمة فما ورد عنهم من أحاديث وحكم أفسدها الرواة الذين يكذبون على الأئمة كما قال جعفر رحمه الله قال: إنا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس.

وأما القيادة والنصرة، فهذا لم يحصل لنا منه شيء، وما زال المعممون يتحكمون في مصيرنا، حالنا كحال كل شعوب العالم، التي يحكمها بشر يخطؤون ويصيبون.

فماذا أفادني الإمام؟

ولماذا غاب عني وأنا في أمس الحاجة إليه؟

إن كنت فعلاً محتاجًا إلى الإمام في حياتي وديني، فلم غاب عني؟ إن كان غيّبه خوف القتل، فليس القتل عيبا، ولقد قتل الصالحون والمصلحون فلم يمنعهم ذلك عن أداء الرسالة، ولم يتغيب منهم أحد عن قومه أو يترك التبليغ مخافة القتل، إلا نبي الله يونس، فقد ذهب مغاضبًا فعاتبه الله عز وجل ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ﴾ [الصافات: ١٤٢-١٤٤]ولو كان أحد يخاف القتل، فهو سيد البشر ﷺ الذي اجتمعت عليه قبائل العرب كلها، لكنه

استمسك بربه حتى نصر الله دينه وبلغ هو ما أوحي إليه من ربه.

وإن كان غاب لأن الناس لم يصدقوه، فما ذنبي أنا كي يحمّلني الله عز وجل ذنوب قوم آخرين، ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ فلو جاء الإمام لكنت صدقته ونصرته واتبعته.

إن كان يقنعك الجواب بأن الإمام وهو غائب له آثار كونية، فهو لا يقنعني، فليس عليه دليل عقلي، كما أنه لا دليل عليه من القرآن، فقد يكون الإمام هو سبب اللطف، وقد يكون غيره من الملائكة أو الأنبياء، ولم لا يكون هذا اللطف بسبب عيسى عليه السلام، الذي هو حي عند ربه في السماء؟ أو بسبب النبي الأعظم، فهو حي في قبره مثل ما قال الله عن الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] فهو حي عند ربه يرزق، فلم لا يكون هو سبب اللطف؟

فجوابي المنطقي عن غيبة الإمام، هو أني لا أحتاج إليه، ولم يكن الله عز وجل ليغيب حجته عني، فالحجة يكون لها أثر في إيقاع الحجية على الناس، وما دام هذا الإمام غائبًا فلا حجة فيه علي ولا على أي أحد، والحجية في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، قال الله عز وجل في القرآن: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولم يقل أئمة مبشرين ومنذرين!

ثم لماذا انحصر عدد الأئمة في اثنا عشر إمامًا؟

إن المنطق الذي جعلني أنظر لوجود الإمام بأنه ضرورة كي يستمر اللطف، هو نفسه الذي جعلني أتساءل الآن، لماذا انحصر عدد الأئمة في اثنا عشر إمامًا؟

عندما أقنعوني بضرورة وجود الإمام كان ذلك بمقدمات كثيرة حتى تصورت أن وجوده ضروري لحفظ الدين واستنباط الأحكام الشرعية الحادثة: «إن استنباط أحكام الحوادث التي لا حصر لها والتي ستقع حتى يوم القيامة من الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الأحكام أو من أحاديث الأحكام المحدودة جدًّا للنبيِّ الأكرم ﷺ عملٌ صعبٌ للغاية ومعقّدٌ وخارجٌ عن إمكانية البشر العاديين... لا يمكن

لأيِّ بشر عاديٍّ أبدًا بعلمه المحدود أن يستخرج ويستنبط من هذه النصوص والمستندات المحدودة أحكام الموضوعات والحوادث المتزايدة للمجتمع الإسلامي، بل لا بد من فرد مؤهّل يملك استعدادًا خاصًّا كي يستخرج من خلال التعليم الإلهي والغيبيّ أحكام مثل هذه الحوادث من تلك الأدلة المحدودة ويضعها تحت تصرّف الأمة»[1].

فإن كان هذا صحيحًا، فلم انحصر العدد في اثنا عشر، مع أن هذه الحاجة مستمرة متجددة؟

«.. فإن لم يتم نَصْب وتعيين إمام بعد نبي الإسلام ﷺ حتى يبيِّن للناس حقائق الدين ويفسّر مجملاته ويفصّل كلياته، فإن الدين سيتعرض للتشويه والتحريف وفي النهاية الناهية إلى المحو والاندثار. ذلك أن حقائق الدين ليست موجودة في القرآن على ذلك النحو الذي يمكن لعامة الناس أن يستفيدوها منه، ونحن بحاجة إلى سنة النبيّ لأجل أكثر الأحكام والحقائق الدينية. ومن الجهة الأخرى لا يوجد ضمانة لبقاء روايات النبيّ وأن لا تتعرض للنسيان والزوال. إضافة إلى ذلك لعبت يد السياسة في ذلك الزمن في الروايات ودسّت روايات كاذبة ومختلقة بين الروايات الصحيحة أو بدلًا منها كما أن القرآن ذاته قابل للتأويل والتفسيرات المتنوعة»[2].

فما هو مصير الناس في عصر الغيبة إذن ومن الذي سيبيِّن الحقائق التي لم يتم بيانها وأحكام الحوادث والموضوعات المستجدَّة للناس ومن الذي سيمنع وقوع الدس والتحريف وانمحاق تعاليم النبيّ وكذلك تعاليم الأئمة السابقين ويحول دون انحراف الناس؟ ما هو مصير الإسلام في هذه الحالة ومن الذي سيمنع تحريفه وتغييره وزواله؟ إن أي إجابة عن هذه الأسئلة، هي نقض لكل ما يثبت الإمامة، لأن ما يقال في هذا العصر يقال في كل العصور.

إذن: إن كان المقصد هو استمرار اللطف بوجود الإمام فلم يغيب هذا الإمام

---

(١) سبحاني، جعفر، «رهبري أمت» أي زعامة الأمة، ص٢٤.

(٢) مصباح يزدي، محمد تقي «راهنماشناسي» (أي معرفة الدليل المرشد)، ص٤٠٩.

ويختفي والأمة في أمس الحاجة إليه، ألا تقتضي الحكمة الإلهية وجود من يضمن استمرار الدور الذي قام به الرسول الأعظم؟ إن كان الجواب نعم، فلم كانوا اثنا عشر فقط، والزمان ممتد إلى اليوم؟ ألم يكن من الحكمة وجود إمام في كل عصر؟ ولم اختفى الإمام الثاني عشر والناس في حاجة إلى رجل يحفظ الشريعة؟ وإن كان الجواب لا، فليس إذن من الضرورة أن يوجد شخص بتلك المواصفات حتى يحفظ الشريعة ويضمن لها الاستمرار.

فماذا أفادني الإمام ؟

الإمـام وجيبي !

في حياتي العملية والواقعية، لا وجود للإمام إلا حين يطرق بابي وكيل المرجع الذي تقمص شخصية الإمام وأخذ دوره بنظرية ولاية الفقيه، حين يطرق بابي في زيارة مفتعلة ليتأكد من أن خمسي سأدفعه في الوقت المحدد، في ذلك الوقت بالذات أحس بأن هناك إمامًا عجل الله فرجه، أما حين أصارع العمال وأصحاب الديون وحين تهوي أسهمي في البنوك وأخسر الأموال الطائلة، فلا أجد الإمام ولا أعرف له أثرًا... !

إذن: الإمام هو وسيلة المعممين إلى جيبي، وطريقهم إلى أموالي، ولولا الإمام لما كان للمعمم هذا الدخل الذي جعل طبقة المعممين تعيش حياة مترفة، ولا زلنا نسمع عن أرصدتهم الضخمة في البنوك السويسرية.

الغريب أنه عندما نعود للروايات الموجودة في المراجع الشيعية نجدها تعفي الشيعي من الخمس، كقول أبي عبد الله لأبي سيار حين حمل إليه مالًا فرده عليه وقال:« يا أبا سيار قد طيبناه لك، وأحللناك منه فضم إليك مالك وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا»[1].

---

(١) أصول الكافي للكليني (ج٢/ص٢٦٨)

واليك المزيد من الروايات التي تعفيك من الخمس:

■ عن أبي عبد الله عليه السلام -وقد سئل-:« من أين دخل على الناس الزنا؟ قال: من قبل خمسنا أهل البيت، إلا شيعتنا الأطيبين فإنه محلل لهم لميلادهم»[١].

في هذا النص يظهر واضحًا أن الإمام الصادق أباح الخمس لشيعته، وهذا مع وجوده وحضوره، وأن الشيعة غير ملزمين بدفعه من أجل أن يطيب ميلادهم، ولا يكونوا أبناء زنا إذا امتنعوا عن أدائه كبقية الناس من غير الشيعة الذين دخل عليهم الزنا بذلك!.

■ عن أبي عبد الله عليه السلام قال:« إن أشد ما فيه الناس يوم القيامة صاحب الخمس، فيقول: يا رب خمسي.وقد طيَّبنا ذلك لشيعتنا لتطيبَ ولادتهم ولتزكوَ أولادهم»[٢].

وقد رواه الطوسي في الاستبصار هكذا:« إن أشد ما فيه الناس يوم القيامة أن يقوم صاحب الخمس فيقول: يا رب خمسي، وقد طيَّبنا ذلك لشيعتنا لتطيب ولادتهم وليزكو أولادهم»[٣].

وهذا النص كسابقه في إباحة الخمس للشيعة وعدم إلزامهم به حتى في زمن حضور الإمام.

■ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى:﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤١][٤]،قال: هي والله الإفادة يومًا بيوم إلا أن أبي جعل شيعته في حل ليزكوا[٥].

■ عن أبي عبد الله عليه السلام قال:« إن الناس كلهم يعيشون في فضل مظلمتنا،

---

(١) المصدر السابق (ج١/ ص٥٤٦).

(٢) أصول الكافي للكليني (١ج/ ص٥٤٧)، وفقيه من لا يحضره الفقيه للقمي (ج٢/ ص٢٢).

(٣) الاستبصار (ج٢/ ص٥٧)

(٤) الأنفال الآية ٤١

(٥) أصول الكافي للكليني (ج١/ ص٥٤٤).

إلا أنَّا أحللنا شيعتنا من ذلك». [١]

والنصان الأخيران واضحًا الدلالة على أن الأئمة قد أحلوا الخمس لشيعتهم وأسقطوه عنهم.

■ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال وهو يتحدث عن أنهار الدنيا الخمسة:« فما سقت أو استقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا، وليس لعدوّنا منه شيءٌ إلا ما غصب عليه، وإن وليّنا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه يعني: ما بين السماء والأرض». [٢]

تأمّل قول الإمام «ما كان لنا فهو لشيعتنا» أي: إن حق الإمام ملك لشيعته أباحه لهم. والمالك حُرٌّ في تصرفه بملكه، فإذا كان الإمام نفسه قد ملّك شيعته ما كان له من نصيب في الخمس فبأي حق يأتي من وضع نفسه وكيلًا عنه دون توكيل منه ليطالب بحقه الذي تنازل عنه، بل يشدد في المطالبة؟!.

إذا كان لرجل على آخر دين تنازل له عنه والتنازل مكتوب في وثيقة مصدقة ومعتبرة، ثم مات الرجل فهل من حق ورثته المطالبة بالدين؟.

أليست هذه الروايات وغيرها من أمثالها وثائق معتبرة يمكن إبرازها من قبل أي مسلم عند من يطالبه بضريبة دينية اسمها الخمس ؟!.

وإذا لم تكن هذه وثائق معتبرة فبأي رواية يمكن أن يكون الاعتبار؟، ولماذا يضرب بهذه الروايات عرض الحائط حتى كأنها لم توجد، ويؤخذ بغيرها ؟!

وتأمل أيضًا قوله عليه السلام: «وإن ولينا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه»، أي: لا يجب عليه شيء إذ هو في سعة من أمره أوسع مما بين السماء والأرض.

عن أبي عبد الله عليه السلام -وقد جاءه أحد أتباعه بمال فرده عليه- قال:« قد طيبناه لك وأحللناك فيه فضم إليك مالك وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا». [٣]

---

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه للقمي (ج٢/ ص٢٤).

(٢) أصول الكافي (ج١/ ص٤٠٩)..

(٣) أصول الكافي (ج١/ ص٤٠٨).

وهذا تطبيق عملي للروايات السابقة في إباحة الخمس، وإذا جمعنا هذه الروايات إلى غيرها يتبين لنا أن الخمس مباح من قبل الإمام الصادق عليه السلام ومن بعده حتى يقوم القائم، فمن أوجبه إذن، إذا كان الإمام نفسه قد أباحه؟!

عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من القماطين فقال:« جعلت فداك تقع في أيدينا الأرباح والأموال وتجارات نعرف أن حقك فيها ثابت وإنا عن ذلك مقصرون، فقال عليه السلام: ما أنصفناكم أن كلفناكم ذلك اليوم»[١]

وهذا فيه أن التكليف بدفع الخمس ينافي الإنصاف، هذا والإمام حاضر فكيف وقد غاب؟!

عن علي بن مهزيار أنه قال: قرأت في كتاب لأبي جعفر عليه السلام إلى رجل يسأل أن يجعله في حل من مأكله ومشربه من الخمس فكتب عليه السلام بخطه:« من أعوزه شيءٌ من حقي فهو في حل». [٢]

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال:« يا أمير المؤمنين أصبت مالًا أغمضتُ فيه أفلي توبة؟ قال: ائت بخمسه، فأتاه بخمسه فقال: هو لك، إن الرجل إذا تاب تاب مالُه معه». [٣]

وقد بوَّب الطوسي في الاستبصار: «باب ما أباحوه لشيعتهم -عليهم السلام- من الخمس حال الغيبة»[٤]، أورد تحته عدة روايات منها ما سبق ذكرها ومنها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «هذا لشيعتنا حلال الشاهد منهم والغائب، والميت منهم والحي ومن تولَّد منهم إلى يوم القيامة فهو لهم حلال». [٥]

عن أبي جعفر عليه السلام قال:« قال أمير المؤمنين عليه السلام: هلك الناس في بطونهم وفروجهم؛ لأنهم لم يؤدوا إلينا حقنا، ألا وإن شيعتنا من ذلك وآباءهم

---

(١) فقيه من لا يحضره الفقيه للقمي (ج٢/ ص٢٣).

(٢) فقيه من لا يحضره الفقيه للقمي (٢/ ٢٣).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٣).

(٤) الاستبصار (٢/ ٥٧).

(٥) المصدر السابق (٢/ ٥٨).

في حل». [١]

وروى في موضع آخر الرواية التالية:- عن أبي عبد الله عليه السلام قال:« كان رسول الله ﷺ إذا أتاه المغنم أخذ صفوه وكان ذلك له، ثم يقسم ما بقي خمسة أخماس، ثم يأخذ خمسه ثم يقسم أربعة أخماس بين الناس». [٢]

وهذا يعني أن المغنم هو غنيمة الحرب خاصة، لأن أموال الناس ومكاسبهم وعقاراتهم لا ينطبق عليها هذا القول إذ هي لا يمكن -ولم يحدث- أن يؤتى بها ويأخذ منها رسول الله ﷺ ولا غيره ما يعجبه ثم بعد ذلك يقسمها خمسة أقسام يأخذ واحدًا منها ثم يقسم الأربعة الأقسام الأخرى بين الناس. وهذا ما جاء في رواية أخرى:

عن عبد الله بن سنان قال:« سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس الخمس إلا في الغنائم خاصة ». [٣]

عن العبد الصالح عليه السلام: وله -أي: الإمام- نصف الخمس كاملًا، ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته، فسهم ليتاماهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم... وفي آخر الرواية يعود ليقول: وجعل للفقراء قرابة الرسول ﷺ نصف الخمس. [٤]

فالخمس إذن نصفه للإمام -حسب هذه الرواية- ونصفه للفقراء (اليتامى والمساكين وأبناء السبيل) فليس للأغنياء فيه نصيب وإن كانوا من ذرية أهل البيت، وعلى هذا نص الفقهاء قديمًا وحديثًا- كما سيأتي.

فهذه هي أقوال الأئمة وتوجيهاتهم في الروايات الواردة عنهم، فإن كان موضوع الخمس وأحكامه قد أسست على أقوال الأئمة، فهذه أقوالهم... وإن كانت أسست

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٧)

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٦).

(٤) أصول الكافي (ج١/ ص٥٤٠، ٥٤٢).

على شيء آخر فذلك شأن من أسسها والأئمة منه برآء، ولا علاقة لنا به ولا حجة له علينا، وهنا يحق لنا أن نتساءل ونقول: فمن أين نشأ القول بوجوب الخمس وأدائه إلى الفقيه، ومتى؟!!.

كبار الفقهاء يُسقطون الخمس أيضًا:

لم يكن الحكم بإباحة الخمس وإسقاطه عن الشيعة، وعدم إلزامهم به قولًا للأئمة فقط -وإن كان هذا يكفي؛ لأن قول الإمام حجة -حسب قواعد المذهب- ولا اجتهاد مع النص أو قول الإمام، وإنما على هذا الحكم أيضًا كبار فقهاء المذهب ومشاهيره على مر التاريخ محتجين بهذه الروايات التي أسلفنا ذكرها مما يدل صراحة على اعتبارها عندهم.

من هؤلاء الفقهاء:

١ - العلامة أحمد الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ) الذي كان أبرز فقهاء عصره على الإطلاق حتى لُقب بالفقيه المقدس!!

يقول الأردبيلي:« اعلم أن عموم الأخبار.. يدل على السقوط بالكلية في زمان الغيبة والحضور، بمعنى عدم الوجوب الحتمي... وهذه الأخبار هي التي دلت على السقوط حال الغيبة، وكون الإيصال مستحبًا أي: زمن الحضور كما هو مذهب البعض مع ما مر من عدم تحقق الوجوب إلا قليلًا لعدم دليل قوي على الأرباح والمكاسب وعدم الغنيمة».[1]

تأمل التشابه بين هذه الفتوى ونصوص الأئمة السابقة، وكيف يستدل على سقوط الخمس بالأخبار الواردة عن الأئمة.

٢ - محمد الباقر السبزواري (١٠١٨هـ-١٠٩٠هـ) الذي قال في ذخيرة المعاد: «المستفاد من الأخبار الكثيرة في بحث الأرباح كصحيحة الحارث بن المغيرة النضري، وصحيحة الفضلاء وصحيحة زرارة وصحيحة علي بن مهزيار، وصحيحة ضريس وحسنة الفضيل، ورواية محمد بن مسلم ورواية داود بن كثير ورواية

(١) مجمع الفائدة والبرهان (ج٤/ ص٣٥٥- ٣٥٨).

الحارث بن المغيرة ورواية معاد بن كثير، ورواية إسحاق بن يعقوب، ورواية عبد الله ابن سنان، ورواية حكم مؤذن بني عبس، إباحة الخمس للشيعة»[١].

وقد خير بين الإباحة وبين حفظ حصة الإمام إلى حين ظهوره أو قيام الفقيه بصرفه احتياطًا على سبيل الاستحباب لا الوجوب في موضع آخر، مع ميله الشديد إلى الإباحة عملاً بالأخبار الواردة[٢].

٣- الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ)[٣] قال بعد استعراضه الأخبار التي تحلل الخمس للشيعة وكيف كان فسبر هذه الأخبار المعتبرة الكثيرة التي كادت تكون متواترة المشتملة على التعليل العجيب والسر الغريب يشرف الفقيه على القطع بإباحتهم عليهم السلام شيعتهم زمن الغيبة بل والحضور الذي هو كالغيبة في قصور اليد وعدم بسطها سائر حقوقهم عليهم السلام في الأنفال، بل وغيرها مما كان في أيديهم...

«أما غير الشيعة فمحرم عليهم أشد تحريم وأبلغه ولا يدخل في أملاكهم شيء منها»[٤].

فلاحظ كيف يستدل على الإباحة بالأخبار الواردة عن الأئمة ويصفها بأنها معتبرة. ويقول عن الإباحة في كلامه اللاحق أنها ثبتت شرعًا، إذ قال أيضًا:« صرح جماعة -أي: من الفقهاء- بأنه ثبت شرعًا إباحتهم عليهم السلام المناكح والمساكن والمتاجر في حال الغيبة وإن كان ذلك بأجمعه للإمام أو بعضه فإنه مباح ولا يجب إخراج حصة الموجودين من أرباب الخمس منه»[٥].

٤- السيد محمد علي الطباطبائي (ت ١٠٠٩هـ)، قال عن الخمس والأنفال في حال الغيبة:« الأصح إباحة الجميع كما نص عليه الشهيدان وجماعة، للأخبار الكثيرة

---

(١) ذخيرة المعاد (ص:٢٩٢).

(٢) المصدر السابق (ص:٢٩١)

(٣) لاحظ تاريخ الوفاة المتأخر وهو منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

(٤) جواهر الكلام (١٦/ ١٤١)..

(٥) جواهر الكلام (ص:١٤٥).

المتضمنة لإباحة حقوقهم في حال الغيبة وكيف كان، فإن المستفاد من الأخبار المتقدمة إباحة حقوقهم عليهم السلام من جميع ذلك»[١].

فلاحظ كيف أن القائلين بالإباحة يحتجون لقولهم بالأخبار الواردة عن الأئمة، وكيف أن المخالفين لهم يغمضون أعينهم عنها!

٥- الشهيد الثاني (٩١١ هـ- ٩٦٦هـ)، قال بإباحة الأنفال بشكل مطلق في حال الغيبة، وليس إباحة المناكح والمساكن والمتاجر فقط، وقال:« إن الأصح هو ذلك»[٢].

٦- العلامة سلار، قال:« إن الأئمة عليهم السلام قد أحلوا الخمس في زمان الغيبة كرمًا وفضلًا للشيعة خاصة»[٣]، فلاحظ تعبيره: إن الأئمة عليهم السلام قد أحلوا الخمس... إلخ.

٧- الشيخ يحيى بن سعيد الحلي (٦٠١هـ-٦٩٠هـ)، مال إلى إباحة الخمس وغيره للشيعة حال الغيبة كرمًا من الأئمة وفضلًا، ولما استعرض اختلاف أقوال الفقهاء من الإباحة المطلقة إلى الحفظ والوصية والدفن والتفريق والصرف على الفقراء الصالحين عقَّب قائلًا: الله أعلم.[٤]

وإذن فالأئمة أباحوا الخمس كرمًا وفضلًا، فبأي حق نوجب على الناس ما أباحه الأئمة أنفسهم؟!!

وقد قال جماعة من الفقهاء بإباحة خمس المناكح والمساكن والمتاجر حال الغيبة منهم:

٨- شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ).[٥]

٩- المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٠٢هـ- ٦٧٦هـ).[٦]

---

(١) مدارك الأحكام (ص:٣٤٤).

(٢) مسالك الأفهام (ص:٦٨).

(٣) المراسم،كتاب الخمس (ص:٦٣٣).

(٤) الجامع للشرائع (ص:١٥١).

(٥) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى (ص:٢٢).

(٦) شرائع الإسلام / كتاب الخمس (١/ ١٨٢-١٨٣).

١٠ - العلامة الحسن بن المطهر الحلي (ت ٧٠٩ هـ). [١]

١١ - القاضي ابن براج (المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري). [٢]

١٢ - الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ). [٣]

أما الطوسي وهو صاحب كتابي الاستبصار وتهذيب الأحكام وهما اثنان من كتب أربعة عليها مدار المذهب، وكذلك هو صاحب كتابين من كتب أربعة عليها مدار المذهب في الرجال جاء في التعريف به في بداية كتاب النهاية:« إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين، وعماد الشيعة في كل ما يتعلق بالمذهب والدين شيخ الطائفة على الإطلاق».

يقول الطوسي: أما في حال الغيبة فقد رخصوا لشيعتهم التصرف في حقوقهم من المناكح والمتاجر والمساكن، فأما ما عدا ذلك فلا يجوز لهم التصرف فيه على حال، وما يستحقونه من الأخماس في الكنوز وغيرها فقد اختلف قول أصحابنا فيه، وليس فيه نص معين، إلا أن كل واحد منهم قال قولًا يقتضيه الاحتياط:

- فقال بعضهم: إنه جار في حال الاستتار مجرى ما أبيح لنا من المناكح والمتاجر.

- وقال قوم: إنه يجب حفظه مادام الإنسان حيًّا فإذا حضرته الوفاة وصى به إلى من يثق به من إخوانه المؤمنين ليسلمه إلى صاحب الأمر إذا ظهر، أو يوصي به حسب ما وصى به إلى أن يصل إلى صاحب الأمر.

- وقال قوم: يجب دفنه لأن الأرضين تخرج كنوزها عند قيام القائم.

- وقال قوم: يجب أن يقسم الخمس ستة أقسام، فثلاثة أقسام للإمام يدفن أو يودع عند من يثق به، والثلاثة الأقسام الأخر يفرق على مستحقيه من أيتام آل محمد ﷺ ومساكينهم وأبناء سبيلهم.

---

(١) تحرير الأحكام (ص:٧٥)..

(٢) الدروس الشرعية (ص:٧٠)..

(٣) المصدر السابق.

وهذا مما ينبغي أن يكون العمل عليه، لأن هذه الثلاثة الأقسام مستحقها ظاهر، وإن كان المتولي لقبضها وتفريقها ليس بظاهر، كما أن مستحق الزكاة ظاهر، وإن كان المتولي لقبضها وتفريقها ليس بظاهر، ولا أحد يقول في الزكاة: إنه لا يجوز تسليمها إلى مستحقيها، ولو أن إنسانًا استعمل الاحتياط وعمل على أحد الأقوال المقدم ذكرها من الدفن أو الوصاة لم يكن مأثومًا.[1]

ملاحظات مهمة:

يلاحظ على هذه الفتوى أن الشيخ الطوسي -كشيخه المفيد - لم يذكر الفقهاء قط، لا في قبض الخمس، ولا تفريقه ولا عند الوصية إلى موثوق، ولا عند الدفن، بل صرح أن المتولي لتفريق الخمس ليس بظاهر -أي: غائب-، ولو كان يرى أن الفقهاء يتولون ذلك لما قال: إن المتولي لقبضها وتفريقها ليس بظاهر.

بل ذكر صراحة -عند ذكر الوصية- أن الذي يوصى إليه بالخمس هو من يثق به صاحب الخمس من إخوانه المؤمنين ولم يقل من الفقهاء!

ويلاحظ أيضًا: أن الشيخين الطوسي والمفيد لم يذكرا من بين جميع الأقوال التي ذكراها قولًا واحدًا يشير إلى دفع الخمس إلى الفقيه أو السيد!، وهذا يعني إجماع فقهاء المذهب الأقدمين على إغفال ذكرهما وإنهما لم يكونا واردين في حساب أولئك الفقهاء.

وكذلك يلاحظ أن جميع الأقوال لا تستند إلى أي نص عن الأئمة سوى القول الأول القاضي بإباحة الخمس وسقوط فرضيته..

ملاحظات أخرى:

وإذا رحنا نناقش الفتوى نقاشًا منطقيًا عقليًا واقعيًا، فإنا نجد أمورًا خارجة عن كل ذلك مثل:

- أن يدفن إنسان عاقل خمس أمواله ومكاسبه وأرباحه طيلة حياته! أي: إن خمس أموال الأمة يذهب طعامًا للديدان والتراب! وهو أمر يتنافى مع المعقول،

---

(١) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، (ص:٢٠٠-٢٠١).

ولاشك في أن فاعله سفيه، يجب في حقه الحجر.

- أو أن يوصي به إلى ثقة وهو أمر خيالي غير واقعي، لا يمكن وجوده أو تحققه إلا تصورًا في الأذهان، وإلا فكيف يمكن أن يوصي بخمس أموال الأمة لتحفظ إلى قيام المهدي ؟!.

إن هذا يعني أن تعاقب بضعة أجيال يولّد فائضًا من المال يساوي أموال الأمة جميعًا في جيل واحد. وهذا الفائض المتراكم يجب أن يحفظ! فأين؟ وعند من؟ وفي أي مصرف؟!

كيف وقد مضى على غيبة المهدي ألف ومئة عام وأكثر، أي: ما يساوي أربعين جيلًا!! فإذا بقي غائبًا عشرة آلاف سنة أو عشرين أو إلى يوم الدين؟!

فهل الفقهاء الذين أفتوا بذلك كانوا يعنون ما يقولون أو يتخيلونه مجرد تخيل؟!

ولذلك قال الشيخ حسن الفريد في عصرنا الحالي (ت ١٤١٧هـ) ناقدًا هذه الأقوال ومتأسفًا -كما يعبر أحمد الكاتب -: « اختلف الأصحاب فيما يجب أو يجوز أن يصنع بسهم الإمام في عصر الغيبة على أقوال ليتهم لم يقولوا بها ولم ينحطوا بذلك عن شامخ مقامهم، وليت المتأخرين لم ينقلوا هذه الأقوال في مؤلفاتهم، ولعمري إني أجل فقه الشيعة عن نقل مثل القول بالدفن والوصية فيه». (١)

ونفى الشيخ محمد النجفي (ت ١٢٦٦هـ) وجود أي دليل على القول بالعزل والحفظ والوصية بالخمس إلى أن يظهر الإمام المهدي سوى ما أشار إليه المفيد: «من كون الخمس حقًّا لغائب لم يأمرنا ما نصنع فيه فيجب حفظه له كما في سائر الأمانات الشرعية». (٢)

فلم يبق -مما يقبله العقل- إلا القول الأول الذي ينص على الإباحة والسقوط، وهو الذي نطقت به الأخبار الواردة عن الأئمة، بإقرار الفقهاء أنفسهم وعمل بعضهم على أساسه.

---

(١) رسالة في الخمس (ص:٨٣-٨٦).

(٢) جواهر الكلام (ص:١٦٥).

وأنا لا أدري على أي فتوى كانت جماهير الشيعة تعمل طيلة القرون التي سبقت الفتوى بوجوب دفع (الخمس) إلى الفقيه!! لابد أن بعضهم عمل بالفتوى القائلة بالوصية، فهل وجد المتأخرون أموالًا متكدسة تراكمت بفعل تحولها من يد (ثقة مأمون) إلى (ثقة مأمون) جيلًا بعد جيل؟ وإن لم يجد أحد شيئًا من ذلك فأين كان مصير تلك الأموال التي أوصى بها أصحابها؟!

فهل سأدفع الخمس بعد كل هذه النصوص التي تعفيني منه، وهل سأسلم للمعمم بما يقول ويدعي في حق الإمام؟.

الإمام وأهـــلي

وهذه صورة أخرى من صور الإمام التي أراها ماثلة أمام عيني حين يتلو علي المعمم نصوص الإمام المقدسة التي تبيح له مواقعة ابنتي وأختي باسم المتعة، مع التحفظ على بنات العلماء والمعممين، الذين لا يرضون لأنفسهم ممارسة هذه السنة التي بلغ من أجرها أنها سبب لدخول الجنة.

إن الصورة التي يطرحها الفكر الشيعي لزواج المتعة، تجعل منه علاقة جنسية محضة، تربط رجلًا بامرأة، دون أن تكفل لها أي حق من الحقوق التي يكفلها لها الزواج، كالإرث والسكنى والنفقة، ويجعل المرأة وسيلة مجردة للمتعة وقضاء الوطر، تنال بذلك قدرًا من المال أسموه مهرًا.

وليس لهذا الزواج شرط سوى صيغة العقد، وذكر المهر والمدة، وصورته أن يلقى رجل امرأة فيعرض عليها التمتع، ويذكر الصيغة بأن يقول لها أريد التمتع بك، وتقول متعتك بنفسي أو نحوها، ويتفقان على المهر، ويحددان المدة ولو يومًا واحدًا.

وهذه صورة دينية للزنى الصريح، ودعوة مباشرة إلى الفساد، ونشر عريض للفاحشة، بل نص علماؤهم ومنهم الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» على جواز

التمتع حتى بالزانية العاهرة المحترفة للزنى، قال:«يجوز التمتع بالزانية على كراهية، خصوصًا لو كانت من العواهر والمشهورات بالزنى»[١]، وماذا تريد هذه العاهرة غير ما تكسبه من الدراهم، سواء أكان المورد من متعة أم من زنى، فالفرق بين الذي قصدها للزنى والذي قصدها للمتعة هو الصيغة، فهذا يذكر المتعة، وهذا لا يذكرها!!!، وهذا له الويل والثبور، وهذا له الأجر والحبور!!

وإليك قصة أحدهم يرويها صاحب الكافي يقول: « لما كان غداة الجمعة وأنا جالس بالباب إذ مرت بي جارية فأعجبتني فأمرت غلامي فردها، ثم أدخلها داري فتمتعت بها، فأحست بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزقت علي ثيابًا جددًا كنت ألبسها في الأعياد»[٢]، بلا شهود وبلا كتابة وبلا إعلان، وما الفرق بين هذه الصورة وما نراه في مجتمعاتنا من صور الزنى، لا شيء إلا هاتين الكلمتين «متعتك نفسي».

وآخر يسأل إمامه عن أمر يؤرقه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جارية بكر بين أبويها، تدعوني إلى نفسها سرًّا من أبويها أفأفعل ذلك؟ قال: نعم واتق موضع الفرج، قال: قلت: فإن رضيت بذلك؟ قال: وإن رضيت فإنه عار على الأبكار»[٣]. فانظر إلى أي حد انتشر هذا الفساد، حتى بين صغيرات السن، وحتى وهي عند والديها، والإمام جوز له أن يضاجعها دون علم أبويها، وأقرها على ما تفعل من دعوة هذا الرجل إلى نفسها سرًّا.

ونص شيخهم المفيد على جواز التمتع بالبكر دون إذن أبيها، وروى في ذلك حديثين، قال:« قال أبو عبد الله عليه السلام: لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت من غير أذن أبيها» وقال:« وجميل بن دراج حيث سأل الصادق عليه السلام: عن التمتع بالبكر؟ قال: لا بأس أن يتمتع بالبكر ما لم يفض إليها، كراهية العيب على

---

(١) تحرير الوسيلة (ج٢ ص٢٨٨).

(٢)شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني (ج ١٢ - ص ٤٠٨).

(٣)تهذيب الأحكام: (ج ٧- ص ٢).

أهلها»[١].

أما المهر فيكفي فيه سواك يعض عليه، كما نصت عليه الرواية.[٢]

ولا بأس بالتمتع حتى بالصغيرة التي لم تبلغ، فعن محمد بن مسلم أنه سأل المهدي المنتظر عن الجارية يتمتع منها الرجل؟ قال:« نعم إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله وكم الحد الذي إذا بلغته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين»[٣].

وعلق في الحاشية بقوله: «يدل على جواز التمتع بالبكر بعد عشر سنين بدون إذن الأبوين، وعلى كراهته قبله»[٤]،أما مع الإذن فلا كراهة قبل العشر.

فأي دين هذا:«المتعة ديني ودين آبائي من عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بغير عقيدتنا»[٥].

وأما ما ورد في فضلها، فكثير كثير...

فعن الباقر أنه سئل: أللتمتع ثواب؟ قال:« إن كان يريد بذلك الله عز وجل...لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة، وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا، فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر الماء على شعره، قال: قلت: بعدد الشعر؟ قال: نعم بعدد الشعر»، يريد بذلك الله عز وجل!

وعن الصادق قال:« إن الله عز وجل حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب، وعوضهم عن ذلك المتعة».

وعن الباقر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أسري بي إلى السماء لحقني جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقول: إني قد غفرت للمتمتعين من النساء**» وحاشا لرسول الله أن يقول وهو أفصح العرب:« المتمتعين من النساء»، ولو قالها لسخرت منه جزيرة العرب كلها، ولأصبح أضحوكة بينهم، وهذا يدلك على عجمة

---

(١) خلاصة الإيجاز – الشيخ المفيد- ص٤٧.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٤ ص٤٦٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق (ج ٣ ص ٤٦١).

(٤) نفس المصدر الحاشية رقم ٢ .

(٥) عزاه الموسوي في كتابه لله ثم للتاريخ، إلى من لا يحضره الفقيه (ج٣ص٣٦٦).

واضع هذه الأخبار، وجهله باللغة العربية كأتم ما يكون الجهل.

وعن أبي عبد الله قال:« ما من رجل تمتع ثم اغتسل، إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكًا يستغفرون له إلى يوم القيامة، ويلعنون متجنبها إلى أن تقوم الساعة»، نسأل الله أن نتجنبها إلى يوم القيامة، قال الشيخ المفيد بعد أن ساق هذه الأخبار:« وهذا قليل من كثير في هذا المعنى »[1].

إن الإمام هو وسيلة المعمم إلى أختك وبنتك وأمك، ولولا تلك النصوص المزعومة أنها عن الأئمة، لما كان لهم إليهم من سبيل، فلم لا نعيد النظر؟.

إن ما يفصلنا عن الأئمة هو اثنا عشر قرنًا، وهي كافية لأن يتم تلفيق الروايات والأحكام البعيدة عن الدين، خصوصًا أن الأئمة كانوا يعيشون في وضع سياسي خاص، مما يتيح للأعداء التلبيس عليهم والكذب عليهم كما مر، لذلك علي أن أفكر من جديد، وأعيد النظر في علاقتي بالإمام التي لا تتجاوز جيبي وعرضي، فلولا الإمام والمرويات التي رواها عنه المعممون، ما كان لهم علي من سبيل.!!

والسؤال الأهم: لماذا لا يرضى المعممون بأن نتمتع نحن ببناتهم كما يتمتعون هم ببناتنا؟ هل هناك دين خاص بالمعممين ودين خاص بالأتباع؟ أم أنها نظرية القطيع التي يسوسون بها العوام ؟

فإن كان في المتعة كل هذا الثواب؟ وإن كان فيها إحياء لسنة آل البيت عليهم السلام، فلماذا يستأنف منها المعممون؟ ولماذا لم نجد بنتًا من بنات مراجع الشيعة تمارس المتعة مادام فيها كل هذا الأجر؟

هل يثبت النص الإمامة؟

بعد أن عجز العقل عن إثبات الإمامة، سوف نلجأ إلى النص، ولجوؤنا إلى النص ضرورة لا مناص منها، فالنص هو الكلام الذي جعل الله الهداية مرتبطة به،

---

(١)رسالة المتعة - الشيخ المفيد - ص ٨ - ٩

سواء أكان كلام الله أم كلام رسوله ﷺ.

إذن سنبحث في كلام الله، ثم نبحث في كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام لنرى هل يثبت لنا النص الإمامة!

الإمامة والقرآن

لو أرسل لك شخص رسالة إرشاد وأنت في أمس الحاجة إلى إرشاده، فهي تعني بالنسبة لك الكثير من الأمور:

- أن هذا الشخص يهتم بك اهتمامًا خاصًّا.
- وأنه حريص على هدايتك، ويخاف عليك الهلاك.
- وأن رسالته يجب أن يكون فيها الإرشاد، لذا يجب أن تكون واضحة بالنسبة إليك، وأن تكون في مستوى فهمك وإدراكك.

وإلا لكان إرسالها حجة على المرسل لا على المرسل إليه، إذ سيقول له: كيف تريدني أن أتبع ما في رسالتك، وأنت لم توضح لي ما تريد، ولا خاطبتني بما أستطيع أن أفهمه، فليس لك الحق في لومي أو معاقبتي، بل أنت الملام لأنك تركتني أتخبط في الضلال حين أرسلت لي رسالة لا أستطيع فهم معانيها ولا مراد الخطاب منها.

ولو أن الرسالة كانت موجهة لأشخاص معينين هم الذين يفهمون خطابها، ويدركون معانيها، لما كان في نفس الرسالة حجة عليك، بل الحجة تكون على أولئك الأشخاص الذين بعث إليهم المرسل رسالته، وهنا تنقطع الحجية بينك وبين الرسالة ويصبح كل ما فيها لا يعنيك، لأنه ليس لك أصلًا.

فتصبح الحجة عليك بكلام أولئك الذين بعثت إليهم الرسالة، والذين يملكون حق فهمها، ويلزم فيهم حينئذ أن يكونوا معصومين عن الخطأ وأن يتاح لهم مخاطبة الناس، ويمكن لهم في الأرض حتى يوصلوا رسالة المرسل إلى الذين هم في حاجة إليها، وأن يكون في رسالتهم وضوح وأن تصلني محفوظة من احتمالات التحريف

والتبديل.

هؤلاء هم الأئمة في المنظومة الشيعية، فهم الذين يفهمون القرآن وهم الحجة على الخلق، أما القرآن نفسه فلا حجة فيه، لذلك تجد القرآن كما في رواياتهم له ظاهر وله سبعون باطنًا، وظاهره لا يفيد شيئًا، وإنما هو كما يقولون كتاب صامت، والإمام كتاب ناطق، ولو جئنا ننظر إلى أبعاد هذه الكلمة لوجدنا مآلها أن الحجة ليست في لفظ القرآن وإنما في كلام الإمام الذي يفسر القرآن ويفهم القرآن ويطبق القرآن.

أما عند أهل السنة، فالقرآن كتاب هداية، ورسالته واضحة لكل الناس، والرسول يقوم بالدور الذي نسبوه للإمام، وفي الحقيقة لا فرق بين النظرية السنية والشيعية إلا في من يقوم بهذا الدور، فعند السنة دور البيان يقوم به الرسول، أما الشيعة فجعلوه للأئمة، واضطروا أن يعطوهم من الصفات ما جعلها الله للأنبياء بل أكثر، كل هذا لأنهم وضعوا قاعدة لأنفسهم سموها اللطف، وقد بينا أنها فارغة، وأنها كلام لا دليل عليه، وأن العقل يرفضه والنص ينص على عكسه، بل القرآن الذي بين أيدينا حجة الله علينا، وخطابه واصل إلينا، وتوجيهاته التي جعلها الله لنا هداية في ظلمات الجهل والحيرة واضحة لا تخفى على ذوي التمييز من الناس.

سنطلب منك في هذا الكتاب أن تنطلق معنا من منطلق أن القرآن كتاب هداية، لأنه لا حل لنا إن أردنا أن نصل إلى الحق إلا هذا، ولا طريق تربطنا بربنا إلا كتابه الذي أنزله ومدحه وقال عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، وسوف نبحث فيه عن الإمامة، لنرى أين الإمامة في هذا الكتاب الحكيم، وهل يمكن أن يكون فيه دليل على هذا الركن من أركان الإسلام ؟!.

أما الخميني فيرى أنه لا حاجة لأن يذكر القرآن الإمامة، ويقول ما نصه: (لا بد من قبول الإمامة وإن لم يرد لها ذكر في القرآن (ويضيف): إن الرسول الذي أرسل بهذه الشريعة لم يغفل عن ذكر كل ما يتعلق بآداب الخلاء وآداب الخلوة بين الزوجين وأحكام الرضاع، بل لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا بين لنا آدابها، ووضع لنا حكمها، فكيف بعد ذلك يعقل أنه لم يترك لنا خبرًا يذكر في أثناء حياته الطويلة عن موضوع الخلافة والإمامة وهو أصل عظيم من أصول الدين وأسسه ومقومات بقائه وديمومته؟

الخميني: (لا بد من قبول الإمامة وإن لم يرد لها ذكر في القرآن)

إن رئيس المصنع - مثلًا - والذي لديه خمسون عاملًا، أو رب الأسرة المكونة من عشرة أشخاص عندما يريد السفر لمدة شهرين؛ فإنه لا يمكن بحال أن يدع رئيس المصنع مصنعه بغير نائب، كما أن رب الأسرة لن يترك أسرته بلا معيل ينيبه في أهل بيته. فهذا الرسول الذي جاء بآلاف الشرائع وبعث بهذه الأحكام، وأسس ذلك النظام العظيم ثم ترك أمته إلى غير رجعة.. كيف يدع الأمة بغير نائب؟ ماذا يقول العقل في هذا؟ إنه بلا أدنى شك سيقول العقل أنه لا بد من تنصيب الخليفة؛ لأنه السبب في بقاء التوحيد وديمومته، ولا يمكن أن يقول في حال من الأحوال: لا بأس ولا ضير أن يدع الأمة بلا خليفة، أو أن يدع أمرها بأيدي أناس لا يخفى أمرهم على أحد!! بل الكل يعلم حرصهم الكبير على الرياسة وطلب الإمارة وقيامهم بأعمال الشغب وضرب بعضهم بعضًا في وقت هو من أحرج الأوقات وأهمها في تاريخ الأمة وذلك يوم وفاة الرسول..!! فماذا تقول لكم عقولكم، وماذا يقول في ذلك ذوو الألباب؟ أيقولون: لا ضرورة لتنصيب الخليفة؟ أم تقولون: أن الإمامة تعتبر من المسلمات في الإسلام، ولا ضير في ذلك إن كان ورد ذكرها في القرآن أم لا؟). [1]

الغريب أن الخميني نفسه عندما مات لم يترك خليفة من بعده على شعب إيران،

---

(١) كشف الأسرار ص ١٠٥.

بل ترك الأمر شورى، والأغرب من ذلك أن المهدي الذي غاب خوفًا على نفسه من القتل، لم يترك حين غاب خليفة له ولا نائبًا، وترك هذا البنيان كله وهذه الشريعة كلها دون معصوم تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، ومع ذلك عاشت الأمة الإسلامية في عز وسؤدد، وعلى هدى من الله ونور، واستطاعت أن تنشر الإسلام على بقعة لا تغيب عنها الشمس.

ثم يؤكد الخميني هذا المعنى بعد ذلك بصفحات إذ يقول: (وخلاصة القول: إن تطرق القرآن لذكر علي والإمامة ومجيئهما فيه أمر مخالف للمصلحة وما تقتضيه من حكمة، بل ومضر بالإمامة نفسها)[١].

هذا جواب من الخميني عن السؤال الكبير، الذي يطرحه كل عاقل وكل مسلم: لماذا لم يذكر علي في القرآن، وقد أجاب من تسعة عشر وجهًا هذا أولها، وأقواها في رأيي، لأن ما بعده من الأجوبة أرك من هذا وأشد غرابة.

أما جوابه الثاني فهو هدم للتشيع من أساسه، حيث يقول: (الجواب الثاني: في الحقيقة نحن نعلم أن القرآن كتاب دعوة وهداية جاء لإقامة هذا الدين، كما أنه كتاب سماوي عظيم جاء لتحطيم العقائد الجاهلية الفاسدة، وهو إنما جاء ليقرر القواعد الكلية ويثبتها وليس من شأنه أن يتطرق إلى الجزئيات وإنما ذلك هو من وظيفة الرسول)[٢].

فجعل الإمامة من الجزئيات، وهي إن كانت كذلك فلا حاجة لذكرها في القرآن الكريم، وعند ذلك لن نقيم عليها كل هذا الهرج والمرج، وسوف يصبح السنة والشيعة شيئًا واحدًا، فلا إشكال في جزئيات الدين، ولا عتب على أحد إن خالفنا فيها.

وهذا إقرار من الخميني أن القرآن لم يذكر الإمامة كان من الممكن أن نعتمد عليه في إغلاق صفحة هذا المبحث، لكن دعنا نجاري القائلين بأن القرآن قد نص

---

(١) كشف الأسرار ١١٤

(٢) كشف الأسرار ص ١١٣

على الإمامة، ولنذكر أهم الآيات التي ينسبون إليها أنها نصت على الإمامة.

أولاً: آية الولاية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥] وهذه الآية من شدة اهتمامهم بها، وفرحهم بورودها يسمونها آية الولاية، وألفوا فيها كتبًا كثيرة خاصة بها، ككتاب آية الولاية للسيد علي الميلاني.

وإذا كنت تتفق معي على أن القرآن له دلالة بنفسه كما قررنا، وأنه كتاب هداية وإرشاد فافتح معي سورة المائدة على موضع هذه الآية، واقرأ معي ما قبلها وما بعدها، لتنظر في المقصود من الولاية بنفسك، قبل أن نذهب إلى اللغة وإلى كتب التفسير، وقبل أن نرى رأي العقل كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] فبدأ بالحديث عن موالاة اليهود والنصارى، وذكر بأن بعضهم أولياء بعض، أي أنصار لبعض، وليس أئمة لبعض، ثم حكى حال المنافقين الذين يتولون اليهود والنصارى فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢] أي: يسارعون في اتخاذهم أولياء ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] فيعللون ذلك بأنهم يخشون من دوائر الزمن لأجل ذلك اتخذوهم أولياء، فيرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣] ثم يبين مصير من يوالي المشركين وأنه لا يضر الله شيئًا فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦] فبين أن الولاية التي نهى عنها لليهود والنصارى إنما تكون لله ولرسوله وللمؤمنين،

وأن الذي تولى الله وتولى رسوله وتولى المؤمنين فسيكون من الغالبين لأن المؤمنون -حزب الله- هم الغالبون، فهل الولاية هنا بمعنى الخلافة والإمامة؟ وهل ينهانا الله عز وجل عن اتخاذ اليهود والنصارى أئمة في قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾؟ وهل يصح أن نقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ إنما إمامكم الله؟

ثم اقرأ معي الآية التي بعدها مباشرة إذ يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [المائدة: ٥٧] هل أولياء بمعنى أئمة؟ وهل ينهانا الله عن أن نتخذهم أئمة؟ جرب أن تضع مكان هذا المعنى معنى النصرة والصحبة، وانظر إلى كلمة الولي بمعنى الناصر والصاحب إذن لاستقامت لك معاني الآيات، ولكانت الآيات تنهانا عن أن نحب اليهود والنصارى وناصرهم، وتأمرنا بأن نوالي الله ورسوله والمؤمنين، الذين من صفاتهم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم راكعون خاضعون لله، كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١] وقوله: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فلا يعقل بحال من الأحوال أن نقول إن الولي هنا بمعنى الخليفة والإمام.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، ليس لكم، أيها المؤمنون، ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره. فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من وَلايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء لا نُصرَاء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيرًا)[1].

هذا ما يقوله ابن جرير السني وإليك ما يقوله الطباطبائي الشيعي في تفسيره المسمى الميزان في تفسير القرآن عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] الآيات:

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري المائدة آية ٥٥

«الآيتان - كما ترى - موضوعتان بين آيات تنهى عن ولاية أهل الكتاب والكفار، ولذلك رام جماعة من مفسّري القوم اشتراكهما مع ما قبلهما وما بعدهما من حيث السياق، وجعل الجميع ذات سياق واحد يقصد به بيان وظيفة المؤمنين في أمر ولاية الأشخاص ولاية النصرة، والنهي عن ولاية اليهود والنصارى والكفّار، وقصر الولاية في الله سبحانه ورسوله والمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا فيخرج بذلك المنافقون والذين في قلوبهم مرض، ويبقى على وجوب الولاية المؤمنون حقًّا، وتكون الآية دالّة على مثل ما يدل عليه مجموع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦]، وقوله تعالى في المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[التوبة: ٧١]. فمحصّل الآية جعل ولاية النصرة لله ولرسوله والمؤمنين على المؤمنين»[1]

ثم حاول بعد ذلك أن يفصل الآية عن سياقها ويستدل بها على الإمامة، وأن الولاية هنا غير الولاية هناك، فتعسف كثيرًا.

وإذا تتبعنا كلمة الولي والأولياء في القرآن الكريم نجد أنها لم ترد إلا بهذا المعنى، وإذا نظرنا إليها في سياق هذه الآيات وجدناها بنفس المعنى كذلك، فكيف يمكننا أن نفهم أن الولاية هنا هي الإمامة والخلافة، والتي قبلها مباشرة والتي بعدها مباشرة، هي النصرة والمحبة! هذا لا يكون إلا بنص المعصوم، لأنك لو أتيت بإنسان يفهم العربية فهمًا تامًّا، وقلت له اقرأ هذه الآيات، دون أن يكون له معرفة بقصة الخاتم، لما فهم منها أن عليًّا هو الخليفة بعد رسول الله، ويستحيل أن يفهم ذلك من هذا السياق، فلا بد لهذه الآية من تلك الرواية، وإلا لما كان لأي شيعي أن يفرح بها دليلًا على أصل من أصول الشريعة وركن من أركان الدين كما يسمونها.

إن القرآن له أسلوب متبع، ونمط معروف، لا يتغير ولا يتبدل في كل سوره

---

(١) انظر تفسير الميزان سورة المائدة الآية ٥٥.

وجميع آياته، فهو ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣] ، وهو ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١] وهو بلسان عربي وصفه رب العزة بأنه مبين، فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥] فهو ليس عربيًا فحسب، بل هو عربي مبين، فهو يأتي بالمعنى بأوضح عبارة وأحسن أسلوب، ولو اجتهد الإنس والجن، على أن يخبروا عن وحدانية الله، لما أخبروا عنها بمثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] ، ولما قدروا على أن يأتوا بكلام في هذا المعنى، يكون أوضح من هذه العبارة وأدل منها على المراد.

إن المشكلة التي تجعل المذهب الشيعي عاريًا عن الحجية، ويجعل خطابه بعيدًا عن الإقناع، هي أنه يلجأ في الاستدلال بالقرآن إلى الإلغاز، بينما أسلوب القرآن يعتمد الأسلوب المباشر والواضح، بل عادة القرآن أن يزيد على ذلك بالتأكيد والتكرار، فتجد المعنى متكررًا في ثنايا السور، مترددًا في كثير من المواضع، وهو أحد معاني قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وتجد القرآن واضحًا في كل المعاني التي يطرحها إلا في هذه القضية التي يرى الشيعة أن القرآن عدل فيها عن الخطاب الصريح إلى أسلوب الإلغاز والإيحاء والإيهام.!

وهنا نطرح سؤالًا ملحًّا، إن كانت الإمامة قد ذكرت في القرآن فعلًا، فلم لم تذكر بشكل صريح لا يقبل الشك أو يحتمل التأويل؟

نعم، يجب أن نطرح هذا السؤال ونبحث له عن جواب، لأن الجواب هو أحد احتمالين لا ثالث لهما، إما أن القرآن لم يورد الإمامة ولم يذكرها، ولو أراد ذكرها لبينها كما بين الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الأركان، وإما أنه أراد ذكرها، فألغز وأشار، وألمح وأبعد، لحكمة مرادة، وسبب مطلوب، وهنا نقول: ما الذي اضطر القرآن إلى هذا الإبعاد والإغراب والإلغاز؟

بعض علماء الشيعة يقول إن عدم ذكر الإمامة والنص على الإمام باسمه سببه خوف الله عز وجل على كتابه من التحريف والتبديل لو أنه ذكر الإمام باسمه، وهذا كلام باطل لا دليل عليه، وهو مناقض لما عهدناه من صراحة القرآن وصرامته في كل

القضايا التي تتعلق بإقامة الدين، ولو كان مداهنًا لداهن في أمور هي أعظم من هذه كعبادة الأصنام، وتسفيه الآباء والأجداد، وكما قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وهناك جواب آخر، موجود في كتب الروايات الشيعية بكثرة، ونحن نعرض عنه الآن، لأنه يزيد الموضوع تعقيدًا، فهم يقولون في رواياتهم عن أبي عبد الله: «لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين»، وهذا الجواب هو الذي جعل كثيرًا من علماء الشيعة ولا أقول كلهم، بل كثيرًا من كبارهم كالكليني والعياشي يقولون بأن القرآن محرف، وسوف ترى أسماء بعض من قال ذلك في مبحث قريب.

والقائلون بتحريف القرآن، وبأن الصحابة قد نقصوا منه الكثير، سلكوا منطقًا سليمًا في الاستدلال، فاستنكروا أن يكون نصيب الإمامة من هذا الكتاب، إشارات وتلميحات، وألغاز وأحجيات، وتكون حتى تلك الإشارات مفتقرة كلها إلى نصوص بعيدة، وقصص مستغربة كقصة هذا الخاتم العجيب، وقالوا: لا بد أن يكون القرآن ذكر الإمامة ونص عليها نصًّا واضحًا وصريحًا، لأن مكانتها في الدين مكينة، فلا يعقل أن يكون حظها من القرآن أقل من الدِّين، الذي خصصت له أطول آية في القرآن، أو من أحكام الطلاق الذي فصلته الآيات الواضحات، ونحن نتفق مع هؤلاء، ونوافقهم المنطلق، لكننا نصل إلى نتيجة مفادها أن القرآن لم يذكر الإمامة، وهم يصلون إلى نتيجة لا يوافقهم عليها مسلم، ولا يرتضيها عاقل، ويقولون، إن القرآن لم يكن ليغفل أمرًا مهمًّا كأمر الإمامة، ويستدل عليه بأدلة كلها فيها نظر ولبس، وهي وإن كانت تحدثت عن الإمامة بزعمهم، إلا أنها لم تنص عليها نصًّا صريحًا، يتناسب مع مكانتها ومع طريقة القرآن في مثل هذه المسائل التي يترتب عليها الهدى والضلال.

فالقرآن بالنسبة إلى أصحاب هذا القول قد نص على الإمامة بشكل واضح وصريح، لكن الصحابة حذفوها وطمسوا آياتها، وهذا ما تواردت عليه روايات كثيرة عندهم، والتي جمعها نوري الطبرسي في كتابه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» حيث جمع ما يزيد عن ألف رواية.

إن هذه الطريقة هي أنسب من الطريقة الأخرى التي سلكها فريق آخر، وجعل يصارع النصوص مصارعة، ويلوي أعناقها ليًّا، فأتعب نفسه جدًّا، ولم يخرج إلا بقصة هذا الخاتم، وببعض الآيات الأخرى، التي هي عامة في الولاية والمحبة والنصرة.

ولعل الدافع الذي جعلهم يتتبعون النصوص مستدلين بأقل إشارة باحثين عن أدنى تلميح ولم يقولوا كأصحابهم بأن القرآن محرف: تهيبهم من أن يقدحوا في ثبوت القرآن الكريم، الذي قال الله عنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر:٩] فلم تكن لهم جرأة أصحابهم الذين ضربوا هذا النص بعرض الحائط، ونسبوا إلى كلام الله النقص والتحريف.

أيًّا كان السبب، فلقد تاه هؤلاء في نصوص القرآن، وأخذوا يستدلون على الإمامة بكل شيء، فعندما يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] يقولون إنها الإمامة، حتى عقد المجلسي في كتابه بابًا كاملًا بعنوان: باب أن الأمانة في القرآن الإمامة، وأخذ يورد الروايات في ذلك.

والحاصل من هذا كله أن نص القرآن الكريم لا يسعف أي شيعي يبحث عن الإمام والإمامة، بل كلما اقترب من القرآن كلما زاد بعدًا ووحشة عن الإمام، وكلما استضاء بالقرآن كلما أظلمت نظرية الإمامة بين عينيه.

ولنعد الآن إلى قصة الخاتم، لنرى عليا رضي الله عنه، وفي حضرة رسول الله ﷺ، ونرى هذا السائل الوقح الذي لم يسمع قوله ﷺ عن المساجد: «من رأيتموه ينشد ضالته في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك» قد أخذ يسأل الناس وهم يصلون، وأخذ يرفع صوته ويصيح في الناس، كما ثبت ذلك في الرواية حيث جاء فيها ما مفاده، أنه أخذ يدعو الله عز وجل ويقول: إن هؤلاء الناس لم يعطوني شيئًا، ويشتكي، فمد علي رضي الله عنه يده، وأخذ يشير إلى الخاتم.

فجاء الرجل وأخذ يجر ويجر، حتى أخرج الخاتم من يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

فنزلت آية الولاية.

والغريب أن يكون هذا الوصف هو ما تريدنا الآية أن نعرفه عن الإمام الذي من لم يعرفه دخل النار، مع أنه وصف خفي، لا يمكننا معرفته إلا إذا عرفنا رواية التصدق بالخاتم، وهي رواية مضطربة السند والمتن، كما سترى، حيث ضاعت قوة دلالة الآية حين أصبحت محتاجة إلى رواية تسندها وتعضدها، ولا تدل على المعنى إلا بها، ولو قلنا إن الدلالة هي في الرواية لا في الآية لما كنا مخطئين، لأن الذي يثبت أن الولي هو علي بن أبي طالب هي الرواية أما الآية وحدها فقد تركتنا في ضلال عن هذا الإمام مبين...

أما دلائل الضعف والاضطراب في هذه الرواية فكثيرة ومختلفة حيث وردت لها ثلاث وعشرون رواية، كلها مضطربة في تفاصيلها:

فأولًا: اضطربوا في مكان نزول الآية:

فجاء في رواية أن نزول هذه الآية إنما كان في بيته ﷺ.

وفي أخرى: في مجلسه ﷺ مع اليهود.

وفي أخرى: في مسجده ﷺ، بل ذكرت بعض الروايات أن نزولها إنما كان في المسجد الحرام، حيث دخل الأمير ﷺ يومًا إلى الكعبة يصلي، فلما ركع أتاه سائل فتصدق عليه بحلقة خاتمه، فأنزل الله الآية.

وثانيًا: اختلفوا في المتصدق به:

فمرة يذكرون بأنه خاتم من فضة ومرة يذكرون أنه ذهب، ويختلفون في نقشه بين الملك لله، وبين سبحان من فخري بأني له عبد، وكذا الاختلاف في المتصدق به، بين خاتم كما في أكثر الروايات، وبين حلة كما في رواية الكافي، ولم يتردد البعض في القول بأن القصة ربما تكررت، فمرة تصدق بخاتم وأخرى بحلة.

وثالثًا: اختلفوا في هيئة السائل وسؤاله:

ففي بعض الروايات يقول: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدق على مسكين، هكذا ابتداءً، وبين اللهم أشهدك أني سألت في مسجد

رسول الله، كما في أكثر الروايات. وفي بعض الروايات سأل السائل رسول الله ﷺ التصدق عليه أولًا. وفي أخرى: أن السائل سأل أولًا في مسجد النبي ثم مرَّ به ﷺ، وسؤال النبي له: هل تصدق عليك بشيء؟

ورابعًا: اختلفوا في كيفية التصدق بالخاتم:

فمنهم من يقول: نزع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخاتم بنفسه وفي ذلك حركة كثيرة في الصلاة، ومنهم من قال: بل مد يده ونزع السائل الخاتم.

وكذا الاختلاف في وقت تبليغ الرسول ﷺ لقومه، بين إخبارهم فور نزول الآية، وبين إرجاء ذلك إلى يوم الغدير.[١]

هذا من ناحية المتن، أما سند الرواية فلم يصح من تلك الروايات شيء، قال ابن كثير رحمه الله: (وأما قوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ فقد توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب: أن هذه الآية نزلت فيه، أنه مر به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمه)[٢].

وبعد أن ساق روايات القصة وبين ضعفها قال: (وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها)[٣].

بل جزم كثير من أهل العلم بأن القصة من الكذب الموضوع كابن كثير وابن تيمية والشيخ الألباني، وذلك لما يلي:

أولًا: أن أسانيدها لم يصح منها سند واحد، بل كلها معلولة إما بالانقطاع أو بضعف الرواة، فليس المعول عليه كما يذكره بعض الشيعة من أن القصة ذكرها فلان

---

(١) http://www.fnoor.com/fn٠٥٨.htm موقع فيصل نور.

(٢) تفسير ابن كثير سورة المائدة الآية ١٥٥.

(٣) نفس المصدر السابق.

من المفسرين، فهذا لا قيمة له عند أهل السنة إلا إن ثبتت بسند صحيح، أما النقل فإنهم ينقلون كل ما ورد في الآية وإن كان ضعيفًا وموضوعًا مكذوبًا.

ثانيًا: إن دلت هذه الآية على نفي إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فهي تدل كذلك على سلب الإمامة عن بقية الأئمة الاثني عشر الذين لم يتصدقوا بخواتيمهم حال الركوع، وهذا هو الحصر الوارد في الآية، فالدليل يضر الشيعة أكثر من أهل السنة، فهؤلاء لم يؤت أحدهم الزكاة وهو راكع لو صح أن ذلك شرط فيمن يتولى أمر المسلمين.

ثالثًا: أن صيغة الذين يؤتون الزكاة وهم راكعون صيغة جمع، فكيف يصدق على علي رضي الله عنه وحده، حتى وإن كان ذلك جائزًا في اللغة، وعلى ذلك شواهد من القرآن، ولكن حمله على المفرد دون دليل هو الخلاف، والأميني الذي يبدو أنه لم يجد له مخرجًا أمام ضعف أسانيد هذه الروايات وتهافت الاستدلال بها؛ فقد أسهب في بيان أن في القرآن آيات عدة نزلت بصيغة الجمع وكان المراد بها المفرد، ولا شك أن ما ذكره صحيح ولكن لا يفيد فيما نحن فيه، حيث إن الأمثلة التي أوردها إنما وردت فيها روايات صحيحة خلاف رواياتنا هذه.

رابعًا: أن الله تعالى لا يثني على المرء إلا بأمر محمود، وفعل ذلك في الصلاة ليس بمحمود ولا مستحب، ولو كان مستحبًا لفعله الرسول ﷺ ولحضّ عليه ولكرر علي رضي الله عنه فعله، وكما ورد في الحديث: «إن في الصلاة لشغلًا» بل لعل هذا إلى الكراهة أقرب، بل الشيعة يرون بطلان صلاة أهل السنة بوضع اليمنى على اليسرى، ويعدون ذلك عملاً يستوجب البطلان، ولا يعدون عمل الأمير رضي الله عنه من انشغاله بالسائل والاستماع إليه والإشارة إليه ونزع الحلة أو الخاتم من يده وإلقائه إليه.. إلى آخر ما ذكرته الروايات، حركات مبطلة للصلاة!

وهم يروون عن الأئمة إنكارهم لذلك فعن الثمالي قال: رأيت علي بن الحسين يصلي فسقط رداؤه عن أحد منكبيه، فلم يسوه حتى فرغ من صلاته، فسألته عن

ذلك؟ فقال: ويحك بين يدي من كنت؟ إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه[١].

وعن الصادق قال: كان أبي يقول: كان علي زين العابدين إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه[٢]

فانظر إلى حالهم تعرف حال علي بن أبي طالب جدهم وأكرمهم عند الله، وأكثرهم تقربًا وأشدهم خشوعًا.

خامسًا: أن عليًا رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي ﷺ؛ فإنه كان فقيرًا، والزكاة إنما تجب على من ملك النصاب حولًا، وهو لم يكن من هؤلاء، وفقر أهل البيت غير خافٍ.

سادسًا: أن الزكاة تؤدى فور وجوبها ولا ينتظر فيها السؤال. فلا يمتدح من لم يخرج الزكاة إلا بعد أن طلبها منه السائل وألح، وإنما يمتدح من أخرجها ابتداء فور وجوبها، هذا إن قلنا أن عليًا وجبت عليه زكاة، وهذا لا يعقل فقد كان صغيرًا لا يملك مالًا يقوته فكيف يملك نصابًا حال عليه الحول، ولا يقول قائل إن الآية في الصدقة، بل الزكاة التي تقرن بالصلاة هي شريكتها في المرتبة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

سابعًا: أن الركوع يطلق ويراد به مطلق الخضوع لله، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٣] فالمراد بالركوع الخضوع، إذ إن المرأة لا يطلب منها صلاة الجماعة، فالمراد بقوله: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] أي: خاضعون لله، وليس المراد أنهم يؤتون الزكاة حال الركوع، فتأمل!

ثامنًا: أن غاية ما في الآية أنها أمرت المؤمنين بموالاة الله ورسوله والمؤمنين،

---

(١) علل الشرايع: (٢٣٣)، البحار: (٤٦/ ٦١، ٦٦)(٨٤/ ٢٣٧)، الخصال: (٥١٧).

(٢) الكافي: (٣/ ٣٠٠)، البحار: (٤٦/ ٦٤)(٨٤/ ٢٢٩، ٢٤٨).

فيوالون عليًّا، ولا ريب أن موالاته واجبة على كل مؤمن، كما يجب على كل مؤمن موالاة أمثاله من المؤمنين، وهذه هي الموالات التي وردت في آيات القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤] وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

ولنترك الآن كل هذا الاضطراب، ولننتقل إلى كل أحكام الدين الواردة في القرآن فسوف نجد الآيات تتخذ مسلكًا آخر مختلفًا عن هذا تمامًا، مسلك الوضوح والتبيين، فاسأل نفسك لماذا أراد الله أن يشوش علينا في خبر الإمامة، ثم يجعلها سببًا لدخول الجنة ودخول النار؟

ولو فرضنا أن رجلاً سنيًّا مات وهو لا يقر بالإمامة، فليس لله عز وجل أن يعاقبه على ذلك لأنه ليس لديه دليل على الإمامة، أما القرآن فقد رأيت ما في الآية من إشكالات، وكما تعلم فإنه إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال، فكيف نجعل أمرًا كهذا سببًا في كفر ما يقارب مليارًا من المسلمين لا يقرون بالإمامة، وفيهم الصالحون والعلماء والأولياء؟

إذن آية الولاية كما يسمونها مفتقرة إلى حديث، وما دامت مفتقرة إلى غيرها فهي ليست بدليل صريح، فلا معول عليها في بحثنا، إذ إننا ننزل في مقام الاستدلال من القرآن إلى السنة، ونحن نبحث الآن عن دليل قرآني، أما قضية الدليل المركب نصفه من القرآن ونصفه من السنة، فهذا لا نريده لأن احتياج القرآن وهو دليل قطعي الدلالة إلى حديث ظني الدلالة ينزل بنا في مستوى الحجية من القطع إلى الظن.

صحيح أن أحكام الإسلام الأخرى مفتقرة إلى الحديث لكنها لا تفتقر إليه في مرحلة إثبات الحكم، وإنما في مرحلة تفاصيل الحكم، فمثلًا، الصلاة ثابتة بالقرآن

والزكاة ثابتة بالقرآن والحج ثابت بالقرآن لكن تفاصيلها وردت في السنة، وأما الإمامة فلم نجد إلى الآن ما يثبتها بالقرآن، فافتقار النص القرآني إلى الحديث في هذه المسألة ليس مثل افتقار الصلاة إلى التفاصيل الواردة في السنة. فتأمل الفرق كي لا يشغب عليك مشغب.

ننتقل الآن إلى آية أخرى، لنرى هل سيكون حالها خيرًا من حال هذه الآية؟ وهل ستكون دلالتها شافية لقلب الحيران، مروية لعطش الظمآن.

ثانيًا: آية التطهير:

وهي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣-٣٤].

وأنت تقرأ هذه الآية الكريمة في سورة الأحزاب، يكون المعنى الظاهر أمامك أنها خطاب مباشر لأمهات المؤمنين وإرشاد لهن بأن يلزمن بيوتهن ولا يتبرجن وأن يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة، ثم تجد الخبر أن الله يريد أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا، ويستمر الخطاب يأمرهن بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة.

يجب أن نعرف أولًا ما معنى الإرادة في هذه الآية، وهل الله عز وجل أراد هذا الأمر فقدره وأمضاه، أم أراده فشرعه ورغب فيه، فهما نوعان من الإرادة، إرادة كونية وإرادة شرعية، وقد تقول لم فرقت بين الإرادتين، فنقول: إن هذا ضروري حتى نفهم الكثير من الآيات، فالله عز وجل يقول: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧] فهذه إرادة شرعية، بحيث يريد الله أن يتوب علينا ويرغب في ذلك ويحبه، ولكن الذين يتبعون الشهوات يريدوننا أن نميل عن إرادة الله الشرعية، ونميل ميلًا عظيمًا، ومثل هذه الإرادة قوله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ

لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]، وكقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨]، والذي يؤكد هذا أن الرسول ﷺ لما نزلت هذه الآية ودعا أهل الكساء الخمسة، أدخلهم تحت كسائه ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**» ولو كان قد فهم من الآية الإخبار بأن الله قد طهرهم وأذهب عنهم الرجس، لما كان لدعائه عليه الصلاة والسلام معنى، ولو كان التطهير يعني العصمة للزم منه أن الصحابة معصومون إذ قال الله عنهم: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]، حين كانوا في غزوة بدر.

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعه الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم.

وهذا كما أن قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٨]، نزلت بسبب مسجد قباء، لكن الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك وهو مسجد المدينة.

وهذه الآية مثل قوله تعالى في خطاب سارة زوج إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ ﴾ [هود:٧٣]، فانتقل من صيغة المؤنث إلى صيغة المذكر لدخول المؤنث في المذكر، وفيه نوع من التفخيم والتعظيم، وهو ما ورد في آية التطهير، حيث انتقل الخطاب من زوجات النبي ﷺ ليشمل كل آل البيت.

ودخول نساء النبي ﷺ في التطهير من ضروريات الخطاب التي لا يمكن أن ينفك عنها، فلا يمكن أن نقول إن الآية في آل البيت ونخرج نساء النبي ﷺ، وإلا ما الفائدة

من وجود هذا الخطاب ضمن هذه الآية التي هي في الأصل تخاطب نساء النبي ﷺ صراحة بـ (يا نساء النبي) وهذا ما جعل بعض علماء الشيعة يزعم أن في الآية تحريفًا، كما قال المجلسي -مثلًا- في رده على هذا الإشكال: (لعل آية التطهير وضعوها في موضع زعموا أنها تناسبه، أو أدخلوها في سياق مخاطبة الزوجات لبعض مصالحهم الدنيوية، وقد ظهر من الأخبار عدم ارتباطها بقصتهن، فالاعتماد في هذا الباب على النظم والترتيب ظاهر البطلان، ولو سلم عدم التغيير في الترتيب، فنقول: ستأتي أخبار مستفيضة بأنه سقط من القرآن آيات كثيرة، فلعله سقط مما قبل الآية وما بعدها آيات لو ثبتت لم يفت الربط الظاهري بينها)[1].

وهذا مما لا أظنك تقبل به في كلام الله عز وجل المنزه عن التحريف والنقص والتبديل.

إذن كل ما فيها هذه الآية أنها تخبر بإرادة الله عز وجل تطهير آل البيت، وقد علمت أن الإرادة هنا ليست هي الإرادة الكونية التي إذا أراد الله شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون، فلنبحث الآن في معنى الرجس الذي أراد الله إذهابه عن آل البيت وأزواج النبي ﷺ وفاطمة وابنيها رضي الله عنهم أجمعين وما علاقة إذهاب الرجس بالإمامة!

يزعمون أن نفي الرجس في آية التطهير دال وموجب للقول بعصمة الأئمة، فلننظر في معنى الرجس الوارد في القرآن:

وردت كلمة الرجس في القرآن في مواضع عدة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠] وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) البحار: (٣٥/ ٢٣٤)، محجة العلماء: (١٦٣)، فصل الخطاب:(٣٢٠)، الحدائق الناضرة: (٢/ ٢٩٠).

رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ [الأعراف: ٧١] وقوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ [التوبة: ٩٥] وقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠٠] وقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج: ٣٠].

وليس فيما أوردناه من الآيات دليل على حمل مفهوم الرجس على الدلالة الموجبة للعصمة كما يدعيها هؤلاء في آية التطهير.

ويؤيد ذلك أيضًا روايات ذكروها عن الأئمة منها: قول الصادق في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: الرجس هو الشك[١].

وقول الباقر: الرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا -وفي رواية: في ديننا، وفي أخرى: في الله الحق ودينه- أبدًا[٢].

وقول الصادق في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قال: هو الشك[٣].

فيحتمل أن الآية شاملة لنساء النبي عليه الصلاة والسلام، وأن الرجس المنفي هو الشك، وأن الإرادة ليست كونية، وإنما هي إرادة شرعية، وحتى لو سلمنا بكل ذلك فالآية لا تتحدث عن الإمامة لا من قريب ولا من بعيد، وحتى لو ثبت أن الخمسة الذين في الكساء قد دخلوا في العصمة فهذا لا يثبت الإمامة لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك فإن دخول الخمسة في العصمة يخرج سائر الأئمة الآخرين، ويجعلهم خارجين من آية العصمة...

---

(١) معاني الأخبار:(١٣٨)، البحار: (١٩/ ٢٨٧)

(٢) العياشي:(١/ ٢٧٧)، البحار: (١٠/ ١٣٩)

(٣) تفسير العياشي:(١/ ٤٠٦)، البحار:(٧٢/ ١٢٨)، البرهان:(١/ ٥٥٣)

أفبعد كل هذه الاحتمالات، يبقى في الآية دليل ؟

من هنا نجد أن استدلالنا بالآية على العصمة ثم على الإمامة مركب صعب وطريق وعرة وليٌّ لأعناق النصوص وبعدٌ عن منهج القرآن بوضوحه ويسر معانيه، ولا يمكننا أن نقول إن هذه الآية حجة على الناس في أمر الإمامة، إذ لا يمكن أن يستخدم القرآن في أمر عظيم كهذا أسلوب الإلغاز والإبعاد ويترك أسلوبه المعتاد الذي يأتي بالمعاني كالشمس في واضحة النهار.

فظهر لنا أن آية التطهير ليست من الإمامة في قريب ولا بعيد...

ثالثا: إني جاعلك للناس إمامًا.

وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

لم يرد لفظ الإمامة في القرآن الكريم، وإنما ورد لفظ إمام وأئمة، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ أي: جاعلك قدوة يؤتم به، وقال سبحانه ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقال عز وجل: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ ﴾ [التوبة: ١٢] أي: قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين صار ضعفاؤهم تبعًا لهم. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾ [القصص: ٤١]، أي: من تبعهم فهو في النار يوم القيامة. وهذه الآية لا دليل فيها على ما نحن بصدده، فهي عن إبراهيم عليه السلام، وتعني أنه إمام للخير وللصلاح، ولا تعني أنه خليفة للمسلمين.

وهم يقولون: إن الإمامة مرحلة تأتي بعد النبوة، فإبراهيم طلب الإمامة بعد ما حصل النبوة، وهنا نكون قد وقعنا في المنزلق الخطير، وجعلنا مكانة الإمامة فوق النبوة، وهذا ما قال به بعض العلماء: قال المجلسي[1]: «إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلوا من إشكال...ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة

---

(١) صاحب كتاب من أهم كتبهم وهو: بحار الأنوار، في مائة وعشر مجلدات.

إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة»[١] وقال الخميني: «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا محمودًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».[٢]

نخلص من هذا المبحث إلى أن القرآن لم ينص على الإمامة بما تحويه من معان في العقيدة الشيعية، ولتراجع أخي كل الأدلة التي ذكروها في القرآن ستجد فيها خاصية الإلغاز والتلميح، واحتياجها إلى نصوص وروايات، فهي لا تقوم بالمعنى بنفسها أبدًا، ولو حاولت ذلك لما استطعته، فيجب أن نعترف أن القرآن لم يصرح بالإمامة.

إن عدم تصريح القرآن بالإمامة أمر لا شك فيه، وهذا هو القرآن بين أيدينا نقرؤه فلا نجد الإمامة في أي دليل مما يزعمون إلا مجرد إشارات وتلميحات، لا يمكن فهمها على ما يزعمون إلا بجهد جهيد.

فلماذا لم يصرح القرآن بذكر الإمامة، ولا بذكر الإمام؟ ولنصطحب معنا هذا السؤال فسنرجع إليه فيما بعد، ولنمض الآن في بحثنا لعلنا نجد في السنة نصًّا يدل على الإمامة.

* * *

(١) بحار الأنوار ج٢٦ ص٨٢ وفي الكافي وغيره روايات كثيرة تؤكد ذلك، نذكر منها هذه الرواية في باب الفرق بين النبي والرسول والمحدث، قال: «كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص» الكافي - الكليني - ج ١ ص ١٧٦.

(٢) الحكومة الإسلامية ص ٥٢

الإمامة والسنة

أخي الشيعي، إن علماءك غير قادرين على إثبات الإمامة بنص نبوي صحيح من كتبهم صحيح السند أو حديث من كتب السنة واضح وجلي فيه أن عليًّا رضي الله عنه وباقي الأئمة من ذريته هم خلفاء النبي ﷺ، ويكتفي علماؤكم بالاستدلال بروايات غير واضحة تحتمل التأويل أو بمناقب لعلي رضي الله عنه أو للحسنين رضي الله عنهما فيحتجون بها على أحقيتهم في الخلافة.

إذا كان الله عز وجل يخاف على القرآن الكريم من التحريف؟ فلم صرح الرسول ﷺ بالإمامة في الأحاديث؟

أليس تحريف الحديث أسهل من تحريف القرآن؟

ومن أقوى هذه الأحاديث التي يستدلون على الإمامة بها من كتب السنة:

أولاً: حديث الغدير:

وقصة الحديث كما يعتقدها الشيعة هي أن الله عز وجل حذَّر نبيه من كتمان أمر الوصية، حتى أنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فقام النبي ﷺ خطيبًا في الناس في غدير خم، وكان ذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

ودليل الشيعة على الإمامة قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، والموالاة كما مر معنا هي ضد المعاداة والمحاربة والمخادعة، وليست الإمارة والخلافة كما يعتقد الشيعة، لذا لم يقل ﷺ: من كنت واليه فعلي واليه أو قريبًا من هذا، وهذا دليل على أن النبي ﷺ لم يقصد الإمارة وعلي رضي الله عنه لم يفهم هذا المعنى لأنه لا يوجد دليل عند الشيعة يقول فيه علي رضي الله عنه أنا خليفة النبي بعده.

ومما يؤكد بطلان دعوة الشيعة ما يلي:

- لم ينزل يوم الغدير الذي هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة شيء من القرآن وأن الدين اكتمل يوم حجة الوداع - العاشر من ذي الحجة-.

- هل احتج علي رضي الله عنه بهذا الحديث على إمامته بعد وفاة النبي ﷺ ؟ الجواب: لا وعلى المدعي البينة، وحتى لما اجتمع عليه الناس للبيعة بعد عثمان رضي الله عنه، لم يقبل بالبيعة وتحرج منها إلى أن أصر عليه القوم.

- هل تواطأ مائة وعشرون ألف صحابي جملة على إنكار هذا التنصيب ولم يشذ ولا واحد؟

- لو أراد النبي ﷺ تبليغ إمامة علي رضي الله عنه لكان أنسب وقت هو يوم عرفة يوم حجة الوداع حين اجتمع المسلمون من كل الأقطار.أما أنه ﷺ ينتظر حتى يقف في غدير خم وهي مكان بين مكة والمدينة ويبلغ إمامة علي فهذا لا يستقيم عقلًا.

- لو كان النبي ﷺ يريد خلافة علي كان يقول هذا في يوم عرفة، الحجاج كلهم مجتمعون، هناك يقول هذا الكلام صلوات الله وسلامه عليه، حتى إذا غدر أهل المدينة شهد له باقي المسلمين من غير أهل المدينة.

ثانيًا: حديث الثقلين:

يزعم الشيعة أن النبي ﷺ دعا المسلمين إلى اتباع أهل البيت والتمسك بهم وتنصيبهم أئمة بعده لأنهم هم الثقل الأصغر والذي لا يقر لهم بالإمامة فهو ضال كافر.

والحديث في كتب السنة أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «**وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، قال زيد: فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»[1].

الحديث لا دلالة فيه على الإمامة لا من قريب ولا من بعيد وغاية ما فيه أن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب حديث رقم ٣٦ (٢٤٠٨)

النبي ﷺ أوصى باتباع القرآن والاستمساك به وهذا دليل على أنَّ فهم الكتاب والعمل به لا يحتاجان إلى وسيط أو وصاية كما يزعم الشيعة حين يقولون أن علي هو القرآن الناطق وأن أئمتهم هم الذين يعرفون تفسير القرآن وأن القرآن بدونهم لا قيمة له!

أما بالنسبة لرواية كتاب الله وعترتي فهي بهذا اللفظ لا تصح عند أهل السنة لأن طرق الحديث ضعيفة وحتى عند الشيعة لا يصح الحديث لأن رواته إما مجاهيل أو ضعفاء أو غير موثقين فكيف يزعم علماء الشيعة بأنه متواتر عند السنة والشيعة ؟

وحتى لو صح فإن معناه أن النبي ﷺ يوصي برعاية أهل بيته والإحسان بهم كما في لفظ الحديث عند مسلم ولا يوجد فيه دليل على الإمامة أو الولاية لأن لفظ العترة يشمل أهل البيت كلهم ولا يخص عليًّا وذريته فقط بل يعم أقارب النبي ﷺ وهم بنو هاشم وحتى زوجاته ﷺ يدخلن فيه فلا يصح أن يحمل هذا اللفظ على الإمامة.

ثالثا: حديث الكساء:

يربطون هذا الحديث بآية التطهير ويعتبرون أن هذا الحديث سبب في نزول هذه الآية ويقولون أن الحديث مع الآية دليل على عصمة الأئمة عندهم وبالتالي هم الأحق والأولى بالخلافة والإمامة من غيرهم، وهذا باطل لسببين أن حديث الكساء لا علاقة له بآية التطهير من جهة، وآية التطهير كما بينا سلفًا لا علاقة لها لا بالعصمة ولا بالإمامة من جهة أخرى.

ومما يؤكد بطلان هذه الدعوة كذلك:

- الحديث ليس فيه ما يفيد حصر آل البيت في الخمسة ولا ما يفيد أنهم هم أهله فقط.

- حديث الكساء ترويه أم المؤمنين عائشة - التي يزعمون أنها تبغض آل بيت النبي ﷺ - ويخرجونها منه ؟

- الحديث يرويه الإمام مسلم الذي يزعمون أنه يتهم بالنصب وكتم الأحاديث في فضائل آل بيت النبي ﷺ والذي يفتح صحيح مسلم ويقرؤه سيعلم مكانة أهل

البيت عند مسلم.

- لماذا يستبعد الشيعة فاطمة ﷺ من الإمامة ألم تكن تحت الكساء ؟ إذن الحديث لا علاقة له بالإمامة.

- هل كان أبناء الحسين ﷺ تحت الكساء بينما غاب أبناء الحسن رضوان الله على الجميع لكي يجعل الشيعة الإمامة في نسل الأول وإهمال نسل الثاني ؟

- إن حديث الكساء شمل ثلاثة من الاثني عشر المعصومين فما دليل الشيعة على شمول باقي الاثني عشر ؟ وما الدليل على عصمتهم إن لم يكونوا ممن دخلوا تحت الكساء ؟

لا جواب على هذه الأسئلة إلا أن هذه دعوى باطلة تحتاج لدليل والغريب أننا نجد الشيعة متمسكين بموضوع العصمة التي توجب لصاحبها الأحقية بالإمامة علمًا بأن شيخ الشيعة الكليني يروي في الكافي عن علي ﷺ قوله: «فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن من أن يقع مني ذلك»[1].

وفي نهج البلاغة يقول علي لابنه الحسن رضوان الله عليهم: «ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم»[2]. فأين العصمة ؟

هذه أقوى الأحاديث التي يستدل بها الشيعة على الإمامة والتي لا تخرج عن أمرين إما أنها غير صحيحة أو أنها صحيحة لكنها تعبر عن منقبة وليست نصًّا في الإمامة. بقي لنا حديث مهم يستدل به الشيعة على الإمامة وهو حديث الاثنا عشر والذي سنتناوله في محور مستقل إن شاء الله.

رابعًا: حديث الاثنا عشر إمامًا من قريش:

يعتقد الشيعة أن المقصودين في الحديث الموجود في كتب السنة والمروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» هم الأئمة الاثنا عشر

---

(١) الكافي ج٨ ص ٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة ص ٥٧٦.

عندهم وهم علي والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي الموجود بالسرداب، وهذا الحديث يستدلون به على الإمامة كما يزعمون !

وألفاظ هذا الحديث بكتب السنة كالتالي:

عند البخاري:

- «يكون اثنا عشر أميرًا - فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش»[١].

عند مسلم:

- «لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش»[٢].

- «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[٣].

- «لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[٤].

- «لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[٥].

عند أبي داود:

- «لا يزال هذا الدّين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليهم الأمّة»[٦].

هذه أشهر ألفاظ الحديث في كتب السنة المعتمدة.

من خلال الروايات نجد أن صفات الاثنا عشر المذكورين بالحديث:

- يحكمون الناس ويتأمرون عليهم وهذا ظاهر بينما لم يحكم من أئمة الشيعة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف: ٨/ ١٢٧.

(٢) صحيح مسلم-كتاب الإمارة رقم٦ ح ٢٣٠.

(٣) صحيح مسلم-كتاب الإمارة رقم٧ ح ٢٣٢.

(٤) صحيح مسلم-كتاب الإمارة رقم١٠ ح ٢٣٣.

(٥) صحيح مسلم-كتاب الإمارة رقم ٩ ح ٢٣٤.

(٦) سنن أبي داود، أوّل كتاب المهدي: ٤/ ٤٧١

الاثني عشر إلا علي والحسن رضي الله عنهما.

- أخبر النبي ﷺ أن الدين يبقى عزيزًا منيعًا حتى ينتهي حكم الاثني عشر خليفة وفي اعتقاد الشيعة أن الثاني عشر لم يخرج بعد مع ما يعيشه المسلمون اليوم من ذل وضعف حتى تسلط الكفار عليهم وساموهم سوء العذاب.

- الحديث ليس فيه حصر للأئمة بهذا العدد «١٢»؛ بل نبوءة منه ﷺ بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء.

وبعد هذا نقول: إن أمر الإمامة ليس مما يمكن أن يثبت بالسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، بل لا بد من ثبوته بالقرآن كسائر أصول الدين وأصول الاعتقاد، وإنما استطردنا في هذا المبحث لكي نزيل شبهة من يقول إن هناك المئات من الأحاديث التي تنص على إمامة علي عليه السلام والأئمة من بعده، وعند التتبع لن تجد من الأحاديث إلا اضطرابًا واختلافًا مما لا يمكن الاعتماد عليه في إثبات أصول الشريعة.

ولتتضح الصورة أكثر، سنقف مع الإمام وقفات كي نرى إلى أي حد يمكن للعقل أن يصدق بحاجتنا إلى هذا الإمام، وكيف تنبني عليه هدايتنا وسعادتنا!

وقفات مع الأئمة

سنحاول في هذه الوقفات أن نقترب من الإمام قليلًا ونقترب من هذه العقيدة لنسبر أغوارها، لأن كثيرًا منا برغم أنه عاش على عقيدة أهله وترعرع فيها إلا أنه لا يطلع على تفاصيل ما تتضمنه الكتب من عقائد باطلة يكفي في التنفير منها الاطلاع عليها والوقوف على أسرارها، وسوف نرى شيئًا مما يصفون به الأئمة مما قد لا يخطر على بالك، كما سنقف قليلًا مع الإمام المهدي وما يذكرونه عنه من أمور لا يصدقها عقل...

معجزات الأئمة[١]

المعجزات والآيات والبراهين لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى وقد أجراها الله تعالى على أيدي أنبيائه عليهم السلام وخصهم بها دليلاً على صدقهم، وحكى الله في كتابه العزيز عن أنواع من هذه المعجزات والآيات التي أيد بها أنبياءه كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد عليهم الصلاة والسلام، وهذه المعجزات كما ينقل ابن حزم في المحلى[٢] لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام وهذا ما يعتقده المسلمون قاطبة خلافًا للشيعة الاثنا عشرية الذين نسبوا المعجزات للأئمة وجعلوها علامة على الإمامة، لأنهم يقولون: «إنّ الإمامة استمرار للنّبوّة»[٣] ويقولون:« فكما أنّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنّبوّة والرّسالة ويؤيّده بالمعجزة.. فكذلك يختار للإمامة »[٤]، لهذا نجد أن مصنفات الشيعة المختلفة امتلأت بروايات تحكي عن هذه المعجزات التي جرت على يد أئمتهم الاثنا عشر وقد خلطوا بين الكرامة والمعجزة لسبب بسيط أنهم لا يستطيعون التفريق بين النبي والإمام !!

إذا سألنا شيعي ومن حقه ذلك، هل نؤمن بالكرامات ؟

الجواب: من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادة في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من

---

(١) المعجزة هي كل خارق للعادة وهي غير الكرامة التي يجريها الله على يد أوليائه وإن اشتركا في كونهما خارقين للعادة.

(٢) [ابن حزم/ المحلى: ١/ ٣٥].

(٣) [عقائد الإماميّة: ص٩٤].

(٤) [أصل الشّيعة وأصولها: ص٥٨].

الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة[١].

إذن فالكرامات ليست دليلاً على التفضيل أو الأحقية بالخلافة كما يزعم الشيعة لأن أئمتهم لم يختصوا بها وحدهم ولكنها تجري على غيرهم من صالحي الأمة كما جرت على يد الصحابة والتابعين.

ابن تيمية رحمه الله أشار إلى هذا الأمر في معرض رده على ابن المطهر الحلي الذي زعم أن عليا «ظهرت منه معجزات كثيرة وهذا دليل على إمامته وأفضليته »

فقال - ابن تيمية -: «فكأنه يسمي كرامات الأولياء معجزات وهذا اصطلاح كثير من الناس فيقال: علي أفضل من كثير ممن له كرامات، والكرامات متواترة عن كثير من عوام أهل السنة الذين يفضلون أبا بكر وعمر فكيف لا تكون الكرامات ثابتة لعلي ﷺ، وليس في مجرد الكرامات ما يدل على أنه أفضل من غيره»[٢].

لماذا كل هذه الروايات التي تتكلم عن معجزات الأئمة ؟

كما أسلفنا فالشيعة يعتقدون أن صدور المعجزة من إمام هي علامة على إمامته وأفضليته، يقول يوسف البحراني: «إن الله أظهر على أيديهم المعاجز والدلائل لأنهم حجته على عباده»[٣] وهذا يوافق بابًا عنون له الكليني في أصول الكافي: باب «إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام»، ذكر أحاديث رواها على لسان الأئمة يقولون فيها: «فنحن حجج الله في عباده»[٤]، «ولولانا ما عبد الله»[٥]، «الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه»[٦].

وفيما يلي أخي الشيعي مجموعة من المعجزات التي لم تفضل الأئمة على الأنبياء فحسب بل رفعتهم إلى مكانة الربوبية والعياذ بالله:

---

(١) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣/ ١٥٦].

(٢) [منهاج السنة: ٢/ ١٤٩].

(٣) [هاشم البحراني/ ينابيع المعاجز: ص٢ (المقدمة)].

(٤) (أصول الكافي: ١/ ١٩٣).

(٥) (أصول الكافي: ١/ ١٩٣).

(٦) (أصول الكافي: ١/ ١٩٣).

- روى الكليني بسنده عن أبي عبدالله أنه قال: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) بَابَ اللهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ وسَبِيلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ وكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَئِمَّةُ الْهُدَى واحدًا بَعْدَ وَاحِدٍ جَعَلَهُمُ اللهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا وحُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ ومَنْ تَحْتَ الثَّرَى وكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (صلوات الله عليه) كثيرًا مَا يَقُولُ أَنَا قَسِيمُ اللهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ والنَّارِ وأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ وأَنَا صَاحِبُ الْعَصَا والْمِيسَمِ ولَقَدْ أَقَرَّتْ لِي جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ والرُّوحُ والرُّسُلُ بِمِثْلِ مَا أَقَرُّوا بِهِ لِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) ولَقَدْ حُمِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَمُولَتِهِ وهِيَ حَمُولَةُ الرَّبِّ وإِنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يُدْعَى فَيُكْسَى وأُدْعَى فَأُكْسَى ويُسْتَنْطَقُ وأُسْتَنْطَقُ فَأَنْطِقُ عَلَى حَدِّ مَنْطِقِهِ ولَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالًا مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِي عُلِّمْتُ الْمَنَايَا والْبَلَايَا والْأَنْسَابَ وفَصْلَ الْخِطَابِ فَلَمْ يَفُتْنِي مَا سَبَقَنِي ولَمْ يَعْزُبْ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللهِ وأُؤَدِّي عَنْهُ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ اللهِ مَكَّنَنِي فِيهِ بِعِلْمِهِ.[1]

بهذه الرواية المكذوبة على جعفر الصادق رحمه الله نلاحظ:

- إن كان علي - وحاشاه- هو باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، فأين النبي محمد ﷺ ؟

- تميز عليّ - وحاشاه - بمعجزات وصفات ليست لمحمد ﷺ كقوله: «أنا قَسِيمُ اللهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ والنَّارِ» والعياذ بالله. هل قال هذا أحد من الأنبياء؟

- رفع علي وحاشاه - لدرجة الألوهية فيقول: «وَ لَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالًا مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِي عُلِّمْتُ الْمَنَايَا والْبَلَايَا والْأَنْسَابَ وفَصْلَ الْخِطَابِ فَلَمْ يَفُتْنِي مَا سَبَقَنِي ولَمْ يَعْزُبْ عَنِّي مَا غَابَ عَنِّي..» إضفاء صفات الله عز وجل على علي حينما يقول: أنه يعلم علم المنايا والبلايا ولا يعزب عنه شيء!

- روى المفيد والمجلسي وغيرهم بسندهم عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما

---

(١) [أصول الكافي: ١/ ١٩٦-١٩٧، وروايات أخرى بهذا المعنى، وكلّها ساقها في «باب أنّ الأئمّة هم أركان الأرض». وانظر: «فصل العصمة»].

إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام[١].

إن كل مسلم يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن ما يجري في الكون هو بأمر الله وتدبيره وتقديره لا شريك له سبحانه وتعالى، لكن مثل هذه الرواية التي نسبها المفيد والمجلسي وغيرهم لجعفر الصادق رحمه الله كذبا وزورا ما هي إلا دليل على الانحراف العقدي الذي تمتلأ به كتب الشيعة حيث تشرك الأئمة مع الله عز وجل وتجعل لهم دورًا في تسخير الكون، فرواية سماعة تصرح بأن كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار!!

فهل يقبل مسلم هذا الكلام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرعد: ١٢]؟

تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وفي رواية أخرى علي يركب ويسير السحاب: «.. ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب أسباب السماوات والأرضين السبع، خمس عوامر وثنتان خراب»[٢].

وهذه أبواب في أهم المصنفات الشيعية تذكر أمورًا فاقت المعجزات والكرامات التي تجري على يد الأنبياء والأولياء الصالحين:

١ - باب: (عرض الأعمال عليهم، وأنهم الشهداء على الخلق) (البحار: (٢٣/ ٣٣٣-٣٥٣) وفيه (٧٥) رواية، البصائر: (٤٢٤-٤٣٤) وفيه (٥٠) رواية، الكافي: (١/ ٢١٩) وفيه (٤) روايات).

٢ - باب: (أنهم يزدادون ولولا ذلك لنفد ما عندهم، وأن أرواحهم تعرج إلى السماء في ليلة الجمعة) (البحار: (٢٦/ ٨٦-٩٧) وفيه (٣٧) رواية، البصائر: (١٣٠-١٣٢) وفيه (٧) روايات، الكافي: (١/ ٢٥٤) وفيه (٤) روايات).

---

(١) [المفيد/ الاختصاص ص٣٢٧، بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٣، البرهان: ٢/ ٤٨٢.]

(٢) [الاختصاص: ص١٩٩، وانظر: رواية أخرى مثلها ص٣٢٧، وانظر: بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٢.].

٣ - باب: (أنهم خزان الله على علمه وحملة عرشه) (البحار: (٢٦/ ١٠٥-١٠٨) وفيه (١٤) رواية، البصائر: (١٠٣-١٠٦) وفيه (١٦) رواية).

٤ - باب: (أنهم لا يحجب عنهم علم السموات والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض، ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) (البحار: (٢٦/ ١٠٩-١١٧) وفيه (٢٢) رواية، البصائر: (١٠٦-١٠٨) وفيه (١١) رواية، (١٢٧-١٢٨) وفيه (٦) روايات).

٥ - باب: (أنهم يعرفون الناس بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق، وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء شيعتهم وأعدائهم، وأنه لا يزيلهم خبر مخبر عما يعلمون من أحوالهم) (البحار: (٢٦/ ١١٧-١٣٢) وفيه (٤٠) رواية، البصائر: (١٩٠-١٩٢) وفيه (٦) روايات، (١٧٠-١٧٣) وفيه (١٠) روايات).

٦ - باب: (أن الله يرفع للإمام عمودًا ينظر به أعمال العباد) (البحار: (٢٦/ ١٣٢-١٣٦) وفيه (١٦) رواية، البصائر: (٤٣٥-٤٣٧) وفيه (٧) روايات).

٧ - باب: (أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم، وما تحتاج إليه الأمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر، وعلم البلايا، وفصل الخطاب، والمواليد) (البحار: (٢٦/ ١٣٧-١٥٤) وفيه (٤٣) رواية، البصائر: (١٢٢-١٢٧) وفيه (١٧) رواية).

٨ - باب: (في أن عندهم كتبًا فيها أسماء الملوك الذين يملكون في الأرض) (البحار: (٢٦/ ١٥٥-١٥٦) وفيه (٧) روايات، البصائر: (١٦٨-١٧٠) وفيه (٧) روايات).

٩ - باب: (أن عندهم جميع علم الملائكة والأنبياء، وأنهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء عليهم السلام، وأن كل إمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله) (البحار: (٢٦/ ١٥٩-١٧٩) وفيه (٦٣) رواية، البصائر: (١٠٩-١٢٠) وفيه (٤٢) رواية).

١٠ - باب: (أنهم يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها) (البحار:

(٢٦/ ١٩٠-١٩٣) وفيه (٧) روايات، البصائر: (٣٣٣-٣٤١) وفيه (٢٥) رواية).

١١ - باب: (أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء) (البحار: (٢٧/ ٢٩-٣١) وفيه (٤) روايات، البصائر: (٢٦٩-٢٧٤) وفيه (١٣) رواية).

١٢ - باب: (أنهم سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب) (البحار: (٢٧/ ٣٢-٤٠) وفيه (٥) روايات).

١٣ - باب: (أنهم يعلمون منطق الطيور والبهائم) (البحار: (٢٧/ ٢٦١-٢٧٩) وفيه (٢٦) رواية، البصائر: (٣٤١-٣٥٤) وفيه (٤٣) رواية).

١٤ - باب: (أنهم يعلمون متى يموتون، وأنه لا يقع ذلك إلا باختيارهم) (البحار: (٢٧/ ٢٨٥-٢٨٧) وفيه (٦) روايات، البصائر: (٤٨٠-٤٨٤) وفيه (١٤) رواية، الكافي: (١/ ٢٥٨) وفيه (٨) روايات).

١٥ - باب: (أنهم يظهرون بعد موتهم، ويظهر منهم الغرائب، ويأتيهم أرواح الأنبياء عليهم السلام، وتظهر لهم الأموات من أوليائهم وأعدائهم) (البحار: (٢٧/ ٣٠٢-٣٠٨) وفيه (١٣) رواية).

ونحن إذ لم نسرد الروايات فلأن العناوين أغنتنا عن ذلك، ونترك للحكماء والعقلاء من الشيعة أن يحكموا.

ولعلنا بعد هذه الروايات أن نفكر من جديد ونتساءل: ما حاجتنا لرجل يملك كل هذه الخوارق؟ ثم ما الفائدة إن كان يعلم ذلك كله وهو غائب عنا، وما وجه الانتفاع بكل هذا ونحن إن احتجناه في مسألة فقهية لم نجده؟

علم الغيب

أجمع المسلمون على أن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الغيب واختص به نفسه، ولا طريق لمعرفته والاطلاع عليه إلا عن طريقه سبحانه، فهو لا يُطلِع على

غيبه أحدًا، إلا من ارتضى من رسول، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فأثبت الله عز وجل اختصاصه بعلم الغيب ونفاه عن أقرب الخلق إليه، وأطوعهم له، وهم الملائكة والأنبياء، فقال للملائكة وقد تساءلوا: كيف يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، وتبرأ الأنبياء أنفسهم من ادعاء علم الغيب، فنوح - عليه السلام - كان يقول لقومه: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [هود: ٣١] ونبينا محمد ﷺ أمره ربه أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وحتى الجن الذين يعتقد الكثير فيهم معرفة الغيب، بيَّن سبحانه أنهم لا يملكون هذه القدرة، وذكر أنهم ظلوا مسخرين في الأعمال الشاقة التي استعملهم لها سليمان - عليه السلام - حتى بعد وفاته، ولم يعلموا بموته إلا بعد سقوطه حين أكلت الأرضة عصاه التي يتكئ عليها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤] فلو كان الجن يعلمون الغيب وعلموا بموت سليمان، إذن لارتاحوا من الأعمال الشاقة التي كان كلفهم بها في حياته.

لكن الشيعة الإمامية خالفوا هذا كله وزعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب، فهذا الكليني صاحب الكافي يبوب أبوابًا بالعناوين التالية:

- بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ (عليهم السلام) إِذَا شَاؤوا أَنْ يَعْلَمُوا عُلِّمُوا.

- بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ (عليهم السلام) يَعْلَمُونَ مَتَى يَمُوتُونَ وَأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنْهُمْ.

- بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ (عليهم السلام) يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمُ الشَّيْءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

هذه نماذج للأبواب التي عنون بها الكليني رواياته - التي تقول أن الأئمة

يعلمون الغيب -في كتابه الكافي (الأصول)، وضمت هذه الأبواب روايات عديدة نذكر منها:

- روى الكليني بسنده عن عدة من الأصحاب أنهم سَمِعُوا أَبَا عَبْدِ اللهِ (عليه السلام) يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ومَا فِي الْأَرْضِ وأَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ وأَعْلَمُ مَا فِي النَّارِ وَأَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَالَ: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ فَقَالَ عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ[١].

- في رواية أخرى عَنْ سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله ﷺ جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السّلام أعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السّاعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة[٢].

وهذا غيض من فيض من روايات كثيرة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع المسلمين سلفًا وخلفًا، بل مخالفة لروايات مأثورة في كتب الشيعة كذلك، فهذا جعفر بن محمد الصادق رحمه الله ينفي أن يكون هو وآبائه يعلمون الغيب ويتبرأ ممن يعتقد هذا الكفر فيقول: «يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي»[٣] ويقول: «.. لقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطًا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب، وأصابني الجبل»[٤] فهذه أدلة صريحة عنهم عليهم السلام، أنهم لا يعلمون الغيب، وهذا عين ما أخبر به القرآن.

---

(١) [أصول الكافي: ١/ ٢٦١].

(٢) [أصول الكافي: ١/ ٢٦٠-٢٦١].

(٣) [أصول الكافي: ١/ ٢٥٧].

(٤) [رجال الكشي: ص١٨٨-١٨٩ ط: إيران، بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٢٢].

لذلك وجب علينا رد كل ما خالف القرآن، ولا نثبت إلا ما أثبته الله عز وجل وذلك قوله: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾.

ولنستبق الزمان قليلاً لنرى ماذا سيفعل المهدي الذي يجمع كل هذه الصفات، وكيف سيسخر ذلك ليملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جورًا وظلمًا.

المهدي المنتظر

هل يعتقد المسلمون من غير الشيعة المهدي؟

يعتقد المسلمون قاطبة أن المهدي هو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحَسني ﷺ حيث يتصل نسبه بالحسن ابن علي كرم الله وجهه، ويشبه رسول الله ﷺ في الخُلق والخلق، وهو إمام من أئمة الهُدى ينفع الله به وينصر به الحق، حيث يعود بالمجتمع إلى المنهج الصافي ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ابتعدت إلى طريق الظلم والجور والفتن حتى يكثر الخير في زمانه ويفيض المال ويبسط يده على الأرض كلها، وهو الذي سيقتل المسيح ويكسر الصليب ويقتل الخنزير.

ولا يعتقدون بعصمته ولا بعلمه للغيب ولا بأي شيء مما يعتقده الشيعة في مهديهم، بل هو رجل من أمة محمد ﷺ سيولد في آخر الزمان.

عقيدة الشيعة في المهدي

أما الشيعة فيعتقدون أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر وقد اختلفوا في سنة ولادته إما في (٢٥٤) للهجرة، أو (٢٥٥) للهجرة، أو (٢٥٦) للهجرة، أو (٢٥٧) للهجرة، أو (٢٥٨) للهجرة[1].

---

(١) انظر هذه الروايات في: البحار: (٥١/ ٢، ٤، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٣) (٥٢/ ١٤٦) (٥٣/ ٤)، كمال الدين: (٣٩٥، ٣٩٧)، الإرشاد: (٣٤٦)، إثبات الهداة: (٣/ ٤٤١، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٨، ٥٨٠)، إعلام الورى: (٣٩٣)، غيبة الطوسي: (١٣٩، ١٤٣، ١٤٧، ١٦٤، ٢٤١، ٢٥٨)، كشف الغمة: (٣/ ٢٣٤)، جامع الرواة: (٢/ ٤٦٧)، دلائل الإمامة: (٢٦٧).

والمشهور أنه ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ قبل أن تصل الخلافة إلى المهّدي العباسي بشهر تقريبًا، أما تفاصيل ولادته فتحكي تفاصيلها روايات كثيرة يرويها القوم عن حكيمة[١] وهي عمة الحسن العسكري أنها قالت: بعث إليَّ أبو محمد، فقال: يا عمة، اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس، قلت له: والله جعلني فداك ما بها من أثر – أي: لا تظهر عليها علامات الحمل - وفي رواية أخرى: فوثبت إلى نرجس، فقلبتها ظهرًا لبطن فلم أر بها أثرًا من حبل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت فتبسم، ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها.

وفي رواية: قال: إنا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون وإنما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام وإنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا؛ لأننا نور الله الذي لا تناله الدانسات، فجاءت تنزع خفي، وقالت لي: يا سيدتي، كيف أمسيت؟

فقلت – حكيمة -: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، فأنكرت قولي، وقالت: ما هذا يا عمة؟ فقلت لها: يا بنية، إن الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلامًا سيدًا في الدنيا والآخرة، فجلست واستحيت، فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي.

وفي رواية: فلما ورد وقت صلاة الليل قمت ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة، فأخذت في صلاتي ثم أوترت، فأنا في الوتر حتى وقع في نفسي أن الفجر قد طلع، فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد من المجلس: لا تعجلي يا عمة فإن الأمر قد قرب، فبينا أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها، فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: تحسين شيئًا؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، فوقع علي سبات لم أتمالك معه أن نمت، ووقع على نرجس مثل ذلك

---

(١) هي حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ونامت، فلم أنتبه إلا بحس سيدي المهدي، وصيحة أبي محمد يقول: يا عمة، هاتي ابني... الخبر[1].

والغريب في هذه القصة أن ولادة الإمام مختلفة عن ولادة الأنبياء، فهم كما نعلم بشر يولدون كما يولد البشر ويموتون كما يموت البشر، لكن الإمام يخرج من الجنب كي لا تمسه النجاسات !!

* * *

(١) كمال الدين: (٣٩٠، ٣٩٣)، البحار: (٥١/ ٢، ١٣، ١٧، ٢٦)، إثبات الهداة: (٣/ ٤٠٩، ٤١٤)، إعلام الورى: (٣٩٤)، دلائل الإمامة: (٢٦٤).

سيرة المهدي

أولاً: سيرته أثناء الغيبة

أما الآن وقبل أن يخرج، فقد غاب عنا، ولماذا غاب اختلفت الروايات في ذلك، والأشهر أنه غاب مخافة القتل على يد العباسيين، وهنا أيضًا نتساءل: كيف يكون بيده كل هذه المعجزات والقوى الخارقة، ثم يغيب كل هذه السنين خوفًا على نفسه من القتل؟

ولنر الآن كيف حصلت هذه الغيبة وكيف تطورت من غيبة صغرى إلى غيبة كبرى...

الغيبة الصغرى[١]

لعلك تتساءل لماذا غاب الإمام غيبتين، إن كان يخشى القتل لقد كان يكفيه غيبة واحدة، فما المعنى في أن يغيب غيبة صغرى ثم يغيب غيبة كبرى.

الجواب المنطقي أن الأمور تطورت للأسوأ، يعني أن الإمام كان سيظهر في فترة قريبة، ثم تقرر أن يغيب لفترة أطول، ثم تقرر أن يغيب لأجل غير مسمى، وهذا ما تؤكده الروايات.

فقد كان غياب المهدي يؤقت بمدة يسيرة، فقد قال أبو جعفر: « ليس بين قيام القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»[٢] وهكذا كانت

---

(١) نقلاً عن موقع موسوعة الرشيد بتصرف:
http://www.alrashead.net/index.php?partd=١٣&derid=٩١١

(٢) الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٣٧٤

كثير من الوعود التي تصدر عن الأئمة المعصومين، لكنها لم يكن يتحقق منها شيء، فكل مرة يزاد في المدة، وكل مرة يتأخر الموعد الذي ينتظره الشيعة بفارغ الصبر.

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « يا ثابت: إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخر إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»[1].

إذن كانت الغيبة الصغرى حلًّا مؤقتًا لمعضلة عدم وجود ابن معروف للإمام الحادي عشر: الحسن العسكري، فبقي الشيعة ينتظرون بفارغ الصبر خروج إمامهم الذي سيقودهم إلى النصر، ولكن طالت المدة وزيد فيها مرة بعد مرة، ولم يخرج الإمام.

وتطييبًا لخاطر هذا الذي قضى عمره في تتبع الأخبار وانتظار الإمام، رووا عن أبي عبد الله أنه قال: «من مات وهو عارف لإمامه لم يضره، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[2].

وما أشد ما تأخر هذا الفرج على منتظريه، وطال الوقت على مؤمليه، ولعل مدبري هذا الأمر كانوا على علم بأن لا فائدة من الانتظار، وأن لا فرج قريب، ولا مهدي سيظهر، بل لقد كانوا على علم تام بذلك، ولكنهم لم يستطيعوا الاكتفاء من أموال الخمس التي يأخذونها باسم الإمام والمذهب، وإليك سيد الأدلة، أعني اعترافهم بأنهم كانوا على علم بما يفترون:

فقد روى الكافي عن علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة، قال: وقال يقطين-يقطين سني وابنه شيعي- لابنه علي بن يقطين: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟-أي: ما كان يبشر به

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٧٢.

من ظهور دولة بني العباس- قال: فقال له علي: إن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر، فأعطيتم محضه، فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر، فعللنا بالأماني، فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة، لقست القلوب ولرجع عامة الناس من الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألفًا لقلوب الناس وتقريبًا للفرج»[1]، وما زالت الشيعة تربى بتلك الأماني إلى اليوم، أي منذ ثلاثة عشر قرنًا.

يقول المجلسي معللًا هذا الكذب المتعمد على الشيعة المنتظرين لظهور المهدي: «أن يكون في هذه الأخبار تسلية من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبة الحق وأهله... لأنهم عليهم السلام لو كانوا أخبروا الشيعة في أول ابتلائهم باستيلاء المخالفين وشدة محنتهم، أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة، ليئسوا ورجعوا عن الدين. ولكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج، وربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة، ليثبتوا على الدين، ويثابوا بانتظار الفرج كما مر في خبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه»[2]. ثم ساق الحديث السابق ذكره من أن الشيعة تربى بالأماني...فاعترفوا أنهم كانوا يخبرونهم بخروج المهدي وهم يعلمون يقينًا أنه لن يخرج في ذلك الوقت، تسكينًا لهم وتصبيرًا!

إذن: كانت الغيبة الصغرى مجرد وهم، وكان الشيعة يربون فيها بالأماني والوعود، من أجل أن لا ييئسوا، ولكن كان أيضًا هناك أمر آخر، وفائدة أخرى من هذه الغيبة، ألا وهي قضية الباب، وهو المنصب الذي يجعل الشخص مؤهلًا للقاء الإمام واستفتائه.

ولكن حين أصبحت البابوية مصدرًا للثراء وجمع الدنانير، ادعى كثير من الناس أنهم أبواب، وأخذوا يجمعون الأموال باسم المهدي، لكن المهدي كما يزعمون، فضح أمرهم وأصدر فيهم تواقيعه بلعنهم والتبرؤ منهم، وهكذا كان كل باب كان يأتي

---

(١) ج ١ - ص ٣٦٩.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤ - ص ١٣١ - ١٣٢.

بتواقيع يلعن فيها الباب الآخر ويتهمه[١].

وكان منهم الشلمغاني الذي فضح الأمر وكشف الحال، بعد أن لُعن ولم يحصل على شيء، فقال: «ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف»[٢].

ولما تحول الأمر إلى صراع مقيت، بعد أن لعن بعضهم بعضًا، وكفر بعضهم بعضًا، وأصدر بعضهم التواقيع في بعض، وكادت اللعبة أن تنكشف، تقرر إنهاء أمر البابية، بعد سبعين سنة من جمع الأموال وإيصالها إلى المهدي، وما أدري ما حاجته إلى المال مع ما يذكرون عنه من المعجزات والخوارق...

وعندما حضرت الوفاة آخرهم، واسمه السمري، سُئل عن الوصي على الباب بعده، فقال: «لله أمر هو بالغه»[٣].

وأخرج التوقيع الذي أنهى الخلاف، حيث جاء فيه: «أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[٤].

فهذا هو الواقع، أن المسألة صراع على المناصب والأموال، تغلف بمثل هذه الروايات التي لا يشك عاقل في أنها مكذوبة على الإمام، فلا يعقل أن يتعمد إمام الكذب على أتباعه كي يربيهم بالأماني...

الغيبة الكبرى[٥]

يمكننا أن نجمل ما يقوم به المهدي أثناء غيبته في أمرين اثنين:

- جمع المال.

---

(١) انظر ما حكاه الطوسي في باب ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله، فقد ذكر عددًا منهم ولعنهم، وأورد تواقيع المهدي الصادرة في حقهم. ص٣٩٧ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر ص٣٧٣ وانظر الرواية في البحار ج ٥٢ ص٣٥٨ عند ترجمته.

(٣) نفس المصدر ص٣٩٣.

(٤) نفس المصدر ص٢٨٥ وانظر ما كتبه الدكتور ناصر القفاري، حول البابية، ج٢ص٨٩٢ من كتابه أصول مذهب الشيعة.

(٥) عن موقع موسوعة الرشيد (نفس الرابط).

• وإصدار التواقيع.

فأما بالنسبة لجمع المال، فلا يمكننا أن نعرف أين ذهب ذلك المال وماذا فعل به، إلا إن تصورنا أن المهدي مازال يجمع المال منذ ذلك الزمان حتى يساعده في خروجه، لعل هذا يكون معقولا، لكن نظرية ولاية الفقيه خالفت ذلك كله، وجعلت المال للفقيه، فلا يمكننا الحديث عن ثروة المهدي بقدر ما يمكننا أن نلاحظ الثروات الطائلة التي تجمعت لدى المراجع والمعممين...

وأما التواقيع، وهي الفتاوى التي كانت تصدر عن الإمام، فلو استعرضناها لما وجدناها تزيد على كونها فتاوى فقهية، وقد انتهت بانتهاء الغيبة الصغرى، فلم يبق إلا جمع المال.

أخي الشيعي...

إن وجود هذه الأموال الطائلة، والتي ينالها المعممون هنيئا مريئا باسم الخمس، والتي تجعلهم من أغنى الطبقات الاجتماعية في إيران والعراق وغيرها من الدول، لهي شيء يدعو إلى الشك والريبة، خصوصًا وقد مر معنا الروايات الثابتة الكثيرة والمتناثرة في كل الكتب، والتي جاءت بإعفاء الشيعة من الخمس أثناء غيبة المهدي.

وفي ظل الخمس تحولت المرجعيات الدينية إلى ما يشبه شركات الجباية المنظمة، حيث يفتتح المرجع له في عدد كبير من الدول مكاتب ويتخذ وكلاء يقومون بتقديم الفتاوى للمقلدين بصفة ثانوية، وبجمع أموال الخمس منهم بصفة رئيسة، ويحدث بين هذه المكاتب والوكلاء تنافس محموم على جذب الأتباع الذين يقدمون خمس أموالهم إلى المرجع الديني وهم يتمنون الرضا، وقد أصبحت منزلة المجتهد محل منافسة شديدة ويتكالب عليها أعداد كبيرة من علماء الشيعة، واللافت هنا أنه لا توجد أي رقابة على المرجع في تسلمه للأموال أو كيفية إنفاقه لها، ويقول بعض الباحثين في الشأن الشيعي أن: « الفقه الشيعي المفبرك الذي اخترع فريضة الخمس واستحدث لها نصوص موضوعة، لم يتحدث عن كيفية متابعة أو رقابة المجتهد في إنفاقه لهذه الأموال، بل تتحدث المراجع عن حرية مطلقة في هذا الباب » ولذلك

انتشر الفساد بين رجال الدين الشيعة بسبب هذه الأموال، ويقول الباحث محمد مال الله: « أعرف مجتهدًا من مجتهدي الشيعة لا زال على قيد الحياة وقد ادخر من الخمس ما يجعله زميلا لقارون الغابر أو القوارين المعاصرين، وهناك مجتهد شيعي في إيران قتل قبل سنوات معدودة كان قد أودع باسمه في المصارف مبلغا يعادل عشرين مليون دولار أخذها من الناس طوعا أو كرها باسم الخمس والحقوق الشرعية، وبعد محاكمات كثيرة استطاعت الحكومة الإيرانية وضع اليد على تلك الأموال كي لا يقسمها الورثة فيما بينهم »..

وهذا ما أدى إلى التنازع بين قم والنجف، فقد كان محمد صادق الصدر والد مقتدى الصدر الزعيم الشيعي البارز حاليا، مرجعا دينيًّا في العراق في عهد صدام حسين، وكان معارضا وناقما على السيطرة الإيرانية على منصب المرجع في العراق، واتهم مراجع النجف بالفساد في إدارة أموال الخمس، وكشف أن العراقيين لا يستفيدون من هذه الأموال الطائلة التي تجبى منهم كل عام، بل إن أهالي النجف أنفسهم حيث يعيش المرجعيات يعانون من الفقر وشظف العيش في ظل مرجعيات تتحكم بعشرات الملايين من الدولارات، وقد كانت هذه المعارضة من صادق الصدر والتهديد بسلب مراجع النجف الإيرانيين مصدر قوتهم وعزتهم سببا رئيسا في اغتياله عام ١٩٩٩م كما يرجح كثير من الباحثين على أيدي هذه المراجع وعلى رأسهم السيستاني والحكيم، وليس بأيدي مخابرات صدام حسين، وهو ما يفسر سبب العداء الواضح بين مقتدى بن صادق الصدر وهذه المراجع في الوقت الحالي، ومعروف أن أتباع الصدر قتلوا عبد المجيد الخوئي أحد معارضي نظام صدام، وابن المرجع الخوئي المعروف – مات عام ١٩٩٣ م – وكان الخوئي الابن قد قدم بغداد في حماية قوات الاحتلال للاضطلاع بدور في عهد ما بعد صدام لكنه قتل على باب منزل مقتدى الصدر وبأيدي أتباعه، والخوئي المقتول كان يدير مؤسسة الخوئي العالمية من لندن بعد أن ورث أموال الخمس بعد مقتل أبيه، وهي تعد حسب التقديرات غير الرسمية بعشرات الملايين من الدولارات التي لم يستطع أحد أن

يسترجعها منه..

هذا هو ما كان عليه المهدي أثناء غيبته، فلنر ما سيفعله بعد ظهوره.

ثانيا: سيرته بعد الظهور:

حينما تسمع أوصاف المهدي وتقرأ سيرته بعد الظهور، يفاجئك أن أعماله المذكورة كلها تدور حول مبدإ واحد، ألا وهو الانتقام من أعداء آل البيت كما يزعمون، حتى وكأنه ما خرج إلا للانتقام والقتل والتشفي...

فإذا كان أول عمل قام به رسولنا العظيم، حين قدم المدينة قائدا للمسلمين، أن آخى بين الأنصار والمهاجرين، فالمهدي سيقوم بأول عمل له أنه عندما يخرج يدعو الله سبحانه وتعالى باسمه العبراني، فيستجيب الله تعالى له دعاءه بأن يجمع له أصحابه من كل مكان: جاء في كتاب الغيبة للعماني: «إذا أذن الإمام دعا الله باسمه العبراني فأتيحت له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر قزع كقزع الخريف فهم أصحاب الألوية منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكة» [١] ويجتمع إليه الشيعة من كل مكان: جاء في بحار الأنوار عن أحد موالي أبي الحسن عليه السلام قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨] قال: وذلك والله أن لو قد قام قائمنا، يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان[٢]. فالشيعة جميعهم يجتمعون إلى القائم من كل أنحاء الأرض، وهذا الاجتماع لا يقتصر على الأحياء فقط، بل حتى الأموات يحيون ويخرجون من قبورهم ملبين نداء القائم المنتظر حيث يكون هذا الاجتماع في الكوفة جاء في بحار الأنوار: عن رفيد مولى أبي هبيرة عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «قال له: يارفيد كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة ثم أخرج المثال الجديد على العرب شديد» [٣].

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٦٩.

(٢) البحار للمجلسي: (٥٢/ ٢٩١).

(٣) البحار (٥٢/ ٣١٨).

- أما أعماله بعد خروجه نُلخصها فيما يلي:

١ - نبش قبري الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وصلبهما وإحراقهما!:

- عن بشير النبال قال: قال أبو عبدالله: هل تدري أول ما يبدأ به القائم؟ قلت: لا، قال: يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذرهما في الريح، ويكسر المسجد[١].

- وفي رواية: إذا قدم القائم وثب أن يكسر الحائط الذي على القبر، فيبعث الله تعالى ريحًا شديدة وصواعق ورعودًا، حتى يقول الناس: إنما ذا لذا، فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد، (كما فعلوا مع الحسين رضي الله عنه حين تركوه بعد أن بايعوه وانفضوا عنه بعد أن خرج إليهم بأهله وماله) فيأخذ المعول بيده، فيكون أول من يضرب بالمعول، ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب المعول بيده، فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض بقدر سبقهم إليه، فيهدمون الحائط ثم يخرجهما غضين رطبين، فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما، ثم ينزلهما ويحرقهما، ثم يذريهما في الريح[٢].

- ويروون عن الجواد أنه قال: فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل، فقلت: يا سيدي، وكيف يعلم أن الله قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما[٣].

والمجلسي لما أورد الرواية في بحاره، لم يزد على أن قال في بيانه: يعني باللات والعزى صنمي قريش: أبا بكر وعمر[٤].

وفي رواية عن الصادق قال: فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذٍ أشد من فتنة العجل والسامري[٥].

إذن هو قاتل من الدرجة الأولى، والغريب في هذا القاتل أنه يدعو الله باسمه

---

(١) البحار: (٥٢/ ٣٨٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) كمال الدين: (٣٥٢)، البحار: (٥٢/ ٢٨٣)، إثبات الهداة: (٣/ ٤٦٩).

(٤) البحار: (٥٢/ ٢٨٤).

(٥) كمال الدين: (١/ ٣٦٤)، عيون الأخبار: (١/ ٥٨)، البحار: (٣٦/ ٢٤٥) (٥٢/ ٣٧٩).

العبراني، وسوف نرى في الروايات هذه العلاقة العجيبة بين إمام عربي يتكلم بلسان عبراني!

٢- جلد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

- عن القصير، عن أبي جعفر قال: أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة منها، قلت: جعلت فداك، ولم يجلدها الحد؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم عليه السلام، قلت: فكيف أخره الله للقائم؟ فقال له: إن الله تبارك وتعالى بعث محمدًا ﷺ رحمة، وبعث القائم نقمة[١].

وهنا نتساءل، كيف سيبعثها بين الرجال وقد غاب محرمها وزوجها عليه الصلاة والسلام؟ وهل هناك إهانة أكبر من أن تؤسر زوجتك بين رجال أجانب، كي يقيموا عليها الحد؟ لا شك أن من وضع هذه الأحاديث لا يريد تعظيم رسول الله ﷺ، بل يقصد الإساءة إليه وإلى زوجته رضي الله عنها.

٣- قتل العرب:

- عن الصادق قال: إذا قام القائم من آل محمد ﷺ أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى، حتى يفعل ذلك ست مرات، قيل: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم[٢].

- وفي رواية: تقول قريش: اخرجوا بنا إلى هذا الطاغية، فوالله لو كان محمديًا ما فعل، ولو كان علويًا ما فعل، ولو كان فاطميًا ما فعل[٣].

- وعن الصادق: إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف وما يأخذ منها إلا السيف[٤].

---

(١) علل الشرايع: (٢/ ٢٦٧)، البحار: (٥٢/ ٣١٤)، إثبات الهداة: (٣/ ٤٩٨)، دلائل الإمامة: (٢٥٦).

(٢) الإرشاد: (٣٤٣)، غيبة النعماني: (١٥٥)، البحار: (٥٢/ ٣٣٨، ٣٤٩)، إعلام الورى: (٤٣١)، إثبات الهداة: (٣/ ٥٢٧، ٥٤٠).

(٣) تفسير العياشي: (٢/ ٥٧)، البحار: (٥٢/ ٣٤٢)، وانظر أيضًا: إثبات الهداة: (٣/ ٥٣٩).

(٤) غيبة النعماني: (١٥٥)، البحار: (٥٢/ ٣٥٥)، إثبات الهداة: (٣/ ٥٤٠).

٤ - هدم المسجد الحرام، والمسجد النبوي:

- روى المجلسي: (أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه والمسجد النبوي إلى أساسه)[١].

٥ - الحكم بشريعة آل داود:

- عقد الكليني بابا في أن الأئمة عليهم السلام إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم آل داود، ولا يسألون البينة ثم روى عن أبي عبد الله قال: (إذا قام قائم آل محمّد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة)[٢].

- روى المجلسي: (يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد)[٣].

-وقال أبو عبد الله - عليه السلام -: (لكأني انظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد)[٤].

٦- التشبه باليهود:

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:«المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو»[٥].أما رضى من في السماء، فإن الله لا يحب المفسدين، وأما من في الأرض، فإن أمة العرب كلها لن ترضى.

وبما أنه إسرائيلي فلن يحكم بحكم محمد صلى الله عليه وآله وإنما سيحكم بحكم آل داود.

عن أبي عبد الله قال: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود عليه

---

(١) بحار الأنوار ٥٢/ ٣٣٨، الغيبة للطوسي ٢٨٢.

(٢) الأصول من الكافي ١/ ٣٩٧.

(٣) البحار ٥٢/ ٣٥٤، غيبة النعماني ١٥٤.

(٤) البحار ٥٢/ ١٣٥، الغيبة ١٧٦.

(٥) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٣ - ص ١٦١ ودلائل الإمامة ص٤٤١ وبحار الأنوار ج٥١ص٨٠/ ٨٥/ ٩١ والأربعين - الماحوزي- ص٢٠٨.

السلام، ولا يحتاج إلى بينة».[١]

ولن يسير بسيرة جده محمد ﷺ، فقد سئل الباقر، عن المهدي هل سيسير بسنة محمد، فقال: «هيهات، إن رسول الله صلى الله عليه وآله، سار في أمته باللين، وكان يتألف الناس، والقائم أمر أن يسير بالقتل وأن لا يستتيب أحدا»[٢].

فرسول الله ﷺ كان يسير بالقرآن، وهذا سيجيء بكتاب جديد غير القرآن، يقول علامتهم الإسترابادي: «وقد تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، بأن إمام الزمان ناموس العصر والأوان صلوات الله وسلامه عليه، يأتي بكتاب جديد، على العرب شديد، وبأن أكثر عساكره أولاد العجم»[٣].

هل هذا هو من ينتظره الشيعة أم أن هذا المهدي الذي ينتظره اليهود ؟ ألا يدعونا كل هذا أن نفكر من جديد؟ ألا يمكن أن نتساءل عن مصدر هذه الروايات العبرانية؟

* * *

(١) الإرشاد ص٤١٣ وأعلام الورى –الطبرسي- ص٤٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢ص٣٥٤

(٣) الفوائد المدنية والشواهد المكية - محمد أمين الإسترآبادي، السيد نور الدين العاملي - ص ٥٣٢ - ٥٣٣

المبحث الثاني: الشرك

المبحث الثالث: القرآن

تعريف الشرك

حين نقرأ القرآن مصدر هدايتنا، والذي اتفقنا على أنه المنقذ من الضلال، والهادي من الزيغ، نجده يخاطبنا بكلام واضح وصريح يقول لنا الله فيه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ ويقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦] ويقول: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١].

وهكذا تستمر آيات القرآن تحذرنا من الشرك ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] ونسمع قوله تعالى محذرا: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ وهكذا تستخدم الآيات كل أنواع التهديد والوعيد، وكل أساليب التهويل والتخويف فمرة يحذر الأنبياء وخيار الخلق لتحبطن أعمالهم وليكونُن من الخاسرين إن وقعوا فيه ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، ومرات تضرب أبشع الأمثلة لمن أشرك بالله فكأنه خر من السماء فتخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

فيظهر جليًّا أن القرآن لم يهتم بشيء مثلما اهتم بقضية الشرك والإيمان، ولم يحرم شيئًا مثلمًا حرم الشرك بجميع أنواعه، كبيره وصغيره، فالعبادة لا ينبغي أن تكون إلا لله ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦] ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢] ويظهر جليًّا أن الشرك هو: صرف شيء من العبادة لغير الله عز وجل، مما لا يكون إلا لله.

لكن علماء الشيعة يخالفون في مفهوم الشرك، فيبيحون صرف شتى أنواع

العبادة، كالدعاء والطواف والذبح والنذر والخضوع والتذلل، للأئمة الذين أعطاهم الله هذا الحق، وأعطاهم هذه القدرة في التصرف وإجابة السائلين، وتلبية طلباتهم، وقضاء حوائجهم حسب ما يزعمون.

ويقولون لا بأس بصرف العبادة لشخص بشرط أن لا يقصد بالعبادة أن المتوجه إليه إله، فإذا لم يدعه على أساس أنه إله فإن هذا لا يعد في نظرهم شركا.

يقول الشيخ جعفر السبحاني من مشايخ حوزة قم: « دعاء الأولياء يقع على وجهين: الأول: دعاء الولي وندائه بما أنه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا طلب منه تعالى شيئا... كما أنه ليس دخيلا في مفهوم التوحيد والشرك، ما دام الداعي يؤمن بالله الواحد ويعتبره الرب الخالق والمدبر المستقل دون سواه»[١].

ثم قال: «الثاني: لا شك أن دعاء النبي أو الصالح ونداءهما والتوسل بهما باعتقاد أنه إله أو رب أو خالق أو مستقل في التأثير أو مالك للشفاعة والمغفرة، شرك وكفر، ولكنه لا يقوم به أي مسلم في أقطار الأرض».[٢] فعلا فهذا لا يقوم به أي مسلم على وجه الأرض بل لا يقوم به حتى مشركو قريش الذين جاء الإسلام لينقذهم من ضلالاتهم، فهم لم يقولوا أن شركاءهم مستقلون في التأثير، بل قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] فقد اعترفوا دائما بأن الخالق هو الله، والرازق هو الله، ومنزل المطر هو الله، وإنما هؤلاء وسائط تقربنا إليه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، فالشرك ليس في أن تعتقد أنه إله، الشرك في أن تصرف له شيئًا من أنواع العبادة وتشركه فيها مع الله، حتى وإن كنت تعتقد أنه لا يستقل بالتدبير، فمجرد التوجه إليه بالدعاء والخضوع والتذلل هو عبادة.

إذًا فأهل السنة يعتبرون التوجه بالدعاء إلى غير الله شرك، والإمامية لا يعتبرونه شركا إلا إذا قصد أن هذا المدعو إله، فالصورة واحدة، رجلان واقفان عند قبر

---

(١) الإيمان والكفر - الشيخ جعفر السبحاني - ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) نفس المصدر ص ١١١.

يدعوانه ويسألانه قضاء الحاجات، كلاهما يدعوان غير الله، لكن أحدهما يدعوه وهو لا يعتقد أنه إله، والآخر يدعوه وهو يعتقد أنه إله. فهذا مشرك ضال، وهذا مؤمن مهتد، وإن كان كلاهما يدعوان غير الله!

كذلك يزعمون أن هذه الواسطة التي يدعونها مع الله عز وجل، هم وسطاء مأذون لهم في دعائهم، بخلاف وسطاء المشركين فهم غير مأذون لهم في دعائهم، يقولون: «الفرق بين المؤمنين والمشركين في كل الأديان: أن المشركين جعلوا لله شركاء وشفعاء لم يأذن بهم، فأشركوهم معه بأنواع من التشريك الذي زعموه. أما المؤمنون فوحدوا الله وأطاعوه، وهو الذي أمرهم باتخاذ الوسيلة إليه والتوجه إليه بهم وتقديمهم بين يدي دعائهم وأعمالهم.. فالأنبياء والأوصياء وسيلة مشروعة وشفعاء بإذنه. وبذلك يكون الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد في نوع الواسطة لا في أصلها: فالواسطة التي أذن بها الله الواحد الأحد سبحانه لا تنافي التوحيد بل تؤكده، والواسطة التي لم يأذن بها شرك يخرج صاحبه عن التوحيد»[١].

ويقولون: «العقل لا يرى مانعا في أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فيضه، ووسائل عطائه، وذلك لا يعني تشريكهم في ألوهيته، بل هم عباده المكرمون المطيعون، ووسائله وأدواته التي يرحم بها عباده، هذا من ناحية نظرية، وأما من ناحية الوقوع والثبوت، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الإلهي وقوانينه واسعة ومعقدة، ودل على أنه تعالى جعل كثيرًا من عطائه إن لم يكن كله، عن طريق خيرة عباده من الملائكة والأنبياء والأوصياء»[٢].

فرحمة الله وعطاءه لا تنال إلا بواسطتهم، فلندعهم ولنتوسل إليهم، بدل أن ندعوا الله ونتوسل إليه، هذا ما تأمر به الشيعة أتباعها، وتجعله عين التوحيد وهو عين الشرك.

وما دام المشركون والشيعة، كل منهم لا يعتقد أن المتوجه إليه مستقل بالتأثير في

---

(١) العقائد الإسلامية - مركز المصطفى «ص» - ج ٤ - ص ٢٥٤.

(٢) العقائد الإسلامية - مركز المصطفى «ص» - ج ٣ - ص ١٤ - ١٥.

الكون، فلا يبقى إذًا إلا فرق واحد، وهو الإذن في عبادة هؤلاء، وعدم الإذن في عبادة أولئك، فآلهة الشيعة مأذون لهم في عبادتهم، بخلاف آلهة المشركين، وتصبح قضية الشرك والتوحيد، والجنة والنار، والفرق بين المشركين الضالين أصحاب الجحيم، والمؤمنين الأبرار أصحاب النعيم، هي هذا الإذن المزعوم فقط، فيمكن القول بأن الرسول لم يبعث إلا ليبين لنا المأذون في عبادته، ممن لم يؤذن لنا في عبادته، ولا أدري لم أذن الله لأئمة الشيعة، ولم يأذن لأئمة قوم نوح، ود وسواع والبقية، مع أنهم قوم صالحون!؟

ولست أدري كيف يصر الشيعي على هذا الاعتقاد وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وهو يقول بلى، أدعوا مع الله اثنا عشر إماما...

ولا أدري كيف تمر أخي على قوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فهل عندك على من تدعوهم برهان، غير تلك الروايات التي عرفت ما حصل فيها من الاضطراب والاختلاف؟ أفيعقل أن أترك القرآن الكريم الواضح البين، وأتمسك بمرويات تعارض القرآن الكريم؟

إن الشرك لظلم عظيم، وهو يستوجب منا إعادة التفكير في كل ما نقوم به من العبادات التي نصرفها للولي أو الإمام، حيث ندعوه ونستغيث به ونرجوه ونبكي بين يديه، مع أنك إن نظرت في الأمر مليًا وجدته عبادة محضة تصرف لغير الله، فعندما تقول يا ولي الله، فأنت في اللغة تدعو الولي وتسأله حاجتك، فيا حرف نداء، والولي منادى، هذا هو صريح اللغة، وهو ما يؤيده العقل، فخطابك للولي في هذا المقام يسمى دعاء، لأنه نداء من الأدنى إلى الأعلى، وهو دعاء بكل مقاييس اللغة والعقل والدين، فكيف تستجيز لنفسك أن تغامر في أمر عظيم مثل الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل!

> أيعقل أن يكون الحسين رضي الله عنه أرحم بي من ربي الذي خلقني ورعاني كل هذه السنين؟ فلم أدعوه ولا أدعو الله مباشرة؟

ثم إني أسأل نفسي سؤالا آخر: ما الذي يجعلني أدعو فلانا من الناس؟ أهو أرحم

بي من الله ؟ أهو أكرم من الله ؟ أهو أقدر على نفعي من الله ؟ ألن يستجيب الله لي وهو يقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] ! أم أنني لا أصلح لدعاء الله عز وجل بسبب ذنوبي؟

ومن قال: إن الله لا يستجيب لي، وإذا كان الله لا يستجيب لي وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، فكيف يستجيب لي المخلوق الضعيف الذي لا يملك من رحمة الله شيئا، إن كان هناك أمل في استجابة دعوتي فهو عند واسع المغفرة، وعظيم الرحمة ذي الجلال والإكرام سبحانه وتعالى.

أخي الشيعي...

فكر من جديد فلن تحتاج إلى أن تدعوَ غير الله عز وجل، فهو ربك الذي خلقك ويرحمك ويتجاوز عن سيئاتك، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] أما المخلوق فلو اطلع على ذنوبك لعاقبك ولما صبر عليك كما يصبر عليك ربك قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٠] فالله وحده هو من يسمع دعاءك ويستجيب له كما قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل: ٦٢] والجواب لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، فكيف نترك دعاء الله؟ وندعو معه غيره؟

إنك حين تدعو غير الله رجاء أن تنال ما عند الله، تكون قد وقعت في احتمالين:

إما أن الله قد أذن لك في دعاء ذلك الشخص، وهذه تحتاج إلى دليل قطعي وحجة تلقى بها الله، وإما أنك قد وقعت في الشرك بالله، فانظر إلى مدى المخاطرة التي وقعت فيها بسبب دعاء غير الله؟ أما لو أنك اكتفيت بدعاء الله، فأنت قد سلمت من الخطر، بقي هل يقضي الله حاجتك أم لا؟ وهنا تجيب نفسك بهذا اليقين: إن الله أرحم بي من كل أحد سواه.

إن اليقين الذي لا شك فيه، ولا ينبغي لك أن تشك فيه، أنك ما دعوت الله

ورجوته إلا غفر لك وقبل منك وقضى حاجتك، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبدي إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ماكان منك ولا أبالي**» وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في كل موضع وفي كل سورة.

فانظر أي الأمرين تختار، أمر عندك فيه من الله البراهين الواضحة، أو أمر قد يكون فيه هلاكك وخسارتك في الدنيا والآخرة...

مظاهر الشرك

لقد ابتلي الشيعة في القديم والحديث بهذا الداء وراحوا يصرفون شتى أنواع العبادة من الدعاء والطواف والذبح والنذر والخضوع والتذلل لأئمتهم من دون الله ظنًّا منهم أن الله عزوجل أعطى هؤلاء الأئمة القدرة على تلبية طلباتهم واستجابة دعواتهم وقضاء حوائجهم وهذا بلاشك إشراك مع الله في ألوهيته.

لذلك انتشرت المظاهر الشركية وكثرت المشاهد القبورية، فما دمنا لا نقصد في هذا المقبور أنه إله، فلا بأس في كل فعل نتوجه به إليه، وإن كان عبادة محضة، وفعلا يختص بالله تعالى...

فالدعاء الذي هو خالص العبادة، وأعلى مقاماتها، يوجه بكل خضوع وخشوع، وبعد غسل وتطهر -هذا من الآداب اللازمة للزيارة- إلى الحسين وأبنائه الأوصياء، وتذرف عند مشاهدهم العبرات، وتنفطر القلوب، وكلنا رأى ما تبثه القنوات الفضائية من أحوال، وكيف تجتمع تلك الجحافل، عند تلك المشاهد، بين متمسح وباك وداع، ويتحملون في ذلك من المشاق والتكاليف ما سيسأل عنه معمموهم ومشائخهم الذين علموهم الشرك.

وبما أنهم يزعمون بأن الرحمات الربانية، والنفحات القدسية، والنفع والضر، والمغفرة والتوبة، كل ذلك جعله الله بيد وسائطه إلى خلقه، «ووسائله وأدواته التي يرحم بها عباده»، فلا غرو أن تمتلئ هذه القلوب بالرغبة والرهبة، وتصرف ما تستطيع

من الدعاء والإنابة، إلى من هم وسائط الرحمة، ووسائل العطاء...

وهكذا يتطور الحال حتى لا يبقى في القلب رجاء أو توكل أو خوف إلا ويصرف لهؤلاء الأئمة الأطهار، فيخلو من كل تعلق بالرب الغفار، كما قال شاعرهم:

وكم نحن في لهوات الخطوب ... نناديك من فمها الفاغر

ولم تك منا عيون الرجاء ... بغيرك معقودة الناظر[1]

لكن هذا ليس شركا، لأنه وإن دعاه ورجاه، وخافه وتوسل إليه، وذرف دموع التوبة والندم بين يديه، وعقد عيون الرجاء عليه، فإنه قد استقر في نيته أن هذا ليس ربًّا!

وقد يستعظم أحدنا هذا الكلام، وتدفعه نفسه إلى التكذيب بأن في المنتسبين إلى الإسلام من يقول هذا، وأن الشرك يصير توحيدا، والضلالة هدى، والغي نورا، حتى تنقلب رسالة الرسل رأسا على عقب، وأن هناك من المسلمين من يدعو إلى هذا الشرك ويحرض عليه، ويحارب من ينهى عنه، وإني لأجدني محتاجًا إلى أن أطيل عليك بعض الإطالة، وأسوق لك بعض ما ورد في زياراتهم وأوراد أعيادهم وأيامهم، لتصدق أن في أهل القبلة من يقول هذا الكلام، ولتدرك مدى تشبع هؤلاء المعممين بالشرك والخرافة...

جاء في بحار الأنوار في زيارة العباس بن علي: «ثم انكب على الضريح وقبل التربة -على هيئة السجود- وقل: السلام عليك يا أول مظلوم انتهك دمه وضيعت فيه حرمة الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، أشهد أني سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، مبطل لما أبطلت، محقق لما حققت، فاشفع لي عند ربي وربك في خلاص رقبتي من النار، وقضاء حوائجي في الدنيا والآخرة»[2].

---

(١) ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ - ص ٣٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٨ - ص ٢٣٧ ومصباح الزائر ص ١٢٠.

وروى الكليني في زيارة علي بن أبي طالب: «يا ولي الله إن لي ذنوبا كثيرة فاشفع لي إلى ربك، فإن لك عند الله مقاما محمودا معلوما، وإن لك عند الله جاها وشفاعة وقد قال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ».[١]

وفي أخرى: «أتيتك يا أمير المؤمنين عارفا بحقك، مستبصرا بشأنك، معاديا لأعدائك مواليا لأوليائك، بأبي أنت وأمي، أتيتك عائذا بك من نار استحقها مثلي بما جنيت على نفسي، أتيتك زائرا أبتغي بزيارتك فكاك رقبتي من النار، أتيتك هاربا من ذنوبي التي احتطبتها على ظهري، أتيتك وافدا لعظيم حالك ومنزلتك عند ربي، فاشفع لي عند ربك، فإن لي ذنوبا كثيرة وإن لك عند الله مقاما معلوما وجاها عظيما وشأنا كبيرا وشفاعة مقبولة».[٢]

وإذا كان صرف الدعاء مخ العبادة للأئمة مشروعا، والاستغاثة والاستعاذة بهم واجبة، فلا تسأل عن الطواف والنذر والذبح والتمسح والتبرك والتقبيل والسجود عند القبر واستقباله للصلاة، لكني لن أكلفك قراءة المزيد من نصوصهم في كل جزئية مما أشرت إليه، فلن أسلمك إلى الملل، أو أحملك على الضجر، وسآخذك إلى مشهد آخر لتكتمل الصورة، وتنفضح اللعبة...

فمن شرائعهم وفرائضهم التي ألزموا بها أتباعهم، وجوب زيارة القبور، وشد الرحال إلى المشاهد والأضرحة، بل ليس للشيعي رخصة في أن يترك هذه الفريضة المؤكدة، «ثم اعلم: أن ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته صلوات الله عليه، بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها، ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرة مع القدرة».[٣]

وقد بالغوا كثيرًا في وصف ثواب الزائر لهذه المشاهد، ووحدة القياس في هذا المقام هي الحج، ففي كل زيارة يكتب لك عدد من الحجات، وأحيانا تحتسب لك

---

(١) الكافي - الكليني - ج ٤ - ص ٥٦٩.

(٢) نفس المصدر ص ٥٧١.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٨ - ص ١٠.

مع الرسول ﷺ...

فمثلا: «من زار الرضا عليه السلام أو واحدًا من الأئمة عليهم السلام فصلى عنده صلاة، فإنه يكتب له بكل ركعة ثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبي مرسل، وله بكل خطوة ثواب مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط منه مائة سيئة»[١].

أما ما ينفقه من المال في زيارته، فإنه أكثر ثوابا مما ينفقه في حجه وعمرته: عن ابن سنان قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إن أباك كان يقول في الحج يحسب له بكل درهم أنفقه ألف، فما لمن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يا ابن سنان يحسب له بالدرهم ألف وألف حتى عد عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمد ودعاء أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام خير».[٢]

أما شرك الربوبية فحدث ولا حرج ذلك أنهم جعلوا أئمتهم قادرين على إحياء الموتى وإبراء المرضى ورزق العباد بالمال والولد، بل جعلوا أئمتهم يسيرون السحاب ويتصرفون في الكون كما سبق وذكرنا والعياذ بالله.

ذكر الكليني[٣] أن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده[٤]. وكذا قال: نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه[٥].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٧ - ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٨ - ص ٥٠.

(٣) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الملقب عند الشيعة بثقة الإسلام صاحب أعظم مصنف عندهم وهو كتاب الكافي -٨ (أجزاء أصول وفروع وروضة) -، وهذا الكتاب عند الشيعة عُرض على المهدي المنتظر وقال عنه بأنه كافي لشيعته لهذا يعتقد الإخبارية بصحته وقطعية ما ورد به.

(٤) (أصول الكافي ص٨٣).

(٥) (المرجع السابق ص٨٤).

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام (جعفر الصادق): كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار.....لقد أوتيت خصالا ما سبقني إليها أحد قبلي علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني[١].

أليس هذا اجتراء على الله عزوجل وإشراك علي معه في صفات الألوهية والعياذ بالله ؟.

وذكر الكليني في باب: أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وما في النار وأعلم ما كان وما يكون[٢].

وكذا في أصول الكافي فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى[٣].

وذكر الكليني أيضًا في باب: أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، قال أبوعبدالله عليه السلام: أي إمام لا يعلم ما يصيبه فليس ذلك بحجة لله على خلقه[٤].

أليس هذا تكذيب لله عزوجل ؟ فالله عزوجل يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

بينما نجد الشيعة يقولون أن أئمتهم يعلمون الغيب !!

هذه روايات قليلة اخترناها من كتاب الكافي لمكانته عند الشيعة والذي يضم بين دفتيه طامات وشركيات ما أنزل الله بها من سلطان وتنسب لأئمة آل البيت ظلمًا

---

(١) (المرجع السابق ص١١٧).

(٢) (المرجع السابق ص ١٦٠).

(٣) (المرجع السابق ص ١٧٦).

(٤) (المرجع السابق ص ١٥٨).

وزورا ناهيك عما يوجد في مصنفات دونه تأله الأئمة وتصبغ عليهم صفات مثل ما ذكرنا أو اكثر من ذلك.

وهذه مظاهر شركية أخرى نجملها في:

- دعاء الأموات والتوسل بهم وطلب المعونة منهم.
- صرف النذر والاستغاثة والاستعانة والذبح وغيرها من العبادات للأئمة.
- استقبال القبور وتقديسها والعكوف عليها وبناؤها وإشادتها، يقول علامة الشيعة باقر علومهم المجلسي: (إنّ استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقًا للقبلة... واستقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة)[1].
- وغيرها من العبادات التي تُصرف للمخلوقات من دون الله .

اعلم أخي الشيعي أن الأمر والخلق والتدبير لله وحده لا شريك له وأن العبادات باختلاف أنواعها يجب أن تصرف جميعها لله وحده لا شريك له، ومنها: الدعاء بأنواعه من استغاثة واستعانة واستعاذة، ومنها: الذبح والنذر والصلاة والزكاة والصيام والحج وقراءة القرآن، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد أشرك بالله ووقع في المحظور.

فلنفكر من جديد، ولنتوقف قبل أن نصرف أي نوع من أنواع العبادة إلى غير الله عز وجل، فهو خطر عظيم، وذنب كبير، أعيذك بالله منه، ولو اكتفيت بدعاء الله عز وجل وحده، لكنت به غنيًّا عن ما سواه من خلقه كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] وأحدًا نكرة في سياق النفي فتعم كل أحد سوى الله عز وجل.

إن الله تعالى تكفل بحفظ شريعته وكتابه الكريم من التحريف والزيادة والنقصان منذ أنزله على قلب سيدنا محمد ﷺ وحتى قيام الساعة، قال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجر:٩] ، وقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢] وتوعد

---

(١) بحار الأنوار ١٠١/ ٣٦٩.

سبحانه من تجرأ على كتبه وتحريف آياته بالعذاب الأليم وبالخزي في الدارين والخلود في الجحيم فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

عقيدة أهل السنة في القرآن

أهل السنة خاصة والمسلمون عامة إلا من شذ مجمعون على صيانة كتاب الله عز وجل من التحريف والزيادة والنقصان وأنه محفوظ بحفظ الله له قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر:٩] وذكر جل مفسرو أهل السنة عند هذه الآية أن القرآن محفوظ من أي تغيير أو تبديل أو تحريف.

وصرح كبار علماء السنة أن من اعتقد أن القرآن فيه زيادة أو نقص فقد خرج من دين الإسلام. وهذه العقيدة عند أهل السنة من الشهرة والتواتر بحيث أنها لا تحتاج إلى من يقيم أدلة عليها بل هذه العقيدة من المتواترات عند المسلمين، بالإضافة إلى أنه لا تُوجد رواية واحدة معتبرة عند السنة تقول بتحريف القرآن أو وجود نقص فيه أو زيادة.

وقد أجمع المسلمون سلفا وخلفا أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما بين الدفتين من أول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ [الناس: ١] أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا أنه كافر .

عقيدة الشيعة في القرآن

زعم الشيعة أن القرآن محرف، وأنه حصل فيه تغيير وتبديل ونقصان، وأن الذين تولوا هذا الأمر هم صحابة النبي ﷺ ليغصبوا عليًا إمامته التي نُص عليها في

القرآن الكريم.

وقد رويت روايات كثيرة جدًّا على لسان أئمة الشيعة تقول بهذا البهتان العظيم، كما صرح جم غفير من علماء الشيعة في القديم والحديث بأن روايات التحريف كثيرة متواترة.

يقول المفيد وهو الملقب بشيخ الطائفة في كتابه أوائل المقالات ص ٥٢: (اتفقت الإمامية على وجوب الرجعة... واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه بموجب التنزيل وسنة النبي، وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية).

ويقول في الصفحة ٩٣ من نفس الكتاب: (أقول: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل النبي باختلاف القرآن وما أحدثه بعضهم فيه من الحذف والنقصان، فأما القول في التأليف، فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم... وأما النقصان، فإن العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه، وقد امتحنت مقالة من ادعاه، وكلمت عليه المعتزلة وغيرهم فلم أظفر منهم بحجة اعتمدها في فساده... وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها من وجه ويجوز صحتها من وجه... ولست أقطع على كون ذلك، بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه وهذا المذهب خلاف ما سمعناه من بني نوبخت رحمهم الله من الزيادة في القرآن والنقصان فيه. وقد ذهب إليه جماعة من متكلمي الإمامية وأهل الفقه منهم والاعتبار).

وهذا علامة الشيعة الملقب بباقر علوم الأئمة المجلسي يقول في كتابه مرآة العقول ١٢/ ٥٢٥: (لا يخفى أن كثيرًا من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عليها رأسًا. بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر).

وهذه أسماء كبار علماء الشيعة الذين صرحوا في كتبهم بالتحريف وتواتر رواياته عن الأئمة:

١- محمد بن يعقوب الكليني: صاحب أهم وأعظم مصنف شيعي (الكافي) يقول عنه المفسر الشيعي الكبير الفيض الكاشاني: « وأما اعتقاد مشايخنا في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض للقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه»[1]، ويقول عنه أبو الحسن العاملي: «اعلم أن الذي يظهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات كثيرة في هذا المعنى في كتاب الكافي الذي صرح في أوله بأنه كان يثق فيما رواه فيه ولم يتعرض لقدح فيها ولا ذكر معارض لها[2].

٢- نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية ٢ / ٣٥٧و ٢ / ٣٦٠ - ٣٦٢.

٣- العلامة الحجة عدنان البحراني: مشارق الشموس الدرية ص ١٢٦.

٤- المفسر السيد هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن مقدمة ص ٣٦.

٥- محمد صالح المازندراني: شرح جامع الكافي١١/ ٧٦.

٦- النوري الطبرسي: كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ألفه لهذا الغرض وجمع فيه أكثر من ألفي رواية تقول بالتحريف.

٧- علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي ج ١ / ٣٦ وج ١/ ٣٧.

٨- الفيض الكاشاني: تفسير الصافي ١/ ٤٩-٥٢.

٩- أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج ١ / ٢٢٥ و١/ ٢٥٤ و١/ ٣٧١.

١٠- سلطان محمد بن حيدر الخراساني: بيان السعادة في مقامات العبادة ١/ ١٩/ ط. مؤسسة الأعلى-بيروت.

١١- العلامة يوسف البحراني: كتابه الدرر النجفية ص ٢٩٨ ط. مؤسسة آل

---

(١) تفسير الصافي ١/ ٥٢ منشورات الأعلمي - بيروت.

(٢) المقدمة الثانية الفصل الرابع تفسير مرآة الانوار ومشكاة الاسرار وطبعت كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني.

البيت لإحياء التراث

١٢-العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة مؤسسة الوفاء – بيروت ٢ / ٢١٤.

١٣-محمد بن مسعود العياشي: تفسير عياشي ج ١ / ٢٥ – منشورات الأعلمي – طهران.

١٤-العلامة الأردبيلي: حديقة الشيعة ص ١١٨.

١٥- ملا محمد تقي الكاشاني: هداية الطالبين ص ٣٦٨.

١٦-أبو القاسم الخوئي مرجع العصر عند الشيعة: البيان في تفسير القرآن ص٢٢٦.

١٧- علي أصغر بروجردي مرجع معاصر: عقائد الشيعة ص ٢٧ .

١٨- الخميني: كشف الأسرار ص ١١٤.

وغيرهم كثير.....!!

لماذا قالوا بالتحريف ؟

السبب الرئيس في قول الشيعة بالتحريف هو ما تفردوا به عن المسلمين وهوالقول بمسألة الإمامة، وقد صرحت الروايات الكثيرة ذكروها في كتبهم المعتمدة بذلك وأكدها علماؤهم.

يقول محسن الكاشاني في تفسيره الصافي ١/ ٣٥-٣٧: (أقول لقائل أن يقول: كما أن الدواعي كانت متوفرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية المغيرين للخلافة لتضمنه ما يضاد رأيهم وهواهم).

ويقول هاشم البحراني أيضًا في تفسيره البرهان ص ٤٩: (وعندي في وضوح صحة هذا القول بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مفاسد غصب الخلافة فتدبر).

وقد استندوا إلى روايات كثيرة لا مجال لذكرها كلها وهي مبسوطة في الكتب المعتمدة عندهم ونذكر منها:

روى الكليني في الكافي ٢/ ٣٨١: (عن جابر قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله»).

وروى العياشي في تفسيره ١/ ٢٨٥: (سمعت أبا جعفر «ع» يقول: نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا «إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم»).

وروى الكليني والمازندراني: (عن الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: « كبر على المشركين بولاية علي ما تدعوهم إليه يا محمد من ولاية علي» هكذا في الكتاب محفوظ). المناقب ٣/ ١٠٧ الكافي ٢/ ٢٨٣.

هل قال علماء السنة بالتحريف ؟

بعد أن وجد الشيعة أنفسهم في مأزق كبير لأن علماءهم سلفًا وخلفًا يعتقدون بالتحريف لإثبات عقيدة الإمامة سلكوا مسلكًا آخر وهو أنهم رموا السنة بالتحريف (رمتني بدائها وانسلت) واعتمدوا على روايات فيها آيات منسوخة التلاوة أو قراءات شاذة وبدءوا يشنعون على أهل السنة ويتهمونهم بالتحريف لأنهم يقولون بالنسخ[1] في القرآن.

يقول الخوئي [2]:« إن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والإسقاط» وقال أيضًا « إن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة ».

---

(١) والنسخ لغة بمعنى الإزالة وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معا.
النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة.
النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

(٢) البيان في تفسير القرآن ص٢٠٥.

كما أنه في تفسيره المسمى بالبيان اتهم أهل السنة بتحريف القرآن والزيادة فيه والحذف منه واعتمد على روايات من كتب السنة تتكلم عن آية الرجم والرضاعات وغيرها[١].

ألم يقرأ الخوئي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ [النحل: ١٠١] وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وهل يوافق الخوئي علمائه المتقدمين منهم والمتأخرين الذين أقروا بضروب النسخ الثلاث ؟!

- أبو علي الفضل الطبرسي يقول: إن النسخ في القرآن على ضروب ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم[٢].

- أبو جعفر الطوسي يقول: كانت أشياء في القرآن نسخت تلاوتها، ومنها (عن أنس بن مالك أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة: قرأنا فيهم كتابًا: بلغوا عنا قومنا أن لقينا ربنا، فرض عنا وأرضانا، ثم إن ذلك رفع)[٣].

- الفيض الكاشاني أقر بنسخ التلاوة حين شرح آية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ قال ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ بأن نرفع حكمها وقال: ﴿أَوْ نُنسِهَا ﴾ بأن نرفع رسمها انتهى شرح الكاشاني والمعروف أن نرفع رسمها أي نرفع خطها وهذا يعني رفع تلاوتها[٤].

- كمال الدين عبد الرحمن العتائقي الحلي (من علماء المئة الثامنة):إذ قال: المنسوخ على ثلاث ضروب: منها ما نسخ خطه وبقى حكمه فما روى من قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله»[٥].

---

(١) البيان ص ٢٠٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن جـ ١ ص ٤٠٦ شرح آية ١٠٦ من سورة البقرة.

(٣) انظر التبيان جـ١ ص ٣٩٤ شرح آية ١٠٦ سورة البقرة.

(٤) تفسير الصافي شرح آية (١٠٦) سورة البقرة.

(٥) الناسخ والمنسوخ ص ٣٥ مؤسسة أهل البيت (ع) بيروت.

- محمد علي: إذ قال: أنواع المنسوخ ثلاثة: منها ما نسخ خطه وبقى حكمه كآية الرجم [١].

- محمد باقر المجلسي: صحح رواية آية الرجم التي بالكافي وقال: وعدت هذه الآية مما نسخت تلاوتها دون حكمها [٢].

نماذج لآيات يعتقد الشيعة فيها التحريف:

عن أبي عبد الله قال: «ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيمًا» هكذا نزلت. [٣]

ويروون عن جابر أنه قال: «نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد هكذا «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله». [٤]

ويروي أحدهم عن أبي عبد الله أنه سمعه يقول: « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتكم »، قال: قلت: جعلت فداك، أئمة؟ قال: إي والله أئمة، قلت: فإنا نقرأ: أربى، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها « إنما يبلوكم الله به «يعني بعلي عليه السلام » وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » [٥].

وكثيرًا ما يتهكم الإمام على المعنى الوارد في الآية كما مر في هذه الرواية، حين قال إمامهم متهكما: « ما أربى وأومأ بيده فطرحها» مشيرًا إلى أن هذا المعنى ضعيف، وأن الآية ليست كما أنزلها الله، وهذا تراه في روايات كثيرة:

فعن علي بن أبي طالب أنه قال في محاورة طويلة: «وأما ظهورك على تناكر قوله: «فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء» وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولأ كل النساء أيتامًا، فهو لما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن،

---

(١) لمحات من تاريخ القرآن ص ٢٢٢ منشورات الأعلمي.

(٢) مرآة العقول ج ٢٣ ص ٢٦٧.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤١٤.

(٤) الكافي ج١ ص٤١٧.

(٥) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٩٢.

وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وبهذا وما أشبهه ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغًا إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء».[١] وهذه الرواية تدل على أن التقية تمنع من إظهار هذا القول، كما ترى فيها التهكم بالمعنى الموجود في الآية وتسفيهه، وأنه لا يتناسب والسياق، ويستدلون بذلك على أن الآية قد أقحمت في ذلك المكان إقحامًا، وأنها ليست كما نزل الله عز وجل، كما قال أبو عبد الله للقارئ لما قرأ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فقال متهكمًا: «خير أمة. يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين؟ فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال: نزلت: كنتم خير أئمة »[٢].

ويؤيد ما ورد في الرواية السابقة من ادعائهم نقصان الثلث من كلام الله عز وجل، ما رووا في الكافي من «أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية»[٣] وإذا كان القرآن الذي بين أيدينا يبلغ ستة آلاف وكسور، فهذا يعني أنه قد حذف منه الثلثان!!

وعندما مر شارح الكافي بهذه الرواية قال مصرحًا: «إن آي القرآن ستة آلاف وخمسمائة...والزائد على ذلك مما سقط بالتحريف»[٤].

وقال في موضع آخر: «وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنىً، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها»[٥].

ولقد عاشت عقيدة التحريف في بطون كتب المذهب الشيعي، تحيط بها التقية، وتتناقل بين العلماء في سرية، إلى أن انبعث أحد علمائهم المبجلين، صاحب كتاب

---

(١) بحار الأنوار ج٨٩ ص٤٧ والاحتجاج ص١٣١-١٣٢.

(٢) تفسير القمي ج١ ص١١٠.

(٣) الكافي ج٢ص١٣٤.

(٤) شرح جامع ج١١ ص٥٣٦ .

(٥) نفس المصدر السابق ج١١ ص ٨٨.

من أكبر كتبهم وهو «مستدرك الوسائل» والذي يقع في ثمانية عشر مجلدًا، ويعتبر من مصادرهم المعتمدة في الحديث، وقد بلغ من تبجيلهم لهذا الرجل أن دفنوه في بقعة من أشرف بقاعهم، بداخل ضريح إمامهم في النجف.[١]

هذا العالم هو حسين الطبرسي الذي قام بجمع هذه الروايات من مصادرها، وتوثيقها في كتابه الذي خصصه لهذه القضية، وعنون له بـ«فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب».

يقول في مقدمته: «فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي، جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه: هذا كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان، وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين، وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني به في يوم لا ينفع مال ولا بنون».[٢]

وفعلًا فقد قام بجمع كل الروايات التي تفرقت في بطون كتبهم، وتتبع أقوال علمائهم، وذكر أكثر من ألف مثال مما ورد أنه قد حرف من القرآن في كتبهم.[٣]

مع ذلك ترى إصرار كثير منهم على إنكار هذا الأمر، وعدم التصريح به، واستخدام التقية بأقصى درجاتها، وأن هذا مما افتراه المفترون، ويردون على كل من واجههم بهذه الروايات قائلين: هاهو قرآننا الذي نقرأه في إيران، وهاهي المصاحف التي يقرؤها الشيعة في كل مكان، ليس فيها أي زيادة على ما في مصاحفكم أو اختلاف.

وهذا صحيح، وذلك راجع لسببين:

أولًا: أنهم يقولون: إن القرآن الحقيقي غير موجود وأن المهدي أخذه معه إلى السرداب، ولن يظهره إلا حين يخرج به للناس؛ لذلك ليس لديهم أي شيء.

---

(١) انظر أعلام الشيعة –الطهراني– ج١ ص٥٥٣ يقول: «إنه دفن بين العترة والكتاب، يعني: في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب القبلة».

(٢) نقلًا عن أصول مذهب الشيعة – ناصر القفاري – ج١ ص٢٨٦.

(٣) نفس المصدر السابق ج١ ص٣٠٩.

ثانيا: أن هذا هو عين ما أوصى به منظروا التشيع، فقد نقلوا في كتبهم عن أئمتهم المعصومين، أمرهم لشيعتهم بقراءة هذا القرآن الموجود بين أيدي الناس في زمان الغيبة، وأن لا يجاوزوه حتى يخرج صاحب الزمان.

فعن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن قال: قلت له: «جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم».[١]

يقول شيخهم المفيد: «إن الخبر قد صح من أئمتنا عليهم السلام، أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا نتعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يقوم القائم عليه السلام، فيقرأ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام».[٢]

ويقول نعمة الله الجزائري: «قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه، حتى يظهر مولانا صاحب الزمان، فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين، فيقرأ ويعمل بأحكامه»[٣].

لذلك فإن المصحف الموجود في إيران هو نفس المصحف الذي يتداوله السنة ويقرؤونه، إلا أنك تسمع بعضهم يزيد كلمة علي في بعض المواضع، وقد سُجل في موقع البرهان مقطع لرجل شيعي، وهو يقرأ -يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك في علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته- بزيادة كلمة «في علي»[٤].

وسأنقل لك أخي بعض الكتب مصورة حتى تقرأ الروايات في مكانها، وتطلع على هذه العقيدة الخطيرة التي يسترونها عن الناس...

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٦١٩.

(٢) نقل كلامه المجلسي في البحار ج٨٩ ص٧٤.

(٣) الأنوار النعمانية ج٢ ص٣٦٣-٣٦٤.

(٤) موقع البرهان "www.alburhan.net".

كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب

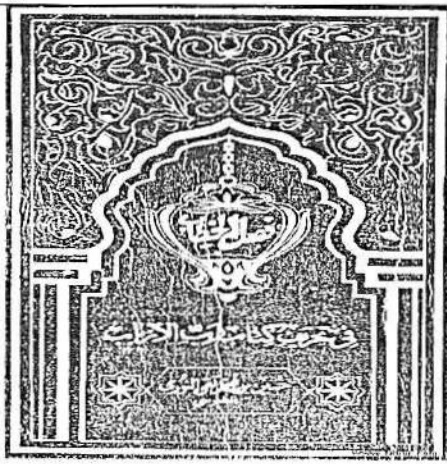

هذا كتاب لطيف وسفر شريف
عملته في اثبات تحريف
كتاب رب
الارباب
وسميته بفصل الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي انزل على عبده كتابا جعله شفاء لما في الصدور ومهيمنا على التورية والانجيل
والصلوة والسلام على حامل نور النبوة والبدر الزاهر المعمور ومحل تنزيل الامور وما يلزم منه ...
محمد ... وعلى آله ...
... وجعل يقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد ...

موضعه ولنا قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام اما والله لو قرء القرآن كما انزل لالفيتمونا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا وقال عليه السلام نزل القرآن اربعة ارباع ربع فينا وربع في عدونا وربع قصص وامثال وربع قضايا واحكام ولنا اهل البيت فضائل القرآن ثم قال بعد ان ذكر الخبر وقد صح عن ائمتنا عليهم السلام انهم قد امروا بقراءة ما بين الدفتين وان لا نتعداه الى زيادة فيه ولا الى نقصان منه الى ان يقوم القائم عليه السلام فيقرئ الناس على ما انزل الله تعالى وجمعه امير المؤمنين عليه السلام وانما نهونا عن قراءة ما وردت به الاخبار من احرف تزيد على الثابت في المصحف لانها لم تأت على التواتر وانما جاء بها الآحاد والواحد قد يغلط فيما ينقله ولانه متى قرء الانسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه من اهل الخلاف واغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك فمنعونا من قراءة القرآن بخلاف ما ثبت بين الدفتين انتهى وقال في موضع من كتاب المقالات واتفقوا اي الامامية على ان ائمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وقال في موضع آخر فاما القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ومن عرف الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني لم يرتب بما ذكرناه وعد النجاشي من كتبه كتاب البيان في تأليف القرآن والظاهر انه مقصور على اثبات هذا المطلب فالله العالم ورواه في ارشاده من

يقول: الأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ فإن الاختلاف فيه كما يصدق على الاختلاف في المعنى وتناقضه كنفيه مرة وإثباته أخرى، وعلى اختلاف النظم كفصاحة بعض فقراته البالغة حد الإعجاز وسخافة بعضها الآخر، وعلى اختلاف مراتب الفصاحة ببلوغ بعضها أعلى درجاتها، ووصول بعضها إلى أدنى مراتبها، وعلى اختلاف الأحكام...

يقول: جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: والله لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين، كما سمي من كان قبلنا، وقال عليه السلام: نزل القرآن أربعة أرباع، ربع فينا وربع في أعدائنا، وربع قصص وأمثال، وربع قضايا وأحكام، ولنا أهل البيت فضائل القرآن، ثم قال: غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا أنهم رأوا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه إلى زيادة فيه ولا إلى نقصان منه، إلى أن يقوم القائم عليه السلام...

كتاب الصافي في تفسير القرآن للفيض الكاشاني

www.Inoor.com

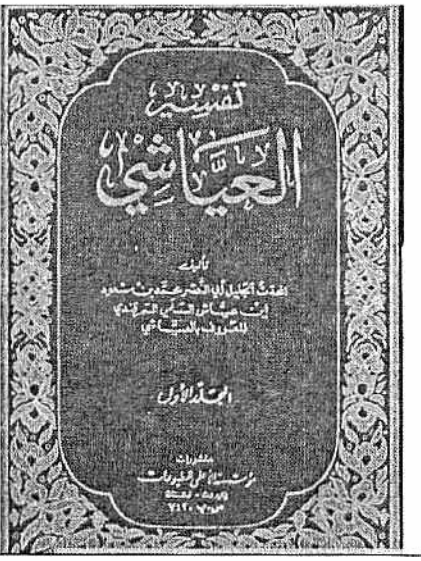

مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي

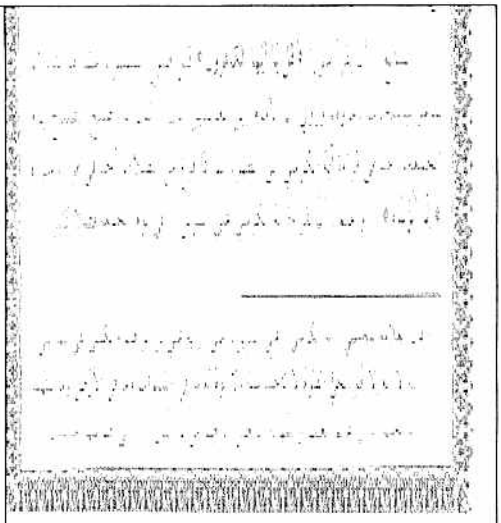

حرف آية الكرسي فكتب: الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي، وقال في النسخة العربية: واعلم أن لقراءة آية الكرسي على التنزيل فضلًا عظيمًا، وعلق المجلسي بأنها على التنزيل كما نقل في كتابه بالفارسية.

مقدمة تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار أبو الحسن العاملي

المقدمة الثانية

المقدمة الثانية

في بيان ما يوضح وقوع بعض التغيير في القرآن و انه الحق في حمل الاخبار التي امرنا بها و الائمة و الاشارة الى فضائل اهل البيت فرض طاعة الائمة بحسب حمل القرآن و تاويله و انه مدار ذلك على سبيل التجوز و الرموز و التعريض في ظاهر القرآن و سرها

مقدمه

تفسير مرآة الانوار

و

مشكوة الاسرار

ب

www.noor.com

www.tnoor.com

الفصل الرابع

في بيان حالة القرآن خصائصه في تغيير القرآن وعدمه وتزييف أدلة القائلين بالتغيير

اعلم أن المتدين يلزم من التزامه بالاسلام معتقدين عقيدة الكليني عليه الرحمة الله كفر بعقيدة التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات كثيرة في هذا المعنى في كتاب الكافي الذي صرح في أول كتابه أنه كل ما روى فيه فهو إما صحيح أو قد صححه بعض علماء الشيعة وذكر هذا الكتاب بعينه بعض علماء الشيعة المتأخرين وهو المولى صالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي وقال في مقدمة شرحه ما هذا لفظه: وقد تكامل من تقرر أن جميع ما في هذا الكتاب مما يجب اعتقاده والعمل به لأن مؤلفه ثقة عدل ضابط وقد شهد بذلك كل من تأخر عنه من علماء الشيعة وأثنوا عليه وسلموا جميع ما رواه وصنفه وقد قال الصدوق في أول كتابه من لا يحضره الفقيه ولم أقصد فيه إلى إيراد جميع ما رواه فيه مصنفوه وإنما قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدست عظمته وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول وإليها المرجع مثل كتاب حريز بن عبد الله السجستاني وكتاب عبيد الله بن علي الحلبي وكتاب أحمد بن محمد بن خالد البرقي وكتب أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي وكتب محمد بن مسعود العياشي وكتب محمد بن يعقوب الكليني رحمهم الله وإنما أورد فيه ما رواه الثقات المشهورون بالسلامة والاعتماد على ما يرويه أصحابهم المأمونون على الحديث والآثار الذين عرفت أحوالهم في الرجال وأثنى عليهم أهل العلم وقبلت أخبارهم وساروا بها في البلدان وأخذ بها الخلف عن السلف والسلف عن الخلف في الأعصار والدهور وعلى هذا فقس ما لم أذكر طريقه إليه من الكتب المصنفة فإني لم أقصد إلى إيراد جميع ما فيها وإنما قصدت إلى إيراد ما هو أرجح فيها بحسب ما وصل إليه رأيي وأدى إليه اجتهادي في باب ما يرد عنه وبينه وبين ربه تقدست أسماؤه وتظاهرت آلاؤه انتهى كلامه رفع مقامه.

فظهر من هذا أن جميع ما في الكافي من الروايات صحيح عند المولى صالح المازندراني وكذلك عند المجلسي في مرآة العقول شرح الكافي وعند غيرهما من علماء الشيعة المتأخرين وقد روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة آلاف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة آلاف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية آلاف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة آلاف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله عشرة آلاف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أحد عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنا عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله عشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله واحد وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله اثنين وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثلاثة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله أربعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله خمسة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ستة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سبعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ثمانية وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله تسعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وعشرة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأحد عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنا عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة عشر ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وعشرين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وثلاثين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وأربعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وخمسين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وستين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وسبعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وثمانين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وواحد وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة واثنين وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثلاثة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وأربعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وخمسة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وستة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وسبعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وثمانية وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائة وتسعة وتسعين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وواحد ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين واثنين ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وثلاثة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وأربعة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وخمسة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وستة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وسبعة ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله مائتين وثمانية ألف آية وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد

البراءة الخاصة
في أجوبة النجفية النائب (ع)
الشيخ علي الياسري الحائري المازندراني

منهاج البراعة
في
شرح نهج البلاغة
العلامة ميرزا حبيب الله الهاشمي
الجزء الثاني
مؤسسة الوفاء

البيان في تفسير القرآن الخوئي

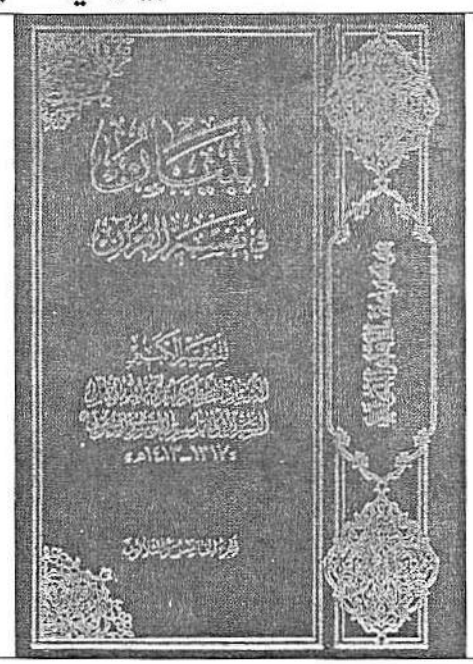

والخلاصة من هذا العرض السريع أن تدرك أن هناك أياد خفية تريد هدم الإسلام، وقد وجدت مكانًا لها بين الشيعة، فاخترقت الصف الشيعي ودنست الكتب بهذه الروايات الكثيرة التي تهدف إلى إبطال أصل الشريعة ألا وهو القرآن الكريم.

ونحن لا نشك في أن من وضع هذه الروايات لا يمت إلى الإسلام بصلة، وأنه استغل الأوضاع المضطربة التي كان عليها حال الروايات لكي يضيف ما شاء.

ويبقى القرآن محفوظًا من الله لا يمكن أن يتطاول عليه أحد لأنه كتاب عزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] فهو عزيز لا ينال ولا يستطيع أحد مد يد التبديل أو التحريف إليه، فقد تكفل العزيز بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]، فدونك القرآن فاقرأه تجده غضًا طريًا كما أنزل، وشكك فيما عداه من الروايات التي أثبتت ما لا يثبته القرآن، وهنا نتساءل: إذا كانت كتب الروايات تعج بمثل هذه الخرافات، فكيف نستطيع الاعتماد عليها في إثبات الإمامة ؟

أخي الكريم، فكر من جديد!

المبحث الرابع: الصحابة

لا أدري أي انطباع يحصل لك أخي القارئ الكريم حين أقول صحابة رسول الله ﷺ، أخشى أن يكون هذا اللفظ يجعلك تشعر بمؤامرة، ويجعلك تشعر بأن هؤلاء هم مجرد انتهازيين استغلوا طيبة رسول الله ﷺ ورحمته كي يصلوا إلى مآربهم الدنيوية الخسيسة...

إن كان هذا هو ظنك بصحابة رسول الله ﷺ فاعلم أن علماء الشيعة قد أفسدوا عليك قلبك تجاه هؤلاء الناس الذين اختارهم الله عز وجل ليكونوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام، ليجلسوا معه، ويتحدثوا إليه، ويقاتلوا بين يديه، ويقتلوا أمام عينيه، اختارهم الله عز وجل ليسمعوا القرآن من فم رسول الله، في نفس اللحظة التي سمعه فيها عن جبريل عن رب العزة عز وجل، فلماذا اختارهم ولم يخترني أنا وأنت؟ هل نحن خير منهم؟ أم أن تربية رسول الله ﷺ لم تصل إلى شغاف قلوبهم، وكلماته لم تخترق مكامن نفوسهم؟ أم أن المربي ضعيف الخبرة قليل الكفاءة؟

لا والله، فلقد زكاهم فأحسن تزكيتهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وإن قدحنا فيهم فإننا نقدح في بركة من علمهم ورباهم وزكاهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢] فهم كانوا في ضلال مبين من قبل أن يأتيهم الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وإذا كان الرجل يرى الرسول ﷺ في المنام، فيكون هذا شرفًا ما بعده شرفًا، ومكانة ما بعدها مكانة، فكيف بمن عاش معه، وجاهد معه، وناصره في دعوته حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

هل من المعقول أن نكفر كل الصحابة من أجل أن نثبت هذه الإمامة التي ظهر لنا أنها لا تضر ولا تنفع؟ وهل من المعقول أن نقع في كل هذه التناقضات، ونتهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالفشل في دعوته من أجل أن نثبت الإمامة؟

إن الأمر يحتاج إلى إعادة نظر، فالعقل والمنطق والواقع والقرآن والتاريخ يثبتون أن الصحابة كانوا خير القرون، وكذلك كانت علاقتهم بآل بيت رسول الله ﷺ على خير حال، وهذا أمر مهم يجب التوقف عنده، فإن كان أهل البيت يحبون الصحابة ويكرمونهم فمعنى هذا أن كل ما يقوله الشيعة في الصحابة تزوير وتحريف وكذب

وبهتان، فتعال ننظر أي علاقة تلك التي كانت بين الصحابة وآل البيت، وسنعتمد فقط على روايات الشيعة أنفسهم.

الصحابة وأهل البيت أية علاقة؟

إن العلاقة بين آل البيت وصحابة رسول الله ﷺ علاقة حميمية دل عليها القرآن وآثار صحيحة عند الشيعة والسنة،وهذه العلاقة واضحة جلية لا ينكرها إلا من في قلبه حقد على الصحابة.

قال الله عزوجل في كتابه العزيز: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩].

من خلال هذه الآيات الكريمات فالصحابة وآل البيت كانوا متحابين متراحمين متعاطفين فيما بينهم، كانوا كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ويكفي للحسم في هذه المسألة أن ننقل أقوال أجلاء أهل البيت في الصحابة رضوان الله على الجميع:

يقول علي رضي الله عنه في نهج البلاغة: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب، ورجاءً للثواب (نهج البلاغة ص١٤٣ دار الكتاب بيروت ١٣٨٧هـ بتحقيق صبحي صالح، ومثل ذلك ورد في «الإرشاد» ص١٢٦).

ويقول في موضع آخر: ولقد كنا مع رسول الله ﷺ، نقتتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا :ما يزيدنا ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، ومضيًّا على اللقم، وصبرًا على مضض

منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيًا جرانه، ومتبوئًا أوطانه .ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود . وايم الله لتحتلبنها دمًا، ولتتبعنها ندمًا[١].

هذا علي رضي الله عنه يمدح أصحاب النبي ﷺ مهاجرين وأنصار بدون استثناء ويفضلهم على شيعته الذين خذلوه في الحروب والقتال، ويمدح المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فيقول: فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم[٢].

ويقول: وفي المهاجرين خير كثير تعرفه، جزاهم الله خير الجزاء[٣].

هذا موقف علي رضي الله عنه من الصحابة فهل يقتدي الشيعة به ويتبعونه ويكفون عن لعن وسب الصحابة ؟ روى المجلسي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: « أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ،لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئًا، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء[٤].

لقد كان علي رضي الله عنه مساندًا للخلفاء الراشدين ومناصرًا لهم ووزيرًا لديهم، فلم لا نقتدي به في ذلك؟

وإليك بعض ما يقوله الأئمة رضوان الله عليهم في الصحابة:

- عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «أوصيكم بأصحاب نبيكم لا تسبوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثًا، ولم يؤووا محدثًا؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم الخير»[٥].

- وعندما ضرب ابن ملجم لعنه الله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأحس

---

(١) («نهج البلاغة» بتحقيق صبحي صالح ص٩١، ٩٢ ط بيروت).

(٢) («نهج البلاغة» ص٣٨٣ بتحقيق صبحي صالح).

(٣) (نهج البلاغة ص٣٨٣ بتحقيق صبحي صالح).

(٤) (حياة القلوب للمجلسي ج٢ ص٦٢١).

(٥) (بحار الأنوار: (٢٢/ ٣٠٥- ٣٠٦).

بالموت أوصى ولده الحسن عليه السلام، وكان مما قال: «الله! الله! في ذمة نبيكم فلا يُظلمن بين أظهركم. والله! الله! في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم»[١].

- قال عليه السلام مخاطبًا أصحابه وتخاذلهم عنه متذكرًا أصحاب محمد ﷺ وسرعة مناصرتهم له ﷺ: «أين القوم الذين دعو إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهُيجوا إلى القتال، فَوَلَهُوْا وَلَهَ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا، وصفًا صفًا، بعض هلك وبعض نجا. لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون عن الموتى، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صفر الألون من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم»[٢].

- وقال عليه السلام في مدحه وثنائه للأنصار: «هم -والله- ربّوا الإسلام كما يربّى الفلو مع غنائهم، بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط»[٣].

- عن زيد بن وهب الجهني، قال: لما طعن الحسن بن علي عليهما السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع، فقلت: ما ترى يا ابن رسول الله! فإن الناس متحيرون؟ فقال عليه السلام: «أرى -والله- أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله! لئن آخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي، وآمن به في أهلي، خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي»[٤].

- روي عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه جاء إليه نفر من العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: «ألا تخبروني: أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]؟! قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ

---

(١) (مقاتل الطالبيين للأصفهاني (ص:٣٩)، كشف الغمة: ٢/ ٥٩)).

(٢) (نهج البلاغة: ١/ ٢٨٨).

(٣) (نهج البلاغة: ٤/ ٧٦٧).

(٤) (الاحتجاج: ٢/ ٦٩).

أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]؟! قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا عني فعل الله بكم»[١].

ولو جاء أي منصف ونظر إلى واقع العلاقة بين الصحب والآل، لرأى كل ما يدل على التحاب والتآلف والتوادد، وكل ما كان يمكن أن يحصل بين متحابين تحابا في الله قد حصل بين الصحابة وآل البيت، فلننظر إلى العلائق بين الناس، فسنجد من يحب شخصًا أو أناسًا فإما أن يتزوج منهم ويزوجهم، وإما أن يسمي أبناءه بأسمائهم مع ثنائه عليهم وذكرهم، وهذا ما حصل بين الآل والأصحاب.

أولا: التسمية

إن لكل إنسان اسمًا يدل عليه ويعرفه الناس به ويميزه عن غيره، وللاسم أهمية كبيرة عند المسلمين فهذا النبي ﷺ يغير أسماء بعض الصحابة ويغير اسم يثرب إلى المدينة ويحث الصحابة على التسمي بأحسن الأسماء قال عليه الصلاة والسلام: « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » وينهاهم عن التسمي بأسماء كقوله ﷺ: « **إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك** ». كما أن الاسم يحمل دلالة ومعنى فلا نجد إنسانًا يحب أن يتسمى باسم يُنقص منه أو يُعير به أو يُذكره بشخص يبغضه ويكرهه لشخصه – عدو – أو لدينه – فرعون أو هامان – كما لا يحب أن يسمى أبنائه به.

ولهذا نجد قرابة النبي ﷺ يسمون أبناءهم بأسماء الصحابة وذلك لشيء واحد هو أنهم يحبونهم ويعترفون بفضلهم ومحبتهم وعظم مكانتهم،والعكس نجد الصحابي يسمي أبناءه بأسماء قرابة النبي ﷺ وذلك لفضلهم و[illegible]انتهم ونسلهم الطاهر ولمحبتهم.

فهذا علي رضي الله عنه من فرط محبته للخلفاء الثلاثة قبله سمى بعض أولاده بأسمائهم وهم:

---

(١) (كشف الغمة: ٢/ ٢٩١).

- أبو بكر بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام.

- عمر بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام.

- عثمان بن علي بن أبي طالب: شهيد كربلاء مع أخيه الحسين عليهم وعلى جدهم أفضل الصلاة والسلام[١].

لا يسمي الإنسان أبناءه إلا بأسماء من يحب من آبائه أو أقربائه أو أسماء المشاهير والعظماء

وسمى الحسن رضي الله عنه أولاده بأبي بكر بن الحسن، وبعمر بن الحسن، وطلحة بن الحسن، وكلهم شهدوا كربلاء مع عمهم الحسين- عليه السلام-[٢] وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: باب ذكر أولاد الحسن بن علي عليه السلام، ومنهم: الحسين، وطلحة، وفاطمة.

والحسين عليه السلام سمى ولده عمر بن الحسين.

وسمى علي بن الحسين الإمام الرابع عند الشيعة – الملقب بزين العابدين - رحمه الله ابنته عائشة، وسمى عمر وعبدالرحمن[٣] .

وسمى موسى بن جعفر الملقب بالكاظم رحمه الله أحد أبنائه، أبا بكر، وآخر سماه: عمر، وسمى إحدى بناته: عائشة، وأخرى: أم سلمة[٤].

وكذلك الإمام علي بن موسى الملقب بالرضا رحمه الله من أسماء بناته: عائشة[٥].

وكذلك غيرهم من آل البيت من ذرية العباس بن عبد المطلب، وذرية جعفر بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل سموا جل أبنائهم بأسماء الصحابة وأمهات المؤمنين والصحابيات رضوان الله على الجميع.

---

(١) (كشف الغمة: (٢/ ٦٧، ٦٨)، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني (ص:٨٣)).

(٢) (كشف الغمة: (٢/ ١٩٩).

(٣) (الإرشاد للمفيد، وعمدة الطالب لابن عتبة).

(٤) (كشف الغمة: ٣/ ٢٩).

(٥) (كشف الغمة: ٣/ ٦٠).

فسؤالي لك أخي:

لماذا يسمي علي وأولاده من بعده رضوان الله عليهم أولادهم بهذه الأسماء ؟

الجواب المنطقي: لأنهم يحبون ويقدرون من تسموا بهذه الأسماء ويحبونهم ويتمنون أن يكون أبناؤهم مثلهم ومثال ذلك في عصرنا الحالي من يسمي ابنه محمدًا لمحبته لأشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام ومن يسمي ابنه صلاح الدين لأنه يحب صلاح الدين الأيوبي، ومن يسمي من العرب أبناءهم بأسماء بعض القيادات البارزة كجمال عبد الناصر أو ياسر عرفات، ولا نجد عاقلًا يسمي ابنه باسم يبغضه لشخصه أو لدينه، وأظن أن هذا أمر من الصعب أن نتجاهله.

والسؤال الآن، هل يمكن أن تسمي ولدك أبا بكر أو عمر اقتداء بعلي رضي الله عنه في ذلك؟

إن ما قام به الأئمة: علي وبنوه رضوان الله عليهم من أقوى الأدلة العقلية والنفسية والواقعية على صدق محبة آل البيت للخلفاء الراشدين وسائر أصحاب النبي ﷺ وأنت – أخي الشيعي - بنفسك تعيش هذا الواقع فلا مجال لرده وهذا الواقع مصدّق لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩][1] فهل يمكنك أن تقتدي بهم في تسمية أبنائك بأسماء الصحابة؟

من الصعب أن تفعل ذلك لأنك تدرك أن تسمية أبنائك بأسمائهم فيه حب وموالاة لهم، ولو قالوا لك إنها التقية فلا تصدقهم، فإن بعض أبناء علي رضي الله عنه، ولد وهو خليفة للمسلمين، ولم يكن يخشى أحدًا، ولم يكن مضطرًّا إلى تسمية أولاده باسم أعدائه، وكذلك غيره من آل البيت، لم يكونوا في حاجة إلى محاباة أحد في تسمية أبنائهم بأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة، ولم يفرض عليهم أحد أن يسموا أبناءهم بتلك الأسماء، فلم يبق إلا احتمال واحد بلا شك وهو أن تلك التسمية دليل على الحب والموالاة، ورد على كل من زعم أن بين الصحابة وآل البيت خلافا.

وإليك هذا الجدول الذي يوضح أسماء أبناء علي رضي الله عنه وأسماء أحفاده.

---

(١) رحماء بينهم للشيخ صالح الدرويش.

أهل والصحابة
.. محبة وقرابة

مبرة الآل والأصحاب

من الأسماء التي يحبها علي بن أبي طالب وأبناؤه رضي الله عنهم

الحب والوفاء

وحدها هي الدواء دفعا عنها وعنه وذريتهم رضي الله عنهم أجمعين ليسموا أبناءهم وبناتهم بهذه الأسماء إذ أن الأسماء لا يمس قدرات كبيرة بالغة من يحبهم أو يعاديهم بل تختار هم الفضل الأسماء وأكرمها أصلا وأنسبها نسبة وأحبها إلى قلبه

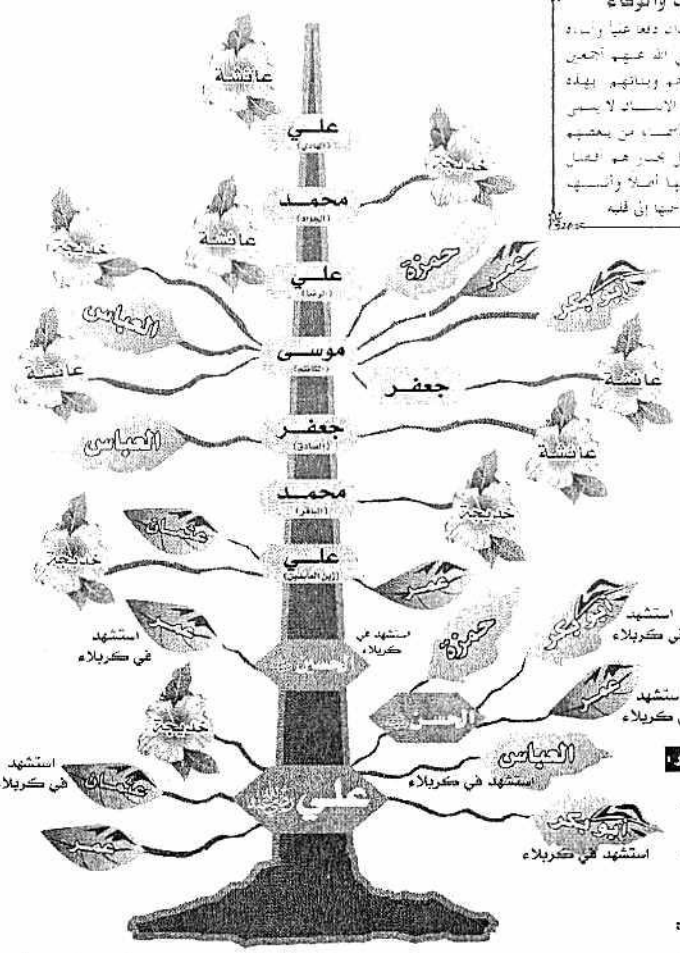

ملحوظة مهمة : هذه الشجرة تشمل بعض الأسماء والأنساب لا كلها. فلم يتم ذكر أسماء كثيرة من أبناء علي وذريته رضي الله عنهم أجمعين. ومن أبرزها "فاطمة" و"جعفر" و"زينب" وذلك لضيق المساحة المتاحة.

علاقة البنوة والأبوة — صحابي

أهم المراجع والمصادر :

- تاريخ دمشق لابن عساكر
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- نسب قريش للزبير بن بكار
- عمدة الطالب لابن عنبة
- أنساب الأشراف للبلاذري
- لباريخ اليعقوبي
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني
- منتهى الآمال للعباس القمي
- السير لابن حبيب
- الأصيلي لابن الطقطقي
- كشف الغمة للأربلي
- الإرشاد للمفيد
- معجم رجال الحديث للخوئي
- سفينة البحار للشيخ عباس القمي
- المستدرك للحاكم النيسابوري

هاتف : ٢٥٦٠٢٠٣ / ٢٥٥٢٣٤٠ - فاكس : ٢٥٥٢٣٤١ - ص.ب: ٢٥٦٠٣٤٦ - ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٢٠٠٠٠ الكويت
www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

ثانيا: التزويج

لو خطب إليك رجل ابنتك وقرة عينك فإن أول ما تقوم به أن تبحث عن هذا الرجل وعن دينه وخلقه، وتعرف كل شيء عنه، فإن رضيته وأعجبتك حاله، زوجتها له رغبة في أن تسعد معه، وإن لم ترض حاله ودينه وخلقه، فإنك لا شك ترفضه وترفض طلبه، وتحول دون ذلك بكل ما تستطيع من قوة، فلا شك أن التزويج علامة على الرضى والقبول، إلا إن كان التزويج لمصالح دنيوية، فيكون الدافع المادي هو الذي يحملك على تزويج ابنتك من ذلك الرجل، وتكون حالتك عند الناس غير مرضية، وسريرتك غير محمودة، حيث يصفونك بأنك زوجت ابنتك من أجل المال، وهم مجمعون على احتقار من يفعل ذلك.

لذا فإن منطق العقل يفرض علينا أن نعترف بأنه إن كان حصل زواج بين الصحابة وآل البيت، فإن هذا يبطل ما يدعيه المعممون من أن الصحابة أعداء لآل البيت.

وعند النظر في كتب الشيعة وكتب السنة وكتب التاريخ، نجد هذا الزواج قد حصل بالفعل، فتزوج آل البيت من الصحابة، وتزوج الصحابة من آل البيت، وهذا هو ا لدليل الجازم على نوع الصلة التي كانت تجمع بعضهم ببعض، بدءًا بجدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسائر أبنائه وأحفاده وأحفادهم، بحيث لا يبقى لدي الناظر شك في أن العلاقة بينهم علاقة حب وقربى.

العرب في القديم والحديث يتفاخرون بأنسابهم وبمصاهراتهم، ولا يرضى الشريف بأن يزوج ابنته ممن هو أقل منه مكانة، بل يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل بسبب أمر كهذا، ومن يعارض في هذا الأمر فهو كمن يعارض في أن الشمس هي سبب الضياء...

والذي يهمنا هنا أن الإنسان لا يزوج ولا يتزوج إلا ممن يرضى دينه ويرى استقامته وصلاحه ولا يزوج ابنته أو أخته لعدوه أو من يرى كفره أو بدعته أو ضلاله أو أنه من أهل النفاق.

لهذا نخاطب الشيعي المُحب لآل البيت والمنصف المبتغى الحق ونقول له:

ثبت في كتبكم قبل كتبنا أن عليًا رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم أخت الحسنين رضي الله عنهما للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهل كان علي رضي الله عنه خائفا من عمر رضي الله عنه ! أين شجاعة علي وغيرته على عرضه ؟ أين معجزاته وكراماته؟ أين قوته وبأسه؟ وهل كان علي يبغض ابنته حتى يزوجها لكافر ظالم ؟!

أم نقول بأن عليًا - عليه السلام - زوّج ابنته لعمر رغبة بعمر وقناعة به، نعم، تزوج عمر ببنت بنت رسول ﷺ زواجًا شرعيًا صحيحًا لا تشوبه شائبة ويدل هذا الزواج على ما بين الأسرتين من تواصل ومحبة كيف لا وقد كان رسول الله ﷺ زوجًا لبنت عمر فالمصاهرة قائمة بين الأسرتين قبل زواج عمر بأم كلثوم [1].

وحين سأل علي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن سبب رغبته في أم كلثوم قال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب فهو مقطوع إلا سببي ونسبي**» ، فأردت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب.

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أحق من عرف مكانة آل البيت وقام بواجب الوصية التي أوصى بها رسول الله ﷺ في آل بيته حين قال: (الله الله في آل بيتي).

وإليك بعض النصوص من كتبكم المعتمدة وعلمائكم المعتبرين والتي فيها إثبات زواج عمر من أم كلثوم بنت علي رضي الله عن الجميع[2]:

- قال الإمام صفي الدين محمد بن تاج الدين - المعروف بابن الطقطقي الحسني ت ٧٠٩هـ نسابة ومؤرخ وإمام- في كتابه الذي أهداه إلى أصيل الدين حسن ابن نصير الدين الطوسي صاحب هولاكو وسمي الكتاب باسمه - قال في ذكر بنات أمير المؤمنين علي - عليه السلام - « وأم كلثوم أمها فاطمة بنت رسول الله تزوجها عمر بن الخطاب فولدت له زيدًا ثم خلف عليها عبد الله بن جعفر » ص٥٨ وانظر كلام المحقق السيد مهدي الرجائي فقد نقل نقولات ومنها تحقيق العلامة أبو الحسن العمري نسبة إلى عمر بن علي بن الحسين في كتابه المجدي قال: والمعول عليه من هذه الروايات ما رأيناه آنفًا من أن العباس بن عبد المطلب زوجها عمر برضا

---

(١) رحماء بينهم ص ١٥ بتصرف.

(٢) نقلا عن كتاب رحماء بينهم ص ١٧.

أبيها - عليه السلام - وإذنه، وأولدها عمر زيدًا.هـ.

وذكر المحقق أقوالًا كثيرة منها أن التي تزوجها عمر شيطانة أو أنه لم يدخل بها أو أنه تزوجها بالقوة والغصب.....إلخ.

وقال العلامة المجلسي «... وكذا إنكار المفيدِ أصلَ الواقعة؛ إنما هو لبيان أنه لم يثبت ذلك من طرقهم وإلا فبعد ورود تلك الأخبار وما سيأتي بأسانيد أن عليًا - عليه السلام - لما توفي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته وغير ذلك مما أوردته في كتاب بحار الأنوار، إنكار عجيب والأصل في الجواب هو أن ذلك وقع على سبيل التقية والاضطرار ... » إلخ[1].

وقد ذكر صاحب الكافي في كافيه عدة أحاديث منها (باب المتوفى عنها زوجها المدخول بها أين تعتد وما يجب عليها؟ حميد بن زياد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد عن عبد الله بن سنان ومعاوية بن عمار عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: سألته عن المرأة المتوفى عنها زوجها أتعتد في بيتها أو حيث شاءت ؟ قال: بل حيث شاءت، إن عليًا - عليه السلام - لما توفي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته)[2].

أخي الشيعي... إن هذا الزواج المبارك، هو زواج رباني، جعله الله دليلاً لكل الشيعة حتى يعلموا طبيعة العلاقة بين أصحاب رسول الله ﷺ وبين آل بيته الأطهار، وقد وجد العلماء أنفسهم في ورطة مع هذه الروايات فقال بعضهم أن عمر تزوج شيطانة ظنًا منه أنه يسيء لعمر لكنه للأسف يسيء لعلي وفاطمة رضي الله عنهما وهو يصف ابنتهم الطاهرة الزكية بهذا الوصف.

واعلم أخي الشيعي أن هذه ليست علاقة المصاهرة الوحيدة بين الصحابة وآل البيت، بل سبقتها علاقات كثيرة على رأسها التصاهر بين النبي ﷺ مع الصديق أبو بكر ومع الفاروق عمر ومع ذو النورين عثمان ومع أبي سفيان رضي الله عن الجميع.

واعلم أن أم الإمام جعفر الصادق رحمه الله- فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر - حفيدة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لهذا قال رحمه الله: «ولدني أبو بكر مرتين».

فالحاصل الذي لا يشك فيه عاقل أن التصاهر والتزاوج بين الصحابة والقرابة كان عن قناعة ومحبة وألفة فيما بينهم، وإليك بعض هذه المصاهرات في الجداول التالية:

---

(١) (ج٢ص٤٥ من مرآة العقول).

(٢) انظر الفروع من الكافي ج٦ ص ١١٥.

المصاهرات بين آل النبي ﷺ وآل عثمان بن عفان
رضي الله عنهم أجمعين
آل والصحابة محبة وقرابة
عبد مناف
هاشم
عبد شمس
عبد المطلب
أمية
أبو العاص
عفان
عبد الله
أبو طالب
علي
أم كلثوم
عمر
أبان
عمرو
عاصم
مروان
زيد
عبدالله
محمد
رقية
عائشة
فاطمة
سكينة
علي
الحسن
عبد الله
أم القاسم
عبد الله
إسحق
ابراهيم
ملحوظة مهمة: هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها
www.almabarrah.net / Email: almabarrh@gmail.com

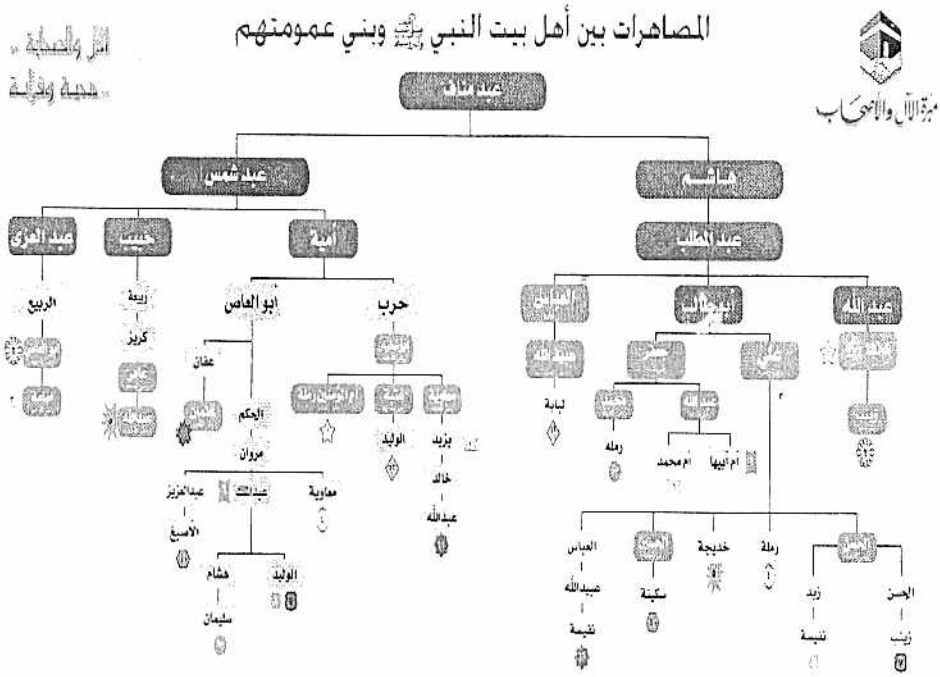

لقد اخترنا افراد مصاهرات اهل البيت رضي الله عنهم مع عثمان بن عفان وذريته رضي الله عنهم في إصدار مستقل لأهميتها وكثرتها.

ملحوظة مهمة : هذه الشجرة تشمل بعض المصاهرات والأنساب لا كلها

قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ الحديد: ٢٩ تبين هذه الشجرة شهادة ونصف شهادة المسلمين بالعلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وأن المصاهرة قائمة بينهم قبل وبعد أحداث الفتنة لما تركه اصهار العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب وذريتهم غير الأجيال، فلا حاجز من طلسوس في التاريخ.

محاسن التقريب والتحرير لما ورد من الأحاديث الصحيحة الكريمة من بني هاشم وبني عمومتهم
- تاريخ دمشق لابن عساكر
- عمدة الطالب لابن عنبة
- منتهى الآمال لعباس القمي
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- أنساب الأشراف للبلاذري
- الجوهرة في نسب النبي وآله لابن حزم
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني
- الأصيلي لابن القطقطي
- نسب قريش للزبير بن بكار
- كشف الغمة للأربلي
هاتف: ٢٤٨٠٥٠٣ / ٢٤٨٢٢٢١ / ٢٤٨٢٢٢٢ فاكس: ٢٤٨٠٥٠٤ ص.ب: ١٢٩٢١ الشامية الرمز البريدي 13033 الكويت
www.almabarrah.net/ Email: almabarrah@gmail.com

المصاهرات بين آل النبي ﷺ وآل الصدّيق رضي الله عنهم
عبد المطلب
عبد الله
أبو طالب
محمد ﷺ
زوجه عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
أبو بكر الصديق
عبد الرحمن
عائشة أم المؤمنين
القاسم بن محمد
أبو بكر
أبو سلمة
عبد الله
عبد الرحمن
أبو سلمة
علي بن أبي طالب
الحسن المثنى
عبد الله المحض
الحسن المثلث
علي زين العابدين
محمد الباقر
جعفر الصادق
موسى الكاظم
عبد الله

مقولة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

«ولدني أبو بكر الصدّيق مرتين»*

* الولادة الأولى: من أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.
* الولادة الثانية: من علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

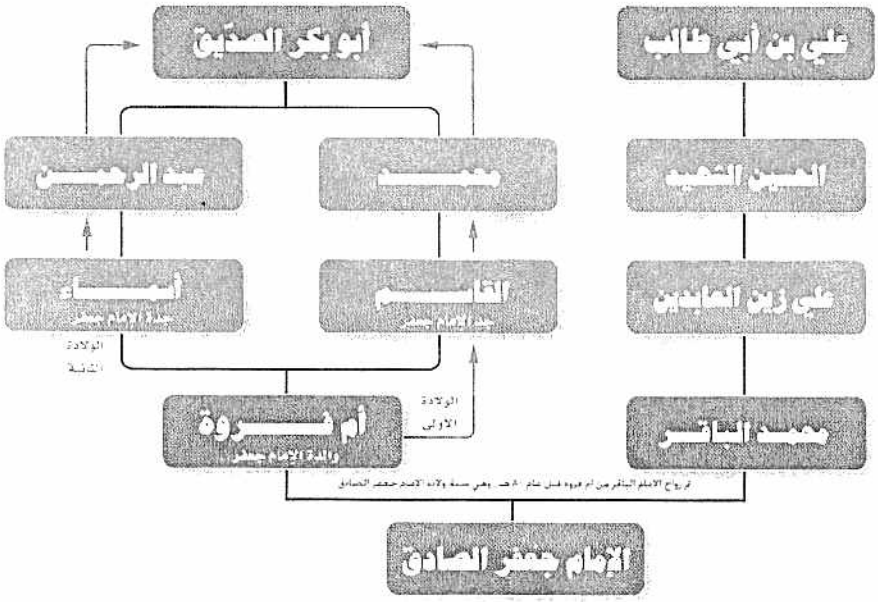

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ ... ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ ...

... ثم تولى الولاء لبني في كثير من المراجع ومنها كتاب كتب العهد الأدبي ج٥ ص٣٤١ طبعة دار الأضواء - بيروت - لبنان

... أحداث مهمة في التاريخ الإسلامي: ١١ وفاة الرسول ﷺ سنة ١١ هـ ٢ السقيفة سنة ١١ هـ ٣ موقعة الجمل جمادي الآخرة سنة ٣٦ هـ ٤ موقعة صفين صفر سنة ٣٧ هـ ٥ استشهاد علي ... رمضان سنة ٤٠ هـ ٦ وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ٤٩ هـ ٧ استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب كربلاء محرم سنة ٦١ هـ

آل البيت والصحابة .. محبة وقرابة
هاتف: ٢٥٦٠٢٠٣ ، ٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٥٦٠٣٤٦ ص.ب: ١٢٤٢١ الشامية 71655 الكويت
www.almabarrah.net E-mail: almabarrh@gmail.com

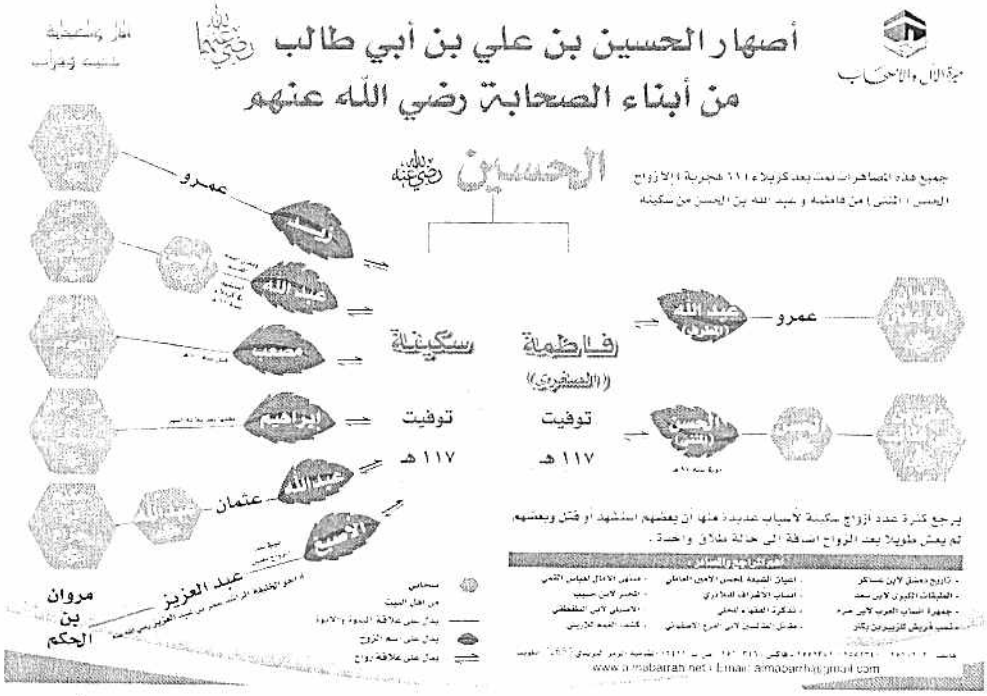

بعد كل ما رأيت من المصاهرات والتسميات، لا بد أنك أدركت أن علينا أن نعيد النظر فيما يصوره المغرضون ممن استخدموا التشيع غطاء لانحرافهم وحقدهم حتى أوهمونا أن ثمة عداء بين وشرٌّ بين الصحابة وآل البيت، وكيف يمكن أن يكون بينهما خلاف ومصدر عزهما من شيء واحد وهو علاقتهما برسول الله ﷺ، لا بد أن نفكر من جديد، ونتأمل من جديد، فثمة كثير من التساؤلات حول طبيعة هذا الجيل العظيم الذي وصلتنا عليه صورة مشوهة.

ثالثا: الثناء

بعد وفاة النبي ﷺ بايع المسلمون أبا بكر الصديق رضي الله عنه لفضله ومكانته ومحبتهم له وهذا ما يؤكده هذان الحديثان الأول الذي أخرجه الإمام أحمد والبيهقي بسند حسن عن علي رضي الله عنه أنه لما ظهر علي يوم الجمل قال: « أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر،

فأقام واستقام، حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم إن أقوامًا طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها ».

والثاني الذي أخرجه ابن سعد عن علي أيضًا قال: « قال علي لما قبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي ﷺ لديننا، فقدمنا أبا بكر » وبعد وفاة الصديق بويع عمر وبعده عثمان ثم علي رضوان الله على الجميع ثم مضى الأمر حتى انتهت الخلافة كما تنبأ النبي ﷺ. والبيعة في عهد الخلفاء الراشدين كانت عن رضا ومحبة للمبايع وتقديمه لفضله وعلمه ومكانته من النبي ﷺ ولمحبة المسلمين له.

وعلي رضي الله عنه كان من المبايعين للخلفاء الثلاثة ومن المحبين لهم حتى أنه قال: من فضلني على الشيخين جلدته حد المفتري، وغيره من الأقوال المأثورة عنه في كتب الشيعة سنذكرها تباعًا إن شاء الله:

- ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذلِكَ لله رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ منه، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى. وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلاَمُ[1].

- خطاب سيدنا علي رضي الله عنه إلى أهل مصر على يد قيس بن سعد بن عبادة وفيه: (ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين أحييا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفيا)[2].

- جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سمعتك تقول في الخطبة آنفًا: اللهم

---

(١) (نهج البلاغة ص٥٨٧ الخطبة رقم ٦).

(٢) (بحار الأنوار الجزء ٣٣ ص ٥٣٥).

أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم؟ قال:حبيباي وعماك أبوبكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ وآله، من اقتدي بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم[١]...

- عن أمير المؤمنين عليه السلام لما قيل له: ألا توصي؟ فقال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إذا أراد الله بالناس خيرًا استجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٢].

وغيرها من الروايات التي تثبت بيعة علي رضي الله عنه للشيخين وعثمان رضوان الله عليهم وأن هذه البيعة كانت لمحبته إياهم وفضلهم ومكانتهم العظيمة عنده.

أخي الشيعي...

مما لا يشك فيه مسلم أن عليًا رضي الله عنه كان مع أبي بكر وعمر وعثمان وزيرًا وناصحًا ومعينًا، فلم لا تقتدي به في ذلك ؟ ولا تحاول أن تجعل حياة إمامك كلها تقية وكلها خوف وكلها نفاق؛ لأنك إن قلت: إنه كان يتقيهم، فلم يثنِ عليهم وهو أمير وهم أموات في قبورهم، ولماذا لم يعلن كفرهم وكذبهم مثلما يفعل الشيعة اليوم؟ فبمن يقتدون في ذلك يا ترى؟

وسنختم حديثنا عن هذه العلاقة المثالية بين هذا الجيل، وبين صحابة رسول الله ﷺ وبين آل بيته، بذكر قصة حصلت لعلي بن الحسين - زين العابدين - رحمه الله رواها أحد مصنفي وعلماء الشيعة المشهورين وهو الأربلي صاحب كتاب كشف الغمة [٣] قال: (جاء إلى الإمام نفر من العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني ؟ أأنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا قال: فأنتم الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

(١) (تلخيص الشافي الجزء٢ صفحة٤٢٨).

(٢) («الشافي» ص١٧١ ط النجف).

(٣) (كشف الغمة ج٢/ ٧٨ ط إيران).

خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا عني، فعل الله بكم. فهذه القصة وإن كررنا ذكرها فلأهميتها ولشدة وضوح المعنى الذي يدل على طبيعة العلاقة التي كانت بين ذلك الجيل الفاضل رحمهم الله أجمعين ا.هـ.

الصحابة بين العقل والقرآن.

هذا فهم أئمتكم يا شيعة فهل أنتم بهم مقتدون؟

قد اتفقنا فيما سبق أن العقل والقرآن هما متمسكنا للوصول إلى بر الأمان، وها نحن نقف الآن أمام عقبة عظيمة في طريق البحث عن الحقيقة، ونتساءل لماذا يمكن أن يرتد أصحاب رسول الله ﷺ؟ ولماذا فشل النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام في تربية جيل عاش معه لأكثر من عشرين عاما؟

دعنا نتفق أن القول الأسلم في العقل والأقرب إلى التصديق هو عكس هذا الكلام، فالأولى عقلًا أن يكون الرسول ﷺ قد نجح نجاحًا باهرًا في تربية هذا الجيل العظيم، وأن يكون هؤلاء الرجال هم القدوة للأمة كلها، وأن يكونوا الأفضل على الإطلاق، وهذا بالضبط ما حصل مع الأنبياء السابقين؛ فقد كان الحواريون الذين يرافقون النبي ويؤسسون معه لدعوته أفضل الناس، ولذلك كانوا ينالون من التعظيم ما كان يصل إلى الإفراط فيهم واتخاذهم أربابا من دون الله، وهذا ماحصل للأمم من قبلنا، فلماذا تنعكس عندنا الصورة، ولماذا يكون أعظم رسول هو أقلهم تأثيرًا وأقلهم نجاحًا وأقلهم بركة؟ !

لا بد أن يكون لدينا دليل إدانة قوي يمكن أن ندين به هؤلاء الناس...

نعم، لا بد أن يأتي دليل قوي وثابت يمكن أن يصرف هذه الحقيقة العقلية والتاريخية التي تقول: إن أقرب الناس إلى قوة الإيمان بالرسالة والرسل، هم أولئك الذين صحبوه وعاصروه، فإذا أردنا أن نتهمهم لا بد وأن نأتي بأدلة قوية وحجج ثابتة، وإلا لكان موقفنا ضعيفًا، فحجية العقل تعارضنا، وعادة الله في أنبيائه تخالفنا، وواقع الأمم السابقة يكذبنا.

ولنضرب لذلك مثالًا...

دخل رجل غريب إلى السوق، وأتى إلى أشرف من في السوق من التجار، وأقدمهم في ذلك المكان، وأوسعهم شهرة، وأكثرهم تجارة، فزعم أنه سرق له عشرة دراهم. وحين قال ذلك الكلام، استنكر عليه الناس كلهم، وقالوا: لا يمكن لهذا الرجل الشريف أن يسرق، وماذا تساوي عشرة دراهم بالنسبة إليه، وكيف تريدنا أن نصدقك ونحن نعرفه منذ زمن بعيد بالأمانة والصدق والشرف، وحين طلبوا منه الدليل قال لهم: لقد أخبرني رجل كان مارًّا من جانب السوق، بأن الذي أخذ لي العشرة دراهم هو هذا.

إن موقفنا ونحن نتهم أصحاب رسول الله ﷺ اعتمادًا على روايات مكذوبة وأخبار مجموعة من هنا وهناك، ليشبه إلى حد كبير حال هذا الرجل، وإن رد الناس علينا ليشبه رد الناس عليه.

العقل يقول: لا يمكن أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ إلا من خيرة الناس، ولا يمكن أن تكون رؤية ذلك الرجل العظيم والنبي الكريم إلا مؤثرة في النفوس، فاتنة للألباب، ولا يمكن لكلامه إلا أن يحفر وقعه في القلوب ولو كانت أقسى من الحجارة.

فماذا يقول القرآن؟

لدينا في القرآن تهديد للصحابة أن لا يرتدوا بعد موت رسول الله ﷺ وينقلبوا على أعقابهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولدينا عشرات الآيات تدل على أن الصحابة قد نالوا رضى الله عز وجل واستحقوا جنته، قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذه الحقيقة لم يثبتها القرآن وحده، بل يخبرنا القرآن أنها مثبتة في الكتب السابقة؛ لذلك

قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فيخبر القرآن أن هذا الزرع الذي أخرج شطئه وظهر كان محتاجًا إلى سوق تشده وتؤازره كي يعلى ويستوي، فلما أن استغلظ واستوى أعجب الزراع، واغتاظ به الكفار، فبين الله عز وجل أن هذا الجيل الذي نصر الإسلام وكان عونًا للرسول قد أغاظ الكفار، وهذا خبر في القرآن عما في الإنجيل من وصف لصحابة رسول الله ﷺ، وهو ثناء من أعظم الثناء.

وقبل ذلك بآيات في نفس هذه السورة العظيمة، يأتي الحديث عن فتح مكة، وعن اعتزاز رسول الله ﷺ بمن معه من المؤمنين الذين تجرؤوا على زعزعة هيبة قريش وقدموا يريدون الاعتمار ودخول مكة المكرمة، فكان ما كان مما ذكره أهل السير، وتأخر عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكة حتى ظن المسلمون أنه قتل، عند ذلك دعاهم رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشجرة، فاجتمع الآلاف يبايعونه في ذلك المشهد المهيب وتلك العزة الظاهرة التي أعز الله بها الإسلام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: ٦٢] فاجتمع هؤلاء المؤمنون تحت الشجرة على بيعة أعظم رسول في التاريخ، ونزل تصوير هذا المشهد العظيم بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ولأن الله مطلع على دواخلهم وما تكنه صدورهم قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٨، ١٩] ففتح الله عليهم ونصر بهم الإسلام ودخل الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة بما وعده الله عز وجل من الفتح.

ونجد القرآن أيضًا يصف أحوالهم في هجرتهم من مكة ويثني عليهم بذلك فيقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨] فحكم على نياتهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨] وأخبر عن عظيم أفعالهم ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨] وزكى قلوبهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [سورة الحجرات:١٥] .

ثم وصف الأنصار في استقبالهم لإخوانهم وبذلهم كل ما يستطيعون لنصرتهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] فهؤلاء أنصار رسول الله، وأنصار أصحاب رسول الله، فإن كنت لم تسمع لقصص التضحية والبذل وطيبة النفس، فاسمع لقصصهم واقرأ أخبارهم لتسمع أحدهم وهو يعرض على أخيه أن يقسم ما له نصفين، وأن يطلق إحدى زوجتيه، فيزوجه بها ويعطيه نصف ماله، واسمع إلى المهاجر يقول له: دلني على السوق، لتعلم أنهم كانوا خير من مشى تحت أديم هذه السماء، كيف لا وهم نظروا في وجه محمد، واستمعوا إلى كلام محمد، ولمسوا يد محمد، صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم يصف بعد ذلك التابعين لهم بإحسان فيقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] تصور أن أول وصف لهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم أنهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] فلم يصفهم بشيء إلا بهذا الوصف، ولم يثن عليهم بأمر إلا بكونهم يدعون لهذا الجيل العظيم، ويسألون الله أن لا يكون في قلوبهم غل لهم، أفلا دعونا لأنفسنا بهذا الدعاء؟

أي مكانة عظيمة نالها هؤلاء الصحابة حتى يمتن الله على نبيه بهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]فالمؤمنون في الآية هم صحابة رسول الله وكذلك آل بيته الكرام، كلهم داخلون في هذه الآية، وكلهم عقد الله بينهم هذا الود، فمهما حاول الشيعة وأنفقوا من المال كي يفسدوا هذا الود الذي عقده الله ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ فالله هو الذي ألف بين تلك القلوب العظيمة وجعلها كقلب رجل واحد.

إذن: هل يمكن أن تكون هذه الصورة القاتمة التي يصورها الشيعة حقيقة؟ وما الدافع لكل هذا؟ ولماذا يرتد الصحابة كلهم بعد رسول الله ﷺ إلا ستة كما ورد في الروايات؟

يجيب الشيعة بأن ذلك حصل بسبب حب الدنيا والحرص على السلطة.

لكن أي سلطة وأي دنيا كان يمكن أن تكون مطمعًا لأحد ورسول الله ﷺ فقير مطارد هو وأصحابه في شعاب مكة، يخرج منها فلا يقدر على الدخول إليها إلا في جوار المطعم بن عدي رجل من المشركين؟

كيف يسلم أبو بكر وعمر نفاقا كما تزعم الروايات؟ مع أن النفاق لا يعقل إلا إذا كان ثمة مصلحة تدفع الإنسان للإسلام، كما وقع من منافقي المدينة، الذين خافوا على أنفسهم وأموالهم، فأسلموا خوفًا من سطوة الإسلام، ورغبة في تحصيل منافع دنيوية.

أما في مكة، فإن الوضع مختلف، فقد وقع فيها ما يمكن أن نسميه بالنفاق العكسي، إذ كان من المسلمين من أظهر الكفر خوفًا على نفسه من أذى قريش، فكيف يظهر كافر الإسلام ويبطن الكفر طمعا في هذا الدين، وما زال الرسول ﷺ يحاصَر في الشعب، ويأكل هو وأتباعه أوراق الشجر من الجوع، وما زال يعرض نفسه على قبائل العرب وصعاليكها، فلا يأبهون له، وكيف يعقل أن يدخل أحد في الإسلام طمعا في الخلافة والملك، وأبو جهل يلقي سلى الجزور على محمد ﷺ.

يقول المجلسي محاولًا إيجاد مخرج من هذا المأزق الذي وقعوا فيه: «ووقفت أنا في كتاب دانيال المختصر من كتاب الملاحم ما يتضمن أن أبا بكر وعمر كانا عرفا من كتاب دانيال - وكان عند اليهود - حديث ملك النبي صلى الله عليه وآله، وولاية رجل من تيم ورجل من عدي بعده دون وصيه، ولما رأيا الصفة التي كانت في الكتاب في محمد صلى الله عليه وآله تبعاه، وأسلما معًا، طلبا للولاية التي ذكرها دانيال في كتابه»[1] وهذا من الباطل الذي يكفي في رده ذكره، فلو كانا يعلمان أنه نبي حقًّا كما

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٠ - ص ٣٩٧.

وجدا في كتاب دانيال، لكان الأحرى أن يؤمنا به ويصدقاه!

يقول أحد معاصريهم: « لقد دخل بعض الصحابة في الإسلام رغبة في المال والسلطة، وكان كفار قريش يعرفون هذا البعض، ولأنهم أعلنوا الشهادة فقد أصبحوا من المنافقين» وذكر قصصا مفادها أن قريشا كانت تعلم بأن أبا بكر وعمر كانا ينتحلان الإسلام لهدم الإسلام، إلى أن قال: «وفعلا كان عمر بن الخطاب وابنته حفصة وأبو بكر وابنته عائشة عند حسن ظن كفار قريش، إذ أقدموا على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام، وقبضوا على سلطة المسلمين»[1].

إن كل هذه الدراما وكل هذه الصورة القاتمة إنما يدفع الشيعة لها اعتقادهم بالإمامة، لذلك اضطرهم هذا الخطأ إلى مزيد من الأخطاء كي تكون الصورة مكتملة، ويكون الكلام مقنعًا، ولهذا كان رأيهم في الصحابة معارضًا للعقل ومناقضًا للقرآن الكريم ومخالفًا للواقع ولما كان عليه الأنبياء الأولون.

فلم كل هذا الإصرار على الخطأ؟ ولم كل هذه الاتهامات لصحابة رسول الله ﷺ؟ ولم علي أن أتحمل كل هذه التناقضات ؟ فأقول إن عليًا عليه السلام كان يكره الصحابة والواقع أنه يسمي أبناءه بأسمائهم ويزوج ويتزوج منهم؟ ولم علي أن أكن كل هذا الحقد لمن عاشوا مع الرسول عليه السلام وناصروه وقاتلوا في صفه وقتلوا بين يديه؟

على الأقل، يجب أن أعترف أن حال السنة خير من حالنا، فهم لا يجدون في أنفسهم حقدًا على صحابة رسول الله ﷺ، ويحبون آل بيته الكرام، ويثنون على الجميع ويدعون لهم بما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

رحم الله الصحابة ورضي الله عن آل البيت وهداني الله وإياك إلى الحق.

---

(١) اغتيال النبي ﷺ - الشيخ نجاح الطائي - ص ١٢٥ - ١٢٨.

مكانة آل البيت عند أهل السنة والجماعة

لقد من الله على أمة محمد ﷺ بنبي عظيم، فهل يعقل أن تعادي أمة محمد ﷺ أهل بيت هذا النبي العظيم؟ وتنصب لهم العداء؟

هكذا يقال لك أخي الكريم، وهكذا يصور لك أهل السنة والجماعة على أنهم أعداء آل بيت رسول الله ﷺ، وحاشا لله أن يكونوا كذلك.

إن اصطفاء آل البيت ليس بدعا في سنن الله عز وجل وأفعاله، فما يقال لرسولنا هو ما يقال للرسل من قبله، وما شرع له هو ما شرع لهم إلا اختلافات يسيرة في بعض الأحكام، أما الأصول فهو واحدة متفق عليها بين الأنبياء جميعهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومما جاءت به الشرائع والديانات السابقة اصطفاء آل بيت النبي وإكرامهم، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤] أفيكون قد اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ولم يصطف آل محمد ﷺ ؟

ولنتسمع إلى الملائكة وهي تحيي إبراهيم ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] ولنستمع إلى قوله تعالى يثني على السابقين ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٧، ٨٨] وقال تعالى مبديا نعمه على آل إبراهيم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ﴾ [النساء: ٥٤، ٥٥] فالقرآن يتحدث عن آل إبراهيم، ويذكر أنه آتاهم الكتاب والحكمة وملكًا عظيمًا، فما آل محمد ﷺ بأهون عند الله من آل إبراهيم.

فكيف يزعم الشيعة أن السنة لا يحبون آل البيت، وأغلب المرويات التي يرويها

الشيعة في فضائل آل البيت هي عند أهل السنة وفي كتبهم الصحيحة، يكفيك أن تعرف أن حديث الكساء ترويه عائشة أم المؤمنين وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وإذا أردت أن تعرف فضائلهم فابحث في كتب أهل السنة تجد كتاب «فضائل علي» في كل كتب أهل السنة الحديثية، فتجده عند أصحاب الكتب الستة وعند الإمام أحمد وعند غيره من أهل السنة والجماعة، كلهم يروون في ذلك الأحاديث بل يؤلفون في فضله مؤلفات خاصة. ككتاب: مناقب الأسد الغالب، مُمزق الكتائب، ومُظهر العجائب، ليث بن غالب، أمير المؤمنين أبي الحسن، علي بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. للعلامة شمس الدين محمد بن الجزرى المتوفى ٨٣٣هـ.

وهذا ابن تيمية الذي يتهمه الشيعة ببغض علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول فيه:

(فضل عليّ وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم، ولله الحمد، من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب ولا إلى ما لا يُعلم صدقه).

ومن ذلك قوله رحمه الله:

(وأما كون عليّ وغيره مولى كل مؤمن، فهو وصف ثابت لعليّ في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وبعد ممات عليّ، فعلي اليوم مولى كل مؤمن، وليس اليوم متوليًا على الناس، وكذلك سائر المؤمنين بعضهم أولياء بعض أحياءً وأمواتًا).

وقال: (لا ريب أن موالاة علي واجبة على كل مؤمن، كما يجب على كل مؤمن موالاة أمثاله من المؤمنين).

ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ: (وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه، وبذم الذين يظلمونه من جميع الفرق، وهم ينكرون على من سبَّه، وكارهون لذلك، وما جرى من التسابّ والتلاعن بين العسكرين، من جنس ما جرى من القتال، وأهل السنة من أشد الناس بغضًا وكراهة لأن يُتعرض له بقتال أو سب.

بل هم كلهم متفقون على أنه أجلّ قدرًا، وأحق بالإمامة، وأفضل عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين).

ويقول في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وأما قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلا ريب أنه قُتل مظلومًا

شهيدًا، كما قُتل أشباهه من المظلومين الشهداء، وقتل الحسين معصية لله ولرسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك، وهو معصية أُصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقه شهادة له ورفعة درجة وعلو منزلة. فإنه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة، التي لا تُنال إلا بنوع من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيوتهما، فإنهما تربّا في حجر الإسلام في عز وأمان، فمات هذا مسمومًا وهذا مقتولًا لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء).

ويقول ابن كثير في هذه الفاجعة العظيمة: (وكل مسلم ينبغي أن يحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله، التي هي أفضل بناته، وكان عابدًا شجاعًا سخيًّا).

قال اليافعي: (وأمّا حكم من قتل الحسين، أو أمر بقتله، ممّن استحلّ ذلك فهو كافر)[1].

وما أجمل ما قاله إبراهيم النخعي في هذا المقام إذ يقول: (لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ).

إن أهل السنة لم يرضوا بما فعل يزيد، وظل كثير منهم يلعنه بسبب قتله للحسين، بل حتى الإمام أحمد بن حنبل رأى لعنه، وهو إمام أهل السنة في زمانه، بل لم يرضوا ببيعته، وغالب من بايع بايع مكرها أو لأنه يخاف من فتنة عظيمة قد تحدث إن لم يبايع.

ولذلك بقيت الثورات تتوالى على يزيد وعلى من بعده من ملوك بني أمية، فخرج عبد الله بن الزبير واستولى على الحجاز والعراق تسع سنين، وخرج عبد الرحمن بن الأشعث ووافقه علماء العراق وعلى رأسهم عامر الشعبي وسعيد بن جبير وهما من أئمة أهل السنة العظام، وشكلوا كتيبة خاصة بهم في جيش ابن الأشعث اسمها كتيبة القراء تضم أكثر من ٥٠٠ من العلماء والقراء.

وحين خرج زيد بن علي رضي الله عنه ناصره كبار فقهاء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام

---

(١) شذرات من ذهب / ابن العماد الحنبلي: ١ / ٦٨.

أبو حنيفة بن النعمان، رضي الله عنه.

وكان الأعمش من كبار علماء أهل السنة في وقته ومن أئمة الحديث، وروي عنه أنه قال لرسولي زيد بن علي حين أتياه يدعوانه إلى زيد قال: ما أعرفني بفضله، أقرئاه مني السلام، وقولا له: يقول لك الأعمش لست أثق لك جعلت فداك بالناس، ولو أنا وجدنا لك ثلثمائة رجل أثق بهم لغيرنا لك جوانبها.

وحين خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان ممن ناصره في خروجه على أبي جعفر: الإمام مالك بن أنس وشيخه ابن هرمز وكذا ابن عجلان وهو فقيه أهل المدينة وعابدهم، وعبيد الله بن عمر، وهشام بن عروة وغيرهم من الفقهاء والعلماء.

يروي أبو الفرج الأصبهاني في كتابه مقاتل الطالبيين: وحدثني سعيد بن عبد الحميد، قال حدثنا جهم بن جعفر الحكمي، قال: أخبرني غير واحد: أن مالك بن أنس استفتي في الخروج مع محمد بن عبد الله، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبيه جعفر.

فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد بن عبد الله.

وكان منهم سفيان الثوري إمام أهل السنة في الحديث، يروي أبو الفرج عن الحسين بن المنزل قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن رجاء: بعث إليَّ سفيان الثوري سنة أربعين ومائة، فأوصاني بحوائجه، ثم سألني عن محمد بن عبد الله بن الحسن كيف هو: فقلت: في عافية، فقال: إن يرد الله بهذه الأمة خيرًا يجمع أمرها على هذا الرجل.

أخي الشيعي،،،

إن أهل السنة والجماعة يحبون آل بيت رسول الله ﷺ، ويناصرونهم ويكرمونهم، ولولا هذه المناصرة ما سقطت دولة بني أمية ولا قامت دولة بني العباس، التي كانت الدعوة فيها إلى آل بيت رسول الله، وكانت هذه الكلمة هي الكلمة التي جعلت المسلمين يناصرونها ويتمنون قيامها.

لا أريد أن ندخل في تفاصيل ما حدث، ولكن أريد أن تعيد النظر في قضية كره أهل السنة لآل البيت، وأنهم قتلوا الحسين، فإنما قتله يزيد وجيشه عليهم لعنة الله.

ويكفي اطلاع سريع على المكتبة السنية لتجد مثل هذه العناوين:

- فضل آل البيت للمقريزي.
- خصائص أمير المؤمنين للنسائي .
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري.
- أزواج النبي وأولاده لأبي عبيدة .
- معالي الرتب لمن جمع بين الصحبة والنسب للشيخ آل عبد القادر.
- جواهرالعقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي وشرف النسب النبوي لنور الدين السمهودي .
- الذرية الطاهرة النبوية للدولابي .
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النّبي المُختار للشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي الشافعي.
- كتاب مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأبو بكر عبد الله بن محمدبن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا.
- استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول ﷺ وذوي الشرف لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
- أسنى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للدكتور علي محمد محمد الصَّلَّابي .

أما موقف السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين من آل بيت النبي ﷺ وتعظيمهم لهم وتوقيرهم إياهم، فمعروف ومحفوظ متواتر، فمن ذلك:

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته». رواه البخاري في صحيحه.

وقال رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ من أن أصل من قرابتي». أخرجه البخاري كذلك في صحيحه.

وقال الشعبي: صلى زيد بن أرقم على جنازة أمه ثم قربت إليه بغلة ليركبها،

فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه – أي: يمسك ركاب البغلة لزيد رضي الله عنه، فقال له زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال عبد الله بن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا، فنزل زيد من على بغلته وقبَّل يد عبد الله بن العباس، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله ﷺ.

عن شريك بن عبد الله وهو من أتباع التابعين قال: لو جاءني أبو بكر وعمر وعلي وسألني كل حاجته لقدمت حاجة علي لقربه من رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر أفضل من علي عند الله، ولكن قرابة علي من النبي ﷺ توجب تقديم حاجته على حاجة غيره.

وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة لما آذاه أبو جعفر المنصور وضربه، قيل له: ألا تدعو عليه. فقال: والله إني لأستحيي أن آتى يوم القيامة فيُعذَّب به هذا الرجل من قرابة النبي ﷺ بسببي، فتركه لقرابته من النبي ﷺ

وذكر أن هارون الرشيد جاء إلى قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فجاء هارون الرشيد عند قبر النبي ﷺ يفتخر على الناس، فقال السلام عليك يا ابن عم. لأنه من نسل العباس بن عبد المطلب. فجاء موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا أبت. فالتفت إليه هارون الرشيد وقال: هذا والله الفخر.

وأما علي بن الحسين زيد العابدين، فقد قال عنه ابن سعد: كان ثقة مأمونًا كثير الحديث عاليًا ورفيعًا ورعًا.

وقال عنه الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل من علي بن الحسين.

وقال يحيي بن سعيد: سمعت على بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته. قال الذهبي: كان له جلالة عظيمة وحق له والله ذلك، فقد كان أهلًا للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله.

وقصته معروفة حين حج هشام بن عبد الملك قبيل ولايته للخلافة فكان إذا أراد استلام الحجر زحم عليه الناس، فإذا جاء علي بن الحسين ابتعد الناس عن الحجر حتى يأتي ويقبل ثم يكمل باقي الأشواط فغضب هشام بن عبد الملك نائب الخليفة، وقال: من هذا فما أعرفه؟ وكان بجانبه الشاعر الفرزدق فقال الشاعر:

هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطأتـه ... والبيـت يعرفـه والحـل والحـرم

هـذا ابـن خيـر عبـاد الله كلهـم ... هـذا التقـي النقـي الطـاهر العلـم

إذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا ... إلـى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم

يكـاد يمسكه عرفـان راحتـه ... ركـن الحطـيم إذا مـا جـاء يستلم

يغـضي حيـاءً ويغـضى مـن مهابتـه ... فمـا يكلـم إلا حـين يبتـسم

هـذا ابـن فاطمـة إن كنـت جاهلـه ... بجـده أنبيـاء الله قـد ختمـوا

وأما محمد بن علي بن الحسين وهو الذي يلقب بالباقر فقد قال عنه الإمام الذهبي: شهر بالباقر من بَقَر العلم (أي: شقه) فعَرَف أصله وخفيه. ولقد كان أبو جعفر – هذه كنيته – إمامًا مجتهدًا تاليًا لكتاب الله كبير الشأن لا نُحابيْه ولا نَحِيف عليه، نُحِبُّه في الله لِما تجَمَّع فيه من صفات الكمال.

وقال ابن كثير: أحد أعلام هذه الأمة علمًا وعملًا وسيادةً وشرفًا.

وأما جعفر الصادق فقال عنه الذهبي: الإمام الصادق شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني أحد الأعلام.

وقال أبو حاتم الرازي: لا يُسأل عن مثله.

وموسى الكاظم، قال عنه ابن تيمية: مشهور بالعبادة والنسك.

وقال أبو حاتم الرازي: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين.

وقال ابن كثير: كان كثير العبادة والمروءة.

وأما علي بن موسى الرضا، فقال عنه ابن حِبَّان: من سادات أهل البيت وعقلائهم، وأجل الهاشمين ونبلائهم وقال الذهبي: كان كبير الشأن أهلًا للخلافة.

وأما محمد بن علي بن موسى الجواد، فقال عنه ابن تيمية: كان من أعيان بني هاشم وهو معروف بالسخاء والسؤدد ولهذا سُمي بالجواد.

وهذا غيض من فيض من فضائل آل البيت ﷺ، والتي عرف حقها أهل السنة والجماعة، فأحبوهم دون إفراط أو تفريط.

المبحث الخامس: التناقضات

هناك قاعدة جليلة أوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

فعلامة ما جاء من عند الله أن يكون متوافقًا يعضد بعضه بعضًا، وعلامة ما كان من عند غير الله أن يكون مختلفًا يكذب بعضه بعضًا...

لقد أدت الروايات المتناقضة في مصادر الشيعة إلى تناقض فتاوى العلماء، حتى أصبح الشيعي لا يعرف ما هو الصحيح الذي صدر عن الإمام المعصوم وما هو الذي صدر منه تقية؟

والروايات الشيعية تزعم أن اتِّباع الأئمة يعصم من الخلاف بل ينجي من الهلاك مَثَلُ ذلك مَثَلُ سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها هلك!!

والآن بعد أن انقطع نسل الأئمة وأصبح الشيعة بغير إمام حيث ظهرت عشرات السفن بل مئات، كل صاحب سفينة يزعم أنه هو الوارث لقيادة السفينة مما أدى إلى تمزق الطائفة إلى سفن بل وصل التمزق إلى الأسرة الواحدة، فأصبح لكل فرد في الأسرة سفينة!!! وقد ينزل منها أحيانًا ويركب سفينة أخرى يظن أنها هي سفينة النجاة!!

فأي هذه السفن هي: «سفينة آل البيت» يا ترى؟!

وفي خضم هذه الخلافات وعدم تحديد السفينة الناجية تراجع كثير من أتباع السفينة للبحث عن السفينة الصحيحة التي تعصمه من الهلاك...

إن هذا الاختلاف بين الشيعة ليس جديدًا بل كان الخلاف يقع عند موت كل إمام، فينقسم الشيعة عند ذلك إلى فرقتين.

وقد وصل عدد فرق الشيعة في المقالات والفرق للقمي وفرق الشيعة للنوبختي إلى ما يربو على ستين فرقة، ويلاحظ أن الاثنى عشرية كانت عند النوبختي فرقة من أربع عشرة أو خمس عشرة فرقة افترقت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري سنة (٢٦٠هـ)بينما ذكر القمي أنهم خمس عشرة فرقة[١].

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي (ص: ٩٦).

المقالات والفرق للقمي (ص: ١٠٢).

أما كتب الرواية عندهم فإن الكليني في الكافي يذكر رواية تجعل فرق الشيعة ثلاث عشرة فرقة كلها في النار إلا واحدة، وقد حكم المجلسي على هذه الرواية - حسب مقاييسهم - بأنها ترتقي إلى درجة الحسن[١]، حيث جاء في الرواية (ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنا)[٢].

ثم ازدادت شقة الخلاف اليوم حتى أصبحت السفن اليوم غير السفن القديمة التي كان يركبها عشرات الفرق السابقة، حيث إن الفتاوى الجديدة لا تمت للفتاوى القديمة بصلة إلا بالاسم لا لكثرتها فحسب بل لمخالفتها لفتاوى السابقين كما يقرره علماء الطائفة...

وفيما يلي عرض موجز لبعض أقوال علماء المذهب القدماء والمتأخرين في ذلك :

الاعتراف بهذا التناقض من طرف العلماء:

قال الطوسي: (وقد ذكرت ما ورد عنهم (ع) في الأحاديث المختلفة التي تختص الفقه في كتابي المعروف بالاستبصار وفي كتاب تهذيب الأحكام، ما يزيد على خمسة آلاف حديث وذكرت في أكثرها اختلاف الطائفة في العمل بها وذلك أشهر من أن يخفى، حتى إنك لو تأملت اختلافاتهم في هذه الأحكام وجدته يزيد على اختلاف أبي حنيفة والشافعي ومالك)[٣].

وقد اشتكى من هذا الاختلاف الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي أحد الكتب الثمانية المعتمدة عند الشيعة وصاحب تفسير الصافي، فقال عن اختلاف طائفته: (تراهم يختلفون في المسألة الواحدة إلى عشرين قولًا أو ثلاثين قولًا أو أزيد، بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها)[٤].

---

(١) الكافي (٨/ ٢٢٤).

(٢) (مرآة العقول ٤/ ٣٤٤).

(٣) عدة الأصول (١/ ١٣٧-١٣٨)، وانظر: معجم رجال الخوئي (١/ ٩٠)، السرائر لابن إدريس الحلي (١/ ٥٢).

(٤) مقدمة الوافي (ص: ٩).

وهذا الاختلاف سببه اختلاف الروايات الواردة عن أئمتهم .

قال الشيخ جعفر الشاخوري في كتابه حركية العقل الاجتهادي:

(إننا نجد أن كبار علماء الشيعة يختلفون في تحديد الروايات الصادرة تقية والروايات الصادرة لبيان الحكم الواقعي، وخذ مثالًا على ذلك: مسألة نجاسة الخمر، فيما يفتي الكثيرون بالنجاسة ومنهم الشيخ الطوسي، لأنهم حملوا روايات الطهارة على التقية، نجد أن هناك من الفقهاء من يفتي بالطهارة كالمقدس الأردبيلي وغيره لأنهم حملوا روايات النجاسة على التقية، وهذا يكشف عن التخبط في استخدام التقية لدى القدماء).

وقال أيضًا: (لو أردنا استعراض غيره من عشرات الأمثلة لألفنا كتابًا خاصًّا يؤكد فوضى تحديد موارد التقية، التي تشبه فوضى ادعاءات الإجماع في مسائل الفقه، مما أدى إلى اختلاف كثير من فتاوى العلماء تبعًا لتحديد ما هي الروايات الصادرة عن التقية وغيرها) [1].

وقد أدى هذا التناقض إلى خروج مذهب شيعي جديد:

قال الشيخ جعفر الشاخوري واصفًا اختلاف علماء الشيعة: (إن المقصود بالمشهور في كلمات العلماء هم العلماء القدامى كالشيخ الصدوق، والمرتضى، والمفيد، والطوسي، وابن براج، وابن أبي عقيل، وابن الجنيد، وأمثالهم وليس الفقهاء المعاصرين.

لأنه لا قيمة للشهرات أو الإجماعات المتأخرة فلو نظرنا إلى فتاوى علمائنا المعاصرين فسوف نجد أنهم كلهم خارجون عن دائرة المذهب الشيعي!!

وخذ مثالًا على ذلك: فالمقارنة بين كتاب الشيخ الصدوق (الهداية) أو الشيخ المفيد في الفقه (المقنعة) وكتاب (منهاج الصالحين) للسيد الخوئي، حيث ستجد أن هناك عشرات المسائل التي خالف فيها السيد الخوئي مشهور القدامى.

ولو أن الشيخ الصدوق قد قدر له مطالعة كتاب المسائل المنتخبة للسيد الخوئي

---

(١) حركية العقل الاجتهادي لدى فقهاء الشيعة الإمامية (ص: ٧٢ - ٧٥).

لأصيب بالدهشة).

ثم أخذ يذكر المسائل التي خالف فيها الخوئي المشهور، إلى أن قال:

(ولو أردنا أن نستوعب ما خالف فيه السيد الخوئي المشهور أو الإجماع لبلغ بنا الرقم إلى مائتين أو ثلاثمائة فتوى، وهكذا حال الخميني والحكيم وغيرهما من المراجع.

وسوف يصدر لنا قريبًا كتاب خاص عددنا فيه لأبرز مراجع الشيعة من الشيخ الصدوق، والمفيد، مرورًا بالعلامة الحلي، وانتهاء بالسيد الخوئي، والسيد السيستاني وغيرهم العشرات من الفتاوى الشاذة لكل واحد منهم).

إلى أن قال: (إن مخالفة المشهور كثيرة جدًّا خاصةً بعدما شاعت عادة تغليف الفتاوى بالاحتياطات الوجوبية)[١].

ثم ذكر جملة من مخالفات المتأخرين، وقال في الهامش: (قد اقتصرت على عدد بسيط من الفتاوى لعدد قليل من العلماء؛ لأن استقصاء البحث فيها يحتاج إلى عدة مجلدات)[٢].

ويقول جعفر السبحاني: (وجود الخلاف في كثير من المسائل العقيدية، حتى مثل سهو النبي (ص) في جانب التفريط، أو نسبة التفويض في بعض جانب الإفراط، فإن بعض هذه المسائل وإن صارت من عقائد الشيعة الضرورية بحيث يعرفها العالي والداني، غير أنها لم تكن بهذه المثابة في العصور الغابرة)[٣].

وقال الممقاني – أحد أكبر شيوخهم في علم الرجال في هذا العصر –: (إن القدماء – يعني: من الشيعة – كانوا يعدون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلوًّا وارتفاعًا، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال كما لا يخفى على من أحاط خبرًا بكلماتهم)[٤].

---

(١) مرجعية المرحلة وغبار التغيير (ص: ١٣٥-١٣٨).

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) كليات في علم الرجال (ص: ٤٣٤).

(٤) تنقيح المقال (٣/ ٢٣)، وراجع ما ذكره محب الدين الخطيب في ذلك في حاشية المنتقى (ص: ١٩٣).

تراجع بعض علماء المذهب بسبب التناقض:

قال الطوسي: (وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحق لما اشتبه عليه الوجه في ذلك، وعجز عن حل الشبهة فيه، سمعت شيخنا أبا عبد الله أيده الله يذكر أن أبا الحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث ودان بغيره)[١].

وقال جعفر السبحاني: (عندما نطالع كتابي الوسائل والمستدرك مثلًا، نرى أنه ما من باب من أبواب الفقه إلا وفيه اختلاف في رواياته، وهذا مما أدى إلى رجوع بعض ممن استبصروا عن مذهب الإمامية).

وتناقض الروايات أباح للعالم أن يفتي بما شاء دون ضابط:

لذلك اختار صاحب الحدائق كما في الدرر النجفية إمكانية أن يفتي الإمام تقية برأي ليس موجودًا حتى عند العامة؛ وذلك لمحض المخالفة بين أصحابه.

قال: (إن الأئمة يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة وإن لم يكن بها قائل من المخالفين)[٢].

إننا نجد من يزعمون أنهم أتباع الإمام المعصوم والمذهب الواحد يقعون في تناقضات عقدية خطيرة:

كتب (الصدوق) كتابًا في عقائد الشيعة عرف بـ (اعتقاد الصدوق). لم يمر على الكتاب فترة طويلة حتى جاء تلميذه (المفيد) وكتب كتابه (تصحيح الاعتقاد) في الرد على شيخه في كتابه المذكور، ويحمل فيه عليه حملات منكرة! واصفًا إياه بالجهل بالأخبار تارة وبمذاهب الاعتقادات تارة، وبعدم العلم في مسائل أخرى! من ذلك قوله: (وما كان ينبغي لمن لا معرفة له بحقائق الأمور أن يتكلم فيها على خبط

---

(١) تهذيب الأحكام (١/ ٢).

(٢) حركية العقل الاجتهادي لدى فقهاء الشيعة الإمامية/ جعفر الشاخوري (ص: ٧٢ - ٧٥)، الحدائق للبحراني (١/ ٥).

عشواء. والذي صرح به أبو جعفر في معنى الروح والنفس هو قول التناسخية بعينه من غير أن يعلم أنه قولهم، فالجناية بذلك على نفسه وعلى غيره عظيمة)[١].

وقال في موضع آخر: (والذي حكاه وتوهمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين)[٢].

يقول شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في كتابه (العدة في أصول الفقه) قال:

(ومما يدل أيضًا على جواز العمل بهذه الأخبار التي أشرنا إليها ما ظهر من الفرقة المحقة من الاختلاف الصادر عن العمل بها فإني وجدتها مختلفة المذاهب في الأحكام. ويفتي أحدهم بما لا يفتي صاحبه في جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى باب الديات. من العبادات والأحكام والمعاملات والفرائض وغير ذلك. مثل اختلافهم في العدد والرؤية في الصوم. واختلافهم في أن التلفظ بثلاث تطليقات أن يقع واحدة أو لا. ومثل اختلافهم في باب الطهارة في مقدار الماء الذي لا ينجسه شيء. ونحو اختلافهم في حد الكر. ونحو اختلافهم في استئناف الماء الجديد لمسح الرأس والرجلين .واختلافهم في اعتبار أقصى مدة النفاس. واختلافهم في عدد فصول الأذان والإقامة. وغير ذلك في سائر أبواب الفقه حتى أن بابًا منه لا يسلم إلا وجدت العلماء من الطائفة مختلفة في مسائل منه أو مسائل متفاوتة الفتاوى)[٣].

ويقول: (وقد ذكرت ما ورد عنهم عليهم السلام في الأحاديث المختلفة التي تختص الفقه في كتابي المعروف بالاستبصار وفي كتاب تهذيب الأحكام، ما يزيد على خمسة آلاف حديث وذكرت في أكثرها اختلاف الطائفة في العمل بها وذلك أشهر من أن يخفى.

حتى إنك لو تأملت اختلافاتهم في هذه الأحكام وجدته يزيد على اختلاف أبي حنيفة، والشافعي، ومالك)

ويقول: (ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية - الشيخ المفيد ص ٧٩، ٩٣.

(٢)نفس المصدر.

(٣) العدة في أصول الفقه -الطوسي ١/ ١٣٧.

أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم.وما وقع فيها من الاختلاف، والتباين، والمنافاة، والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر وإلا بإزائه ما يضاده. ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه. حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا. وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا. وذكروا أنه لم يزل شيوخكم السلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الذي يدينون الله تعالى به، ويشنعون عليهم بافتراق كلمتهم في الفروع ويذكرون أن هذا مما لا يجوز أن يتعبد به الحكيم، ولا أن يبيح العمل به الحليم. وقد وجدناكم أشد اختلافا من مخالفيكم، وأكثر تباينًا من مباينيكم. ووجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليل على بطلان الأصل.

حتى دخل على جماعة ممن ليس لهم قوة في العلم ولا بصيرة بوجوه النظر ومعاني الألفاظ شبه وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحق لما اشتبه عليه الوجه في ذلك وعجز عن حل الشبه فيه. سمعت شيخنا أبا عبد الله أيده الله يذكر أبا الحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث، وترك المذهب ودان بغيره لما لم يتبين له وجوه المعاني فيها).[1]

وهذا شيخ الشيعة الفيض الكاشاني يقول في كتابه الوافي:

تراهم يختلفون (أي علماء الشيعة) في المسألة الواحدة إلى عشرين قولًا أو ثلاثين قولًا أو أزيد. بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها.[2]

ويقول محمد جواد مغنية:

(أحدث المتأخرون قواعد فقهية جديدة، وعدلوا كثيرًا من القواعد القديمة فنفوا

---

(١) مقدمة تهذيب الأحكام - الطوسي ١/ ٢.

(٢) مقدمة الوافي / الفيض الكاشاني ج١ ص٩

أحكامًا أثبتها المتقدمون، وأثبتوا أحكامًا لم يعرفها أحد مما سبقهم، قلموا، وطعموا جميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات)[١].

يقول محمد سند في كتابه بحوث في مباني علم الرجال[٢]:

(إن الطوسي دأب في التهذيبين على الجمع بين الأحاديث المختلفة مهما أمكن لدفع شبهة كثرة التعارض في أحاديث أهل البيت التي أدت بأحد الأشراف إلى الخروج من المذهب كما صرح بذلك في مقدمة الكتابين).

يقول دلدار علي: (إن الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جدًّا لا يكاد يوجد حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه ولا يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده حتى صار ذلك سببا لرجوع بعض الناقصين عن اعتقاد الحق[٣]).

هل هذا هو المذهب الذي ينجي من الضلال ونحن نجد الحديث وفي مقابله ما يضاده ؟

مذهب واحد فيه أكثر من ثلاثين قولا ؟

من هنا نطرح تساؤلنا حول العصمة، وماذا أفادتنا في حياتنا العملية؟ هل أنهت الخلاف أم زادته؟ هل دلتنا على الحق أم أتتنا بعشرات الأقوال في المسألة الواحدة؟

ومن هنا نتساءل عن أصل المسألة وعن حاجتنا إلى الإمام المعصوم؟ وعن أثر ذلك في حياتنا!

المذاهب الأربعة عند أهل السنة

هذا وإن كان الشيعة يعيبون على أهل السنة أنهم يتبعون أربعة مذاهب ويعرضون عن مذهب جعفر الصادق الذي يعصمهم من الخطأ والاختلاف، فالرد على هذا

---

(١) مع الشيعة الإمامية / محمد جواد مغنية ص ٩٠

(٢) بحوث في مباني علم الرجال / محمد سند ص ٦٣

(٣) أساس الأصول ص٥١ ط الهند

الأمر من وجوه:

الوجه الأول: أن أهل السنة والجماعة لم يفترقوا في الأصول، وإنما كانت آراء أئمتهم واجتهاداتهم في باب الفروع الفقهية، والشيعة لبعدهم عن العلم وغياب الإنصاف مع المخالف ومحاولة التشنيع عليه، لا يفرقون بين الاختلاف في الفروع، والاختلاف في الأصول فيظنون أن الأئمة الأربع عند أهل السنة والجماعة هم أئمة فرق ومذاهب مختلفة الأصول والفروع وهذا لا يقول به إلا من لا يعرف مذهب أهل السنة والجماعة.

الوجه الثاني: الإمام جعفر الصادق رحمه الله لم يكن له مذهب خاص به ليتبعه أهل السنة والدليل على ذلك عدم وجود كتاب فقهي بخط يده أو كتاب جمعه تلامذته كما هو الحال بالنسبة للأئمة الأربعة الذين اشتهرت مذاهبهم. وهذا لا ينقص من قدره رحمه الله ولكن هو نفسه لم يقل أن مذهبه هو العاصم من الضلال ولكنه كان يدعوا إلى التزام الكتاب والسنة بل على يده تتلمذ كثير من فقهاء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام مالك بن أنس الذي يعزى إليه المذهب المالكي.

الوجه الثالث: اختلاف أهل السنة والجماعة الفقهي بأئمتهم مجتمعين لم يصل في أحيان كثيرة إلى تناقضات صارخة بمذهب الإمامية المنسوب لجعفر الصادق والذي يزعمون أنه مذهب معصوم وخال من التعارض والتناقض !!

* * *

المبحث السادس:
أسئلة لن نجد لها جوابًا

إن التساؤل والاستشكال آلة العقل في السبر والمعرفة والكشف عن الحقائق، فما دمت تسأل وتتساءل فأنت تبحث عن الحق، وما دمت تبحث عن الحق فإن الله عز وجل سيوفقك إليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

إن أخطر شيء هو أن نعتدي على أنفسنا ونتدخل لفرض سلطة على العقل فنقمع فيه السؤال والبحث، ونلزمه بالصمت والخضوع للأمر الواقع، وهذا شيء لا يطيقه العقل الحر، وهو ظلم كبير، وسبب لطمس البصيرة والختم على القلب، فتلك التساؤلات لا تأتي من فراغ، إنها نداءات من النفس من أجل تصحيح المسار وتوضيح الرؤية، فاستجب لتساؤلاتك وابحث لها عن جواب...

وهذه من نعم الله عز وجل على عباده، أنه لا يتركهم سدى، بل يحرك في أنفسهم الدواعي للبحث عن الحق، وهكذا تبقى تلك الأسئلة تحك في رأسك، وتزعجك في نومك، حتى ييسر الله بالفتح أو أمر من عنده، فترى الحق حقًّا والباطل باطلا، ثم توفق لاتباع الحق واجتناب الباطل إن شاء الله.

السؤال الأول: لماذا لم يذكر القرآن الإمامة؟

فأول ما تبدأ به تساؤلاتك أن تفتش في قضية الإمامة وتطرح التساؤلات حول الإمام، وأن تنظر إلى هذا الأمر العظيم الذي ترتب عليه دخول الجنة أو دخول النار، هل هو مراد لله عز وجل، فإن كان كذلك، فهل ذكره الله في القرآن الكريم، فإن كان الله عز وجل قد ذكر الإمامة في القرآن فلماذا ذكرها تعريضا ولم يذكرها تصريحا؟ فيلزم من ذلك أحد أمرين: إما أنها ليست من أصول الدين، أو أنها أعظم من أن تحتاج إلى دليل، ولا يمكننا أن نقول بذلك، لأننا نكون قد زعمنا بأنها أعظم من مسائل الربوبية واليوم الآخر وغيرها من الأمور العظيمة التي تحدث عنها القرآن مرارا وتكرارا.

فإن قلنا إن القرآن ذكرها صراحة، فالواقع يكذب ذلك، فلا توجد آية واحدة صريحة في الإمامة، وهذا ما شهد به علماء الشيعة، فيلزم من ذلك أن القرآن قد نقص

منه ما يدل على الإمامة، كما ذهب إليه الكثيرون ممن قالوا بتحريف القرآن، علما منهم أن القرآن لا يمكن أن يغفل قضية كبرى مثل الإمامة، وهو كفر بالله وخروج عن دين الإسلام.

وإن قلنا أن القرآن لم يذكر الإمامة وإنما دل عليها دليل العقل، لم نقبل ذلك، لأن العقل لا يكفي في الدلالة على أصول الدين، ولم يأت العقل ليدل على أركان الإسلام فكيف يستطيع أن يدلل على الإمامة؟

بقيت السنة والروايات عن الرسول ﷺ، وهنا نجد إشكالا كبيرا، وهو كيف يترك القرآن أمرا كهذا للسنة؟ وإن نظرنا في الأحاديث الواردة في الإمامة، فهي إما ضعيفة وإما محتملة، وأصحها حديث الغدير ولم يزد فيه النبي ﷺ في الثابت عن قوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» وأنت تعرف الآن معنى الولاية في اللغة ودلالاتها.

بقي احتمال واحد أرجح عند العقل وأقرب للدليل وأرضى للنفس، وهو أن الله عز وجل لم يرد الإمامة ولم يطالبنا بها، ولو حاولت أن تفكر في الأمر الآن وترى مدى الإشكالات التي ستنزاح عن عاتقك، لعرفت أن لهذا الكلام برد الحق وطعم الدليل، وأنه متوافق مع ما جاء به القرآن الكريم من أوله إلى آخره.

وهذا رسم يوضح مراحل السؤال:

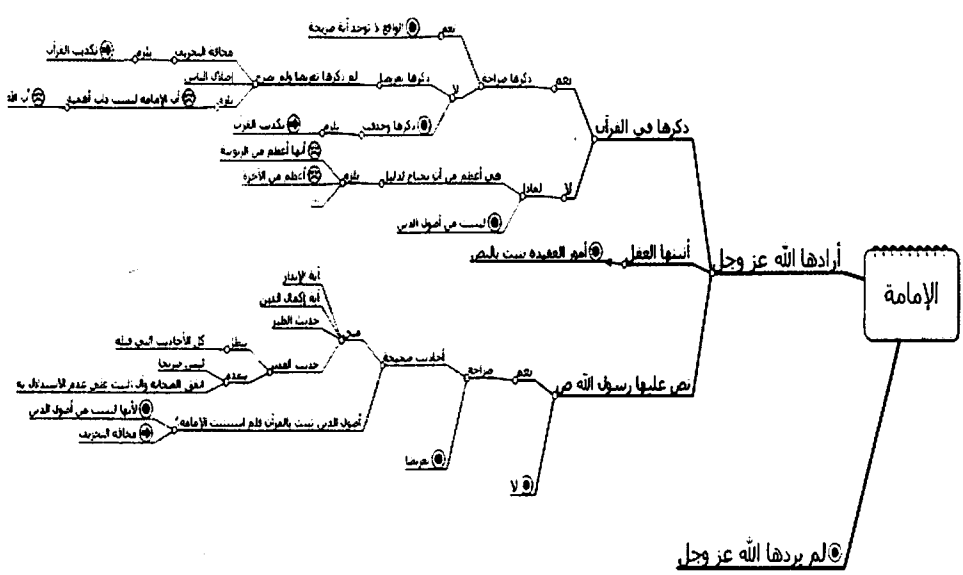

السؤال الثاني: لماذا زوج علي ابنته من عمر

إذا كانت لك ابنة فتأمل في هذه النعمة العظيمة، وهذه الرحمة التي تحس بها تجاه ابنتك، واسأل نفسك هل يمكن أن أزوجها من يهودي؟ هل يمكن أن أدع رجلاً كافرا يتزوجها ويأخذها معه إلى بيته لتعيش معه؟

ماذا كنت تفعل لو أراد أحد أن يغصبك على هذا الزواج، ولو حصل وغصبك أحد على ذلك، كيف ستقضي بقية أيامك، وكيف ستعيش تحت وطأة هذا الذل؟ اسأل نفسك على منهج القرآن حين قال لنا: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢] فقال الله لنا، ظنوا بأنفسكم خيرا فإن كنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف ترضونه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟

فاسأل نفسك لم زوج إمامك علي بن أبي طالب، الذي تُروى عنه المعاجز وتنسب إليه الخوارق، لم زوج ابنته من عمر وهو كافر ظالم؟

فإن كنت تنكر ذلك الزواج، فاعلم أن هذا أكبر دليل على عكس ما تعتقده في الصحابة، لأن إنكارك ذلك الزواج هو لما تعلم من لوازم التزويج من المحبة والمناصرة، وهو ما لا يريده الشيعة الذين يصورون العلاقة بين الصحابة والقرابة بأبشع الصور، وحين تنكر هذا الزواج، تقف أمامك كل الروايات والأحاديث الثابتة لدى الفريقين، والتي مر عليك شيء منها.

فإن اعترفت بذلك الزواج المبارك العظيم، فإما أن يكون حصل برضى علي رضي الله عنه، أم بغير رضاه، فإن قلت حصل برضاه، أرضيت نفسك وأرضيت علي بن أبي طالب، إذ برأته من كل ما ينسب إليه بسبب ذلك الزواج من الخوف والتقية والضعف والجبن والهوان والقلة والمذلة، وهي حالة لن تدركها إلا إذا تصورت ما ذا يعنيه أن تكون ابنتك تحت رجل كافر وأنت تعلم ولا تطيق دفع ذلك، فلن تستطيع حفظ وجهك أمام الناس ولن يرى فيك أهلك قدوة.

وإن قلت حصل بغير رضاه، تكون قد أحرجت إمامك، وصورته بصورة لا

يرضى بها أي فاضل، وكل ذلك لأنك جعلت الإمامة من أصول الدين وهي ليست كذلك كما رأيت، فترتب عن ذلك الخطأ خطأ أكبر منه، وهو تكفير أقرب صاحبين إلى رسول الله ﷺ وغيرهم من الصحابة، ثم ترتب عن ذلك أن تتهم عليا رضي الله بهذه المهانة العظيمة، والخزي الذي لا يرضاه أحد لأحد من المسلمين.

فانظر في الأمر وفكر فيه، فإن هذا الزواج العظيم أراده الله أن يكون منارة وعلامة لكل حائر وشاك، وإليك رسمًا بيانيًا لهذا التساؤل حتى تتأمله أكثر، وتفكر من جديد:

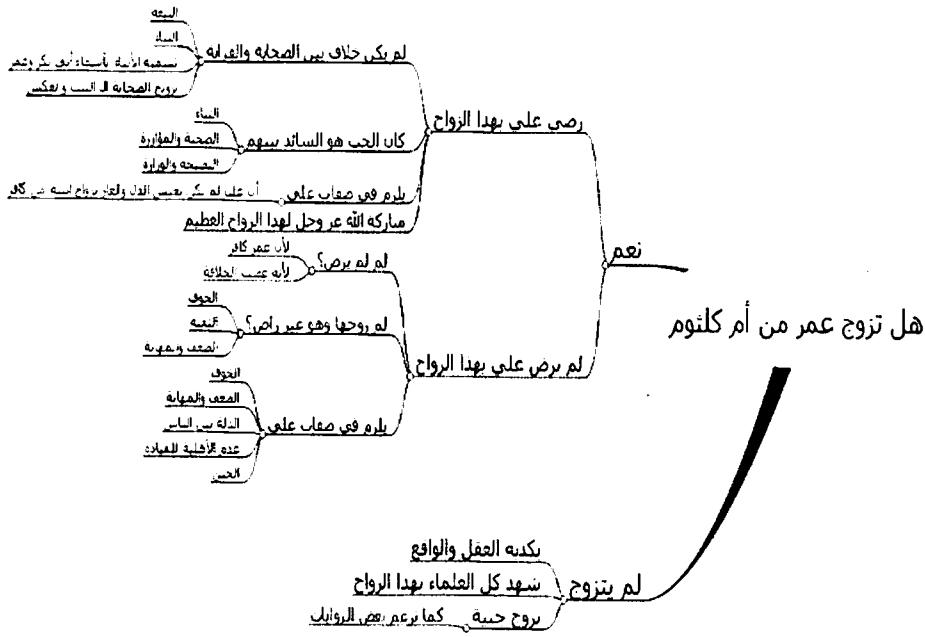

السؤال الثالث: هل ارتد الصحابة؟

هل ارتد الصحابة بعد رسول الله ﷺ كلهم حتى خيارهم والذين نصروا الإسلام حتى أعزه الله؟

تأمل معي في ما يلزم من كلا القولين، وانظر أيهما تحب أن يكون عليه حال الإسلام والمسلمين:

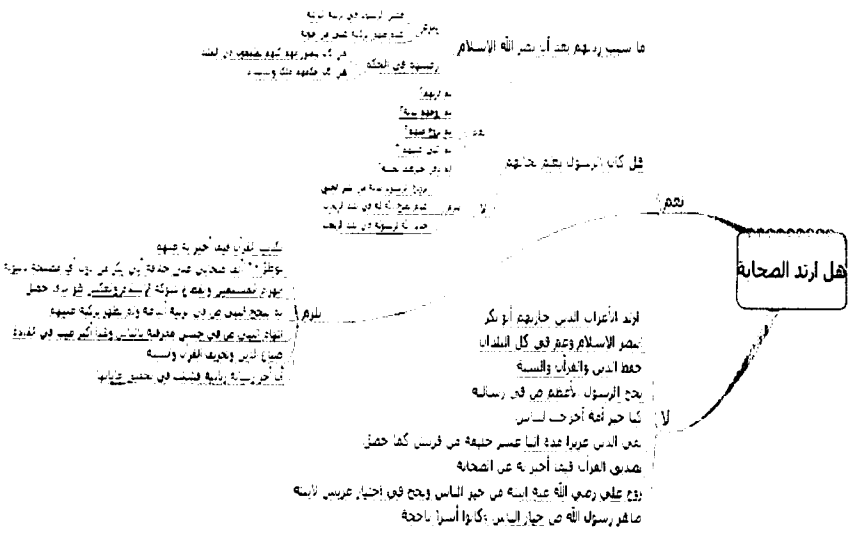

إننا حين ندعي أن الصحابة قد ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، نكون قد خالفنا القرآن الكريم وتأولنا كل الآيات التي تثني على الصحابة بلغة واضحة سليمة لا تقبل الشك ولا التأويل، فنعارضها جميعا، ونأتي بطامة كبرى، ونصور أعظم رسول على أنه أفشل قائد خذله أصحابه وخانوه بعد وفاته، ونتهم عليا رضي الله عنه بأنه ضعيف جبان لا يستطيع حماية زوجته ولا ابنته، فضربت زوجته أمام عينيه حتى كسر ضلعها وسقط رضيعها، وتم غصبه على تزويج ابنته من كافر لا يحل لها، وعاش هو بذلك ذليلا مقهورا لا يملك من أمره شيئا، وعندما انساقت خلفه الأمة واتبعته وعينته خليفة للمسلمين، لم يقم بدفع ذلك الضرر والذل عن نفسه، فلم ينكر ذلك الزواج ولم

يلعن ذلك الكافر الذي غصبه على تزويج ابنته، بل أثنى عليه وذكره بخير وامتدحه على المنبر أكثر من مرة، ونهى عن سبه وشتمه، ووعد من يفعل ذلك بأشد الوعيد.

أسئلة للتأمل

أخي الشيعي...

تأمل في هذا الأسئلة وفكر من جديد.

- غنم أبو بكر رضي الله عنه سبيًا كثيرًا من معركة أوطاس، فأعطى عليًّا عليه السلام جارية من بني حنيفة، فأخذها علي عليه السلام وبقيت عنده وهي التي ولدت له محمد بن الحنفية؟ فهل جاز له وطؤها؟

فإن جاز له وطؤها فملكها صحيح، وما دام أن ملكها صحيح، فإن أخذها كان بوجه شرعي، وما دام أن أخذها كان بوجه شرعي فإن الخليفة الذي قام بذلك خليفة شرعي...

فكر من جديد.

- ذكر الكليني في كتاب الكافي: «أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم» [1]. ثم يذكر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) حديثًا يقول: «لم يكن إمام إلا مات مقتولًا أو مسمومًا» [2]. هل أقدم الإمام على أكلة يعرف أنها مسمومة، وأن فيها هلاكه؟ أم أنه لم يكن يعرف بأنها مسمومة؟ فإن كان أكلها وهو يعلم، فهذا هو الانتحار الذي نهى الله عنه؟ وإن لم يكن يعرف أنها مسمومة فهو ما يؤيده القرآن حين ينفي علم الغيب عن ما سوى الله عز وجل.

- لقد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية وسالمه، في وقت كان يجتمع عنده من الأنصار والجيوش ما يمكنه من مواصلة القتال. وفي المقابل خرج أخوه الحسين

---

(١) انظر: «أصول الكافي للكليني» (١/ ٢٥٨)، وكتاب: الفصول المهمة للحر العاملي، (ص ١٥٥).

(٢) (٤٣/ ٣٦٤).

- ﷺ - على يزيد في قلة من أصحابه، في وقت كان يمكنه فيه الموادعة والمسالمة.

فلا يخلو أن يكون أحدهما على حق، والآخر على باطل؛ لأنه إن كان تنازل الحسن مع تمكنه من الحرب حقًّا، كان خروج الحسين مجردًا من القوة مع تمكنه من المسالمة باطلًا، وإن كان خروج الحسين مع ضعفه حقًّا، كان تنازل الحسن مع قوته باطلًا!

وهذا يضع الشيعة في موقف لا يحسدون عليه؛ لأنهم إن قالوا: إنهما جميعًا على حق، فجمعوا بين النقيضين، وهذا القول يهدم أصولهم. وإن قالوا ببطلان فعل الحسن لزمهم أن يقولوا ببطلان إمامته، وبطلان إمامته يبطل إمامة أبيه وعصمته؛ لأنه أوصى إليه، والإمام المعصوم لا يوصي إلا إلى إمام معصوم مثله حسب مذهبهم.

وإن قالوا ببطلان فعل الحسين لزمهم أن يقولوا ببطلان إمامته وعصمته، وبطلان إمامته وعصمته يبطل إمامة وعصمة جميع أبنائه وذريته؛ لأنه أصل إمامتهم وعن طريقه تسلسلت الإمامة، وإذا بطل الأصل بطل ما يتفرع عنه!

- من هو الإمام الذي روى عنه الشيعة مراسم الضرب واللطم، هل ضرب الحسن بعد موت أخيه الحسين ﷺ ؟ وهل ضرب الأئمة ولطموا؟ أم أنهم نهوا عن الضرب واللطم كما في روايات كثيرة؟!

- عندما تولى علي ﷺ لم نجده خالف الخلفاء الراشدين قبله؛ فلم يخرج للناس قرآنًا غير الذي عندهم، ولم ينكر على أحد منهم شيئًا، بل تواتر قوله على المنبر: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر» ولم يشرع المتعة، ولم يرد فدك، ولم يوجب المتعة في الحج على الناس، ولا عمم قول «حي على خير العمل» في الأذان، ولا حذف «الصلاة خير من النوم».

فلو كان أبو بكر وعمر ﷺ كافرين، قد غصبا الخلافة منه فلماذا لم يبين ذلك، والسُلطة كانت بيده؟! بل نجده عكس ذلك، امتدحهما وأثنى عليهما.

فليسعكم ما وسعه، أو يلزمكم أن تقولوا بأنه خان الأمة ولم يبين لهم الأمر. وحاشاه من ذلك.

- يزعم الشيعة أن الخلفاء الراشدين كانوا كفارًا، فكيف أيدهم الله وفتح على أيديهم البلاد، وكان الإسلام عزيزًا مرهوبَ الجانب في عهدهم، حيث لم ير المسلمون عهدًا أعز الله فيه الإسلام أكثر من عهدهم.

فهل يتوافق هذا مع سنن الله القاضية بخذلان الكفرة والمنافقين؟!

وفي المقابل: رأينا أنه في عهد المعصوم الذي جعل الله ولايته رحمة للناس كما تقولون، تفرقت الأمة وتقاتلت، حتى طمع الأعداء بالإسلام وأهله، فأي رحمة حصلت للأمة من ولاية المعصوم؟! إن كنتم تعقلون..؟!

- تزعمون أن معاوية - رضي الله عنه - كان كافرًا، ثم نجد أن الحسن بن علي رضي الله عنه قد تنازل له عن الخلافة - وهو الإمام المعصوم -، فيلزمهم أن يكون الحسن قد تنازل عن الخلافة لكافر، وهذا مخالف لعصمته! أو أن يكون معاوية مسلمًا!

أخي الشيعي...

لن نخسر شيئًا إن نحن فكرنا من جديد! [1]

* * *

(١) http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/40.htm للاستزادة انظر كتاب أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق، وقد تم نقل بعض الأسئلة بتصرف.

المبحث السابع:
مقومات في الطريق

* التشيخ أو التسنن

* صعوبة القرار

* لست وحدك

التشيع أو التسنن؟

لا أريدك أن تكون سنيًّا، ابق شيعيًّا إن شئت...

نعم ابق شيعيا، لكن هذا لا يعني أن تظل على أخطائك.

وكما مر معنا فإن الهداية منحة ربانية، لا يمكننا أن ننالها ما لم نبذل فيها أسبابها، وذلك بالإخلاص في سؤال الله الهداية والتمسك بالقرآن الكريم...

لذا فإن عليك أن تسير في طريق البحث دون أن تلزم نفسك بأحد هذين الخيارين الضيقين، إما التشيع وإما التسنن، بل أحب آل البيت كما شئت، وابق على ما أنت عليه، لكن لا تلغ أسئلة العقل، فإنها حجة الله لديك، وداعي الإيمان في قلبك، وكلما حصل لك اقتناع بأن هذه المسألة دخيلة على الإسلام، وعلى التشيع، فتبرأ منها، واستغفر الله من القول بها أو العمل بمقتضاها، وأظن أن أقل ما يمكن أن تخرج به من هذا البحث، أن تخرج وأنت جازم بأن من قال في القرآن بالتحريف أو النقص، فقد أعظم على الله الفرية، وأنت منه ومن قوله براء، ولو كان العالم الفلاني أو العلاني، فكتاب الله نور ممدود بين السماء والأرض، محفوظ بحفظ الله له، لا يمكن أن يتلاعب به أحد أو ينقص منه حرفًا واحدًا...

إنك عندما تعتقد أن القرآن غير محرف، وأنه محفوظ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩] لا يلزم من ذلك أن تكون قد تركت مذهبك أو انتميت إلى مذهب أهل السنة، بل ذلك لا يلزمك في كل القضايا التي مرت معنا، فالتسمية ليست من الدين، وإنما أنت في طريقك إلى الله تبحث عن الحق أينما وجدته، فتأخذه وتعتقده وتدين الله به، وهذا كل ما في الأمر...

ولا بد أن تكون قد لاحظت أن القرآن لم يذكر الإمامة، وبدأت تطرح تساؤلات حول الطريقة التي يستخدمونها في الاستدلال المركب، وهي تركيب دليل على دليل على دليل، فيأتي الدليل ربعه من القرآن وربعه من السنة وربعه من العقل وربعه من

كلام المعمم، بينما لو أفردت الآية وحدها، أو الحديث وحده أو العقل وحده، لتبرأ العقل والحديث والقرآن من ذلك الاستنتاج، فهي طريقة مركبة في إثبات المسائل، وهي بعيدة كل البعد عن نهج القرآن الكريم، الذي يثبت الأمر بعبارة واضحة صريحة لا تقبل التأويل، ومعانيها تسارع إلى قلبك مسارعة، فلو أردت مثلاً أن تستدل على الصلاة وإثباتها، فلن تحتاج إلى آية أو سبب نزول أو رواية عن أحد، بل تأتي إلى المصحف فتجد هذا المعنى متفرقًا في جوانبه، كل آية كفيلة بأن تقوم بالمعنى في ذاتها...

أما أن نأتي بتراكيب في الأدلة، ونقول إن الله قال: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] وما أنزل إليه هو ولاية علي، فهذا تركيب عجيب بعيد، فلا السنة وحدها تقوم بالدلالة ولا الآية وحدها تقوم بذلك.

ثم إنك عندما تتيقن أن الله عز وجل هو المعبود المستحق للعبادة، وأن دعاء غيره إما هدر لا فائدة فيه، لأن الله أرحم وأكرم وأحلم وأقرب، وإما شرك يخرج عن الإسلام، ويخلد في النار، فتترك دعاء غير الله عز وجل أو الطواف على قبره أو تقبيله أو الأكل من تربته، عندما تفعل ذلك فهذا لا يعني أنك أصبحت سنيًّا أو ناصبيًّا، بل كل ما في الأمر أنك تركت أمرًا ترى أن الله عز وجل نهى عنه..

فلا تترك ما رأيته حقًّا بسبب أنك لا تحب أهل السنة وتجدهم ظالمين لآل البيت، فليس من الضروري أن تنتقل إلى مذهب آخر كي تقول بالحق، بل اعتقد أن الله عز وجل هو المستحق للعبادة، وأن محمدًا ﷺ هو المعصوم بالشرع المؤيد بالوحي الذي لا ينطق عن الهوى، وأن غيره من البشر يخطؤون ويصيبون، وأن الشريعة قد انتهت بموته عليه الصلاة والسلام، ولم يمت إلا بعد ما بلغ آخر حرف مما علمه الله، فأتم الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وأنه لم يمت إلا وهو راضٍ عن أبي بكر وعمر، اللذان من الله عليهما منة عظيمة حيث جعلهما صاحبي رسول الله ﷺ في قبره، وهي كرامة لا يوفق الله لها إلا من أحبه بلا شك، فلا يزال المسلمون يسلمون عليهما كلما سلموا على رسول الله ﷺ، وهذا لا

يعني أنك تركت مذهبك، وعاديت آباءك، بل أنت باحث عن الحق ساعٍ إليه، محب لآل البيت ملتزم باتباعهم، لكن بالحق لا بالباطل، وبما وافق القرآن لا بما خالفه.

فأزل عن نفسك حرج التسنن، وامض في بحثك عن الحق، فإن الله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

* * *

صعوبة القرار

إنك حين تبحث عن الحقيقة، وتقود نفسك في هذا الصراع المرير، الذي يسحب معه الكثير من الأثقال الاجتماعية والنفسية، فأنت لا تقارع معلومة قديمة بمعلومة جديدة فحسب، إنك تضع حياتك في الميزان، بل وتضع ماضيك وحاضرك ومستقبلك، وأسرتك وأولادك، وآباءك وأجدادك، وقبيلتك وعشيرتك كلهم في ميزان الحق والباطل، ومصير الجنة والنار، وهذا ما يجعل القرار لا يتعلق بك كفرد، إنه يتعلق بمصيرك ومصير هؤلاء كلهم، ويتعلق كذلك بأمر خطير أخطر من ذلك كله، إنه مكانتك الاجتماعية...

إن قتل الإنسان في كثير من الأحيان أهون عليه من تغيير عقيدته، لذا قد تجده يضحي بنفسه من أجل عقيدة أو مذهب ليس لما يعلمه عن المذهب من أدلة ومعرفة، وإنما لما يشكله له ذلك الانتماء من مقومات الإنسان والشخصية.

هذه المكانة التي تأخذ أبعادًا في الوظيفة والأسرة وبين الجيران والأقارب، وهي التي تعطي مكون الشخصية لدى الإنسان، لذلك فإن أول ما يخطر على بال المرء وهو يفكر في محاولة البحث أو إثارة هذه المواضيع، هو مصير مكانته الاجتماعية ووضعه الأسري والاقتصادي، مما يجعل البحث يتجاوز حدود المعرفة والمسائل والدلالات والنقول والروايات إلى ما هو أعمق من ذلك بكثير...

إن قتل الإنسان في كثير من الأحيان أهون عليه من ذلك، لذا قد تجده يضحي بنفسه من أجل عقيدة أو مذهب ليس لما يعلمه عن المذهب من أدلة ومعرفة، وإنما لما يشكله له ذلك الانتماء من مقومات الإنسان والشخصية.

وفي كثير من الأحيان، إن لم نتبين هذا الأمر من أنفسنا، يصبح نظرنا إلى الدليل

نظر المغشي عليه من الخوف، فعندما يأتينا ما يخالف ما نحن عليه، ننفر منه أشد النفور، ونكرهه أشد الكره، ونحس به يضايقنا مضايقة شديدة، قد لا ندرك سببها في بعض الأحيان، فنظن أن ذلك الشعور هو إلهام رباني أو نفحة إيمانية تبعدنا عن ما نظن أنه باطل، لكن الحقيقة أن ذلك الشعور نابع مما يمثله ذلك الدليل أو القول من خطر على شخصيتنا وهويتنا، وما يمثله الاقتناع به من صراع نفسي ومالي واجتماعي.

فلا شك أن نظرنا للدليل المقابل هو محجوب بهذه الحجب العظيمة والتي لا يمكن أن نتغلب عليها إلا بشيء واحد، وهو الرقي إلى مستوى التخلص من كل شيء يعلقنا بهذه الحياة الدنيا من أجل نيل رضى الله عز وجل، ولذلك يقول الله تعالى منبها على هذه الحجب والعوائق: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]، وهذا متحقق في كل من أراد أن يفكر في الانتقال من مذهب إلى آخر، فهو يعرض كل هذه المحبوبات إلى خطر الزوال، فقد يفقد زوجته وولده، وقد يفقد بيته ووظيفته، بل إن بعضهم فقد روحه من أجل هذا القرار العظيم، قرار إيثار ما عند الله والدار الآخرة.

ربح البيع أبا يحيى!

على رأس هؤلاء الذين خاضوا هذا القرار الصعب، صهيب بن سنان رضي الله عنه، الذي خرج من ماله كله حين حاصره أهل مكة ومنعوه من الخروج، وقالوا له: لا تخرج أنت ومالك، فقال لهم هل تتركوني إذا دللتكم على مكان المال؟ فدلهم عليه، وتركوه يرحل إلى الله ورسوله كيوم ولدته أمه لا يملك من الدنيا إلا ما يستر به عورته، وعندما رآه الرسول ﷺ قادما قال له مهنئا على هذه الصفقة العظيمة، «ربح البيع أبا يحي» ولا شك أن كل من آثر ما عند الله على ما عند غيره فقد ربح البيع، لأنه ربح مرتين، مرة بتعويض ما فقد في الدنيا، ومرة أخرى بالثواب عليه يوم القيامة،

فالرسول ﷺ يقول: «من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه».

ومما يساعد على اتخاذ هذا القرار العظيم، والتغلب على كل هذه الحجب والمعوقات، استحضار ما عند الله والدار الآخرة، واستحضار قوة الله عز وجل وملكه وكرمه، فهو القادر على أن يعوضك عن كل درهم تفقده عشرة دراهم، ويعوضك عن كل مصاب تصابه سعادة في الدارين، ولم لا وقد تركت من أجله كل شيء، وقصدت بابه وحده، ووقفت عنده لا حول لك ولا قوة إلا حوله وقوته، وقلت له بلسان حالك: يا رب قد أريتني الحق ووفقتني لاتباعه، فلم آل جهدًا في السعي إليك وابتغاء مرضاتك، تاركًا كل ما أعطيتني، معرضًا كل ما أملك للخطر، فانصرني وثبتني...

كيف لا ينصرك ويثبتك في قرارك العظيم، وأنت إنما فعلت ذلك حبًّا فيه وحبًّا في لقائه، ومن ظن غير ذلك بربه فقد ظن به ظن السوء، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الحج: ١٥، ١٦] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢] وقال في الأعراب الذين ظنوا أن الله يخذل نبيه ولا ينصر حزبه: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢] وقال عن الذين زلزلوا يوم أحد: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] فلا تظن بالله أنه يخذلك في هذا الموقف العظيم.

لكن لا بد من شيء من الابتلاء، يميز الله به ثباتك وصدقك وصفاء نيتك وقصدك، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

أخي الكريم،،،

إن من أهم ما يسهل عليك القرار، ويجعله أمرا هينا -وهو كذلك على من هونه الله عليه- أن تستحضر موقفك وأنت تشاهد ملك الموت يخطو نحوك وينظر إليك من بين الناس، حتى يسلب منك روحك، ويتركك لا حس ولا خبر، لا بيت ولا مال، لا أهل ولا ولد، فلا تجد معممًا ولا وليًّا إلا عملك الصالح وعقيدتك النقية.

إن استحضارك للموت والقبر والوحدة والوحشة، يهون عليك ذلك كله، فماذا تساوي حياة منعمة إلى جانب قبر ضيق موحش مظلم بعده النار والعياذ بالله، وماذا تساوي حياة قاسية إلى جانب قبر فسيح مد البصر وريح من رياح الجنة تهب عليك بعدها الجنة والنعيم المقيم.

إن مصيرك بيديك، وأمرك إليك، وإرادتك مقرونة بعزيمتك، وعزيمتك مقرونة بحرصك على نجاة نفسك من النار، فاعلم أنك مهما ضحيت ومهما بذلت من أجل البحث والتقصي، فلن تندم على ذلك يوم «لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» أسأل الله لي ولك حسن الخاتمة والتوفيق في الدارين آمين.

إن مصيرك بيديك، وأمرك إليك، وإرادة مقرونة بعزيمتك، وعزيمتك مقرونة بحرصك على نجاة نفسك من النار

فلا تخف من البحث، وامض في طريق الحق، فإما أن تجد منهجًا خيرًا مما أنت فيه، وإما أن تثبت على ما أنت عليه بعد أن تكون قد بذلك جهدك وطاقتك، فيعذرك الله عز وجل إن علم فيك صدقًا.

* * *

لست وحدك

إن أي سائر يحتاج في طريقة إلى من يؤنسه ويواسيه في مسيره، فطرة الله التي فطر الناس عليها، إذ جعلهم يأنسون لبعضهم ويسعون للإحساس بالانتماء في كل قضية يعيشون لها وإن كانت غير أساسية، فمحب الفريق الرياضي يقابل محبًّا لنفس الفريق في مكان ما، فيحس بأنه يأنس إليه أكثر من غيره، لا لشيء إلا لأنه يأنس إلى من يشاركه نفس الميول، ولهذا سمي الإنسان إنسانًا.

فلا بد لك أن تعرف نماذج ممن مروا قبلك من هذه الطريق، وسلكوا هذا الدرب الوعر وأقدموا على بيع أنفسهم لله ولرسوله ﷺ، ولم يأبهوا لمناصبهم الاجتماعية ولا لما أصابهم في سبيل الله، ولا ضعفوا، ولا استكانوا، حتى لقوا الله وهم ثابتون صادقون.

وقد ذكر الدعاة المعروفين بنشاطهم في الأوساط الشيعية، أن عدد من تحولوا من الشيعة إلى السنة في الكويت بلغ ٤٠٠ شخص، وفي السعودية ٤٠٠٠ شخص، وفي البحرين ٧٠٠ شخص، وفي الأهواز عرب إيران تحول مائة ألف شيعي إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وفي داخل إيران بل في طهران وقم تحول العشرات من الشيعة إلى السنة، وهناك المئات من العراقيين الذين تحولوا ولكن لم يكشفوا عن أنفسهم خوفًا من ميلشيات القتل والإرهاب.

أما الذين تحولوا للسنة ولم يكشفوا عن أنفسهم فقال الشيخ الخميس: إن عددهم تجاوز الثلاثة آلاف شخص في السعودية وأربعمائة شخص في الكويت وألف ومائتين شخص في البحرين، والآلاف في منطقة الأهواز[1].

وسنذكر لك بعض هذه النماذج التي آثرت الإقدام على ما تفكر فيه أنت الآن، وأقدمت على هذه الخطوة التي تستعد لها أنت، دون خوف أو وجل، فكان ما عند الله

---

(١) محاضرة بعنوان: لماذا الطائفية، الشيخ عثمان الخميس.

أحب إلى نفوسهم، ومن هؤلاء:

آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي.

وهو من سلالة الحسين رضي الله عنه. كان من أقران الخميني، بل أعلى مرجعية منه في مذهب الشيعة. خرج من التشيع وأعلن تسننه وألف كتابا كسر فيه ظهر الشيعة وأسماه كسر الصنم ومؤلفات أخرى بين فيها حقيقة التشيع.

وألف كتبًا تتعلق بصميم عقائد القوم منها:

١-كسر الصنم وهو في الرد على أصول الكافي للكليني الشيعي ويقع في ٤١١ صفحة بالفارسية و٣٦٠ صفحة بالعربية وهو دراسة حديثية لكتابه المذكور حيث يقارنه بالقرآن والعقل ثم يفنده وينقض من خلاله عقيدة القوم بشكل غير مسبوق.

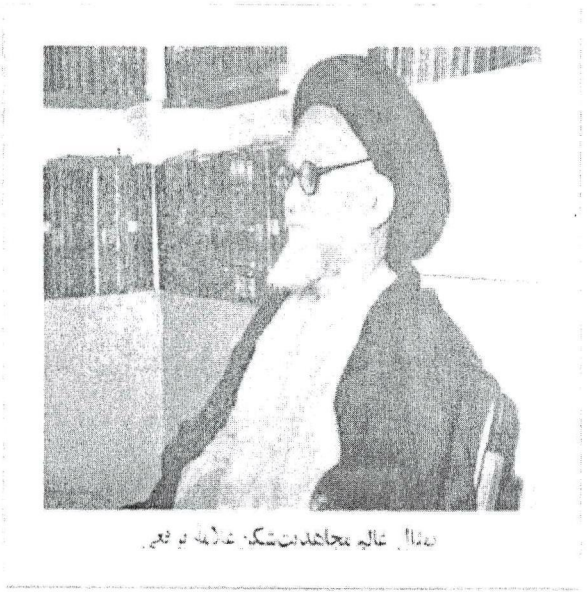

٢-تضاد مفاتيح الجنان مع القرآن: مفاتيح الجنان أهم كتاب دعاء لدى القوم ويحملونه معهم في جميع الزيارات والمشاهد والحج،وهو يدرسه دراسة حديثية، حديثًا حديثًا علي أساس المذهب نفسه كالكتاب السابق ثم يعرض أحاديثه تلك على القرآن والعقل ثم يرد عليها ويرد على عقيدة القوم من خلاله ويقع في ٢٠٩ صفحة.

٣-دراسة علمية في أحاديث المهدي:إن أساس عقائد المذهب الشيعي هي عقيدة المهدي المنتظر ويدرس في هذا الكتاب ثلاث مجلدات من كتاب البحار للمجلسي والتي تتعلق رواياته بالمهدي ثم يفندها طبقًا للمذهب أيضًا ويقع في ٢١١

صفحة.

٤-دراسة في نصوص الإمامة: يدرس المؤلف فيه النصوص الواردة في الإمامة والخلافة لدى السنة والشيعة ثم يفند الروايات الشيعية ويثبت بأدلة قاطعة أن الخلافة حق والإمامة المنصوصة لا أساس لها ولا دليل ويقع في ١٧٠ صفحة.

٥-الجامع المنقول في سنن الرسول: وهو عدة مجلدات، ويورد فيه المؤلف الروايات الفقهية الصحيحة لدى السنة ثم يدعمها بما وردت لدى الشيعة أي أن كل ما وردت لدى السنة وردت لدى الشيعة إلا أن الشيعة لا يأخذون بها تعصبًا وعنادًا وهو يقع في ١٤٠٦ صفحات.

٦-نقد على المراجعات.

٧-تضاد مذهب الجعفري مع القرآن والإسلام.

الدكتور أحمد مير قاسم الكسروي :

ولد في تبريز، عاصمة أذربيجان، أحد أقاليم إيران، وتلقى تعليمه في إيران، وعمل أستاذًا في جامعة طهران، وتولى مناصب قضائية عديدة، منها منصب المدعي العام في طهران .

وكان يعمل محررًا لصحيفة «برجم» الإيرانية، وكان يجيد عدة لغات منها العربية، وله مؤلفات كثيرة، ومقالات منتشرة في الصحف الإيرانيةكان يهاجم بها أصول المذهب الشيعي وقد تم اغتياله لإسكاته.

وقد قام رجل يدعى نواب صفوي بمحاولة اغتياله، ولكنه لم ينجح، يقول نواب صفوي في مقابلة كان قد أجراها معه الصحفي المصري موسى صبري، ونشرتها صحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ

١٦/ ٦/ ١٩٩٠: «إن الكسروي كان هتّاكًا للإسلام والمسلمين فيما يكتب (أي انتقاده للشيعة)؛ ولذلك أردت أن أقتله بيدي شرعًا ودينًا وغيرة وحمية، فواجهته يومًا في الطريق العام، وكان معي أخ لي وكان معه أربعة عشر عونًا له يسمون الجماعة الحربية، وكان معي مسدس صغير، فضربته بمسدس، ولكن المسدس لم يؤثر أثرًا تامًّا».

ويضيف المجرم صفوي مؤكدًا إصراره على قتل الشيخ كسروي: «واستمرت الحرب بيننا في الشارع ثلاث ساعات ولكنه لم يمت، وأردت أنا أن أنتهي من قتله حتى أقتل بيد الحكومة في سبيل الله، فضربته بعد المسدس بما أتى في يدي، وفرت جماعته وهربوا، وبقي الكسروي بيننا والناس مجتمعون. وبعد أن ظننت أنه مات أو سيموت عاجلًا وقفت إلى جوار جثمانه وألقيت الكلمة في الناس، فحبسنا في السجن بطهران ونشرت القضية في الجرائد، وكنت أدعو الله في السجن أن يميته بما ضربته ويرزقنا الشهادة في سبيله أجرًا، وكان الكسروي مريضًا محتضرًا في بعض أوقاته في المستشفى ولم يمت وما عرفت تدبير الله في هذا».

هذا ولم يحاكم نواب صفوي ولم يمكث في السجن إلا مدة أقل من ثلاثة أشهر قال «ثم أخرجت من السجن، وشكلت جماعة متهيئين لإراقة دمائهم في سبيل الإسلام، وأعلنت هذا، فانكشفت الجرائد التي كانت تحمي دعايات كسروي المضللة، وخافوا منّا ولم يكتبوا بعد شيئًا من سوء سريرتهم.. وبعد ثلاثة أشهر خرج الكسروي من المستشفى وواجهته يومًا في دائرة المحكمة العسكرية التي دعتنا للمحاكمة فرأيت أن ليس بيدي سلاح حتى أقتله وكان هناك جندي بيده بندقية... فأخذتها ولكنني لم أجد أمامي أحدًا. لقد خاف الجند وخاف القضاة.. وشرد جميع من في المحكمة، وتعطلت جلسة محكمتنا، وخرجت من المحكمة، ولم أجب دعوة القضاء بعد ذلك..!».

ورغم أن هذه المحاولة فشلت أيضًا، إلاّ أن صفوي ظل حريصًا على قتل الشيخ كسروي، وعلى التحريض عليه، إذ أنه يقول: «... فقد جمعت توقيعات الآلاف بأنه

يجب على الحكومة أن تأتي بالكسروي إلى إدارة العدل في المحكمة الشرعية فيحاكم هناك لكفره بدين الله! وقد أجابتني الحكومة على ما طلبت، وتحدد موعد المحاكمة: وكنت قد عقدت العزم في ذلك اليوم على قتله؛ لأن هذا هو جزاؤه الوحيد، فذهب تسعة من إخواني المندوبين لقتله في المحكمة، وقتلوه، وقتلوا تابعه وحارسه، وشرد الجنود وشرد القضاة، وشرد الناس وقد كانوا ثلاثة آلاف لشهود محاكمته وعاد مندوبونا من غير مزاحم».

وهكذا تمت تصفية هذا الشيخ التائب، فقط لأنه آثر ما عند الله على مكانته ودنياه ومنصبه، لكنهم أرادوا أن يكون فيه عبرة لغيره حتى لا يفكر أحد من العلماء في التحرر من هذا المذهب الفاسد.[1]

السيد محمد إسكندر الياسري (رحمه الله):

في مدينة الحلة العراقية في أواخر الستينات الميلادية الماضية، حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة، وعمل بعدها في منشأة التصنيع الحربي..

ألف كتابه (المنهاج أو المرجعية القرآنية) بعد رحلة شاقة في طلب العلم بالحوزة، بين في كتابه حقيقة المنهج القرآني، وأنه منهج أهل البيت رضوان الله عليهم، وأن الحاقدين على أهل البيت عليهم السلام من علماء الشيعة قد قاموا بجهود جبارة لتزييف منهج أهل البيت وللأسف آتت جهودهم أكلها من خلال تحريف مسيرة أتباع أهل البيت عليهم السلام عن المسار الحقيقي الموافق للقرآن، إلى مسار مليء بالبدع والخرافات والروايات المكذوبة، والتي تخالف منهج أهل البيت الذين هم في الحقيقة أتباع منهج القرآن الكريم. وبدوره اغتيل رحمه الله على أيدي عصابات الشيعة.

---

(١) للاستزادة ينظر موقع الراصد.

وغير هؤلاء كثير، ممن رجعوا لدين الله الحق، وحكموا عقولهم واختارو الله ورسوله وبذلوا من أجل ذلك كل غال ونفيس[١].

إذن: لست وحدك في هذه الطريق، فهي طريق الأولياء والصالحين، ولا يضرك قلة السالكين ما دمت على الحق، ولا يثبطنك الشيطان عن سلوك هذا الدرب فإن العاقبة الجنة، والغاية الله ورسوله والدار الآخرة...

أخيرا...

أخي الشيعي..

إن كنا قد أخذنا من وقتك شيئًا فليس إلا رغبة منا في أن نضع يدك على الجرح، وأن تعلم أن مذهب أهل البيت ليس تمامًا ما يفعله الشيعة اليوم، وليس هذا كل ما يمكن قوله في نقد المذهب، وليست المسألة مسألة دليل ودليل آخر، إنها مسألة ارتباطك بالهادي سبحانه والذي يسيرنا بنوره إلى طريق الحقيقة إن رأى منا إقبالًا ونية خالصة لوجهه الكريم.

قد يكون ما قلناه صحيحًا، وقد لا يكون كذلك، لكنه شيء يستحق منك البحث والتأكد، ولا تظن أن ما تجده من اطمئنان في عبادتك كاف لكي تكون على الحق، بل اجعل السعي في ذلك حثيثًا، والسير إلى الجنة مستمرًا، وخذ كتاب الله في يمينك وأنت مقبل على الله تسأله الهداية والتوفيق، فهذا هو السبب الموصول بيننا وبين السماء، وليس لنا أمل بعد الله عز وجل في الهداية إلا في هذا الكتاب، فالزمه تجده إمامًا، واصحبه تجده برهانًا...

والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) قصص المهتدين وأسباب هدايتهم.

http://www.wylsh.com/ و http://www.fnoor.com/articles.htm

الفهرس

الموضـــــــــوع **الصفحة**

تقريظ الشيخ/ صالح درويش ٣
تقديم ٦
مقدمات بين يدي البحث..... ٧
لـمـــاذا؟!..... ٨
من الذي اختار لنا مذاهبنا؟..... ١١
من أين ننطلق؟..... ٢١
سر الهداية ٢٣
المبحث الأول: الإمامة ٣٣
لماذا نناقش الإمامة؟..... ٣٤
مقدمة حول مكانة الإمامة عند الشيعة..... ٣٦
هل يثبت العقل الإمامة؟ ٣٩
ماذا يعنون باللطف؟..... ٤٠
هل تستطيع قاعدة اللطف أن تثبت الإمامة؟ ٤٢
ما حاجتنا إلى إمام معصوم وقد كملت الشريعة ؟ ٥٠
أنا والإمام..... ٥٦
لماذا الإمام؟ ٥٧
الإمـام وجيبي ! ٦١
الإمام وأهـلي..... ٧٢
هل يثبت النص الإمامة؟ ٧٥
الإمامة والقرآن..... ٧٦

الموضـــــــــوع **الصفحة**

الإمامة والسنة ٩٧
وقفات مع الأئمة ١٠٢
معجزات الأئمة ١٠٣
علم الغيب ١٠٨
المهدي المنتظر ١١١
عقيدة الشيعة في المهدي ١١١
سيرة المهدي ١١٤
أولاً: سيرته أثناء الغيبة ١١٤
الغيبة الصغرى ١١٤
الغيبة الكبرى ١١٧
المبحث الثاني : الشرك ١٢٥
المبحث الثالث: القرآن ١٢٥
تعريف الشرك ١٢٦
مظاهر الشرك ١٣١
عقيدة أهل السنة في القرآن ١٣٧
عقيدة الشيعة في القرآن ١٣٧
لماذا قالوا بالتحريف ؟ ١٤٠
هل قال علماء السنة بالتحريف ؟ ١٤١
المبحث الرابع: الصحابة ١٥٥
الصحابة وأهل البيت أية علاقة؟ ١٥٧
أولا: التسمية ١٦٠
ثانيا: التزويج ١٦٤
ثالثا: الثناء ١٧١

الموضـــــــــوع **الصفحة**

مكانة آل البيت عند أهل السنة والجماعة ١٨٠
المبحث الخامس: التناقضات ١٨٧
المذاهب الأربعة عند أهل السنة ١٩٥
المبحث السادس: أسئلة لن تجدلها جوابًا؟ ١٩٧
السؤال الأول: لماذا لم يذكر القرآن الإمامة؟ ١٩٨
السؤال الثاني: لماذا زوج علي ابنته من عمر ٢٠٠
السؤال الثالث: هل ارتد الصحابة؟ ٢٠٢
أسئلة للتأمل ٢٠٣
المبحث السابع: مقومات في الطريق ٢٠٧
التشيع أو التسنن؟ ٢٠٨
صعوبة القرار ٢١١
لست وحدك ٢١٥
الفهرس ٢٢١

* * *